

البلاغة العالية

علم المعاني

تأليف
عبد المتعال الصّعيدي
الأستاذ بكلية اللغة العربية
من كليات الجامعة الأزهر الشريف

قدم له وراجعته وأعدت فهرسه

دكتور محمد الفاضل
رئيس قسم البلاغة والنقد
جامعة الأزهر

مؤتم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعها بالجواميز ت ٣٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨
الطبعة النموذجية
١٦ سكة الشاذلي بالخلية الجديدة

البيان في الغم الخالي

علم المعاني

تأليف
عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية
من كليات الجامعة الأزهرية

قدم له وراجعوه وأعدت فهارسه

دكتور محمد الفاضل

مدير قسم المطبعة والنشر
جامعة الأزهر

مكتبة المطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعها بالجمايز ت ٣٩١٩٣٧٧

٤ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨

الطبعة النموذجية

وسمكة الشاهدي بالخليفة الجديدة

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

كافة حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الآداب

تقديم

للدكتور عبد القادر حسين

رئيس قسم البلاغة والنقد

جامعة الأزهر

كتاب « البلاغة العالية » لفؤاد المرحوم الشيخ عبد المتعال الصديدي ، أسناده البلاغة بجامعة الأزهر ، لم يكبد يعرفه شباب الجيل من قراء هذا العصر ؛ فقد طبع منذ أكثر من نصف قرن سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وألف بعد الهجرة . وقد تلتقيت دروس البلاغة على يدي هذا العالم الفاضل ، وتلمذت على كتبه الرائعة ، مثل كتاب « النظم الفني في القرآن » الذي تناول فيه أسلوب القرآن ، وروعه ، وأسرار إعجازه .

و « بغية الإيضاح » وهو شرح وتحقيق لكتاب « الإيضاح » للخطيب القزويني (ت ٧٣٧ هـ) الذي طبعت شهرته الآفاق ، فهو كتاب غني عن البيان ، يعرف القاصي والداني من طلاب العربية ؛ لأنه جمع فأوعى ، وغلط عليه فضيلته ؛ ما عرف منه من دقة وبراعة ، وعمل على تخريج أشعاره وأعلامه في وقت كان يعد فيه الإنجاز هذا العمل المصنفي :

وله أيضا مصنف باسم « دراسة كتاب في البلاغة » يسرد فيه كثيرا من المؤاخذات على شرح كتاب من كتب البلاغة الشهيرة ، فكان عفا اللسان في نقده ، كريما في أخذه وردده ؛ لأن للعلم حقوقا فوق الصداقة ، وفوق الزمالة . كما أخرج إلى النور كتابا خطيرا قويا هو « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) ، هذا الكتاب يعد من أهم كتب البلاغة التي اعتمد عليها الباحثون ، وأقاد منه القدامى والمحدثون في البلاغة العربية .

أما كتاب « البلاغة العالية » فهو ثرى بأفكاره الجديدة ، وتأملاته العديدة ، وكل فقرة من فقراته تدهوك للتأمل فيها ، وتحثك على النظر إليها ومراجعتها ؛ لأن

المؤلف لم يلتق بأرائه اتفاقاً ، وإنما استنفد فيها الفكر ، وقاب فيها الرأي ، قبل أن يخرجها إلى القارئ في صورتها المطبوعة .

والكتاب رغم صغر حجمه ، إلا أنه نفيس بمادته الغزيرة التي يفتقر إليها دارس البلاغة حين يود اقتحام ميدانها السيع ، فلا بد أن يكون مساحاً بما في هذا الكتاب من آراء متطورة تخالف ما استقر عليه البلاغيون حصراً وراء عصر ، ليس هذا ادعاءً أو تزويداً في القول ، وإنما هي حقيقة واقعة مستبينها معي أيها القارئ حين تبدأ في قراءة الصفحات الأولى من الكتاب ، وتخطو فيه بضع خطوات : ففي كل فقرة منه فكرة جريئة ، قد تتفق معه فيها أو تختلف ، وقد ترضى عنها أو تسخط عليها ، وليكنك في كل حال تحترم صاحبها ، ولا تملك إلا أن تحمل له الشناء والإعجاب .

وقد سعدت أما سعادة حين طاب مني أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب . الذي ألله ذلك العلم الكبير من أعلام البلاغة في العالم العربي ، سعدت لإعادة طبع هذا الكتاب النفيس ، ليعرفه طلاب البلاغة كما عرفناه من قبل ، يعرفون كيف تكون دراسة البلاغة ، وأنها ليست مجرد نقل من هنا وهناك ، ولكنها كما أخذناها على يدي هذا الأستاذ القدير ، إحاطة وفكر وتأمل ومقارنة بين هذه وتلك من الآراء ، ثم بعد ذلك استنباط واستخراج آراء جديدة لم تكن مألوفة من قبل .

سيبصر الغلاب تلك الحقيقة حين يطلعون على هذا الكتاب في طبعته الحديثة ، ومن ثم يتاح لهم ولشباب هذا الجيل أن يلقوا فنون البلاغة على يديه ، وأن يعشقوا منهجه في مناقشة الآراء التي حفات بها كتب التراث ، فشكل رأي مهما بدا لامعاً براقاً ، قد يكون وراءه شيء يخفى لمعانه وبريقه إذا تأملناه ، وغصنا إلى أغواره ، فترى الرأي الذي نظله سديداً قد أصبح متافئاً لا يستحق ما بذل فيه من عناء ، وقد نتوصل بعد ذلك إلى رأي جديد مبشكر .

ليس مهما أن نرد آراء السابقين أو نتكلفها ؛ بل المهم أن نستقصى ونفكر ، ونقدر ، فربما اكتشفنا شيئاً لم يكشفه السابقون ، وبذلك نضيف للبلاغة آراء جديدة .

(٥)

هكذا كان منهج الشيخ في الدراسة والتعليم ، تلقاه عنه تلاميذه وطلابه ،
وزرتهم به في محاضراته قبل أن يضعه في هذا الكتاب ويقدمه للقراء .
والشيخ الصمدي قد تخرج على يديه ألوف من الطلاب ، وأنا واحد من هؤلاء
الطلاب الذين يدينون له بالعلم ، والسير على منهجه في تناول المسائل البلاغية .

يرى المؤلف رحمه الله أن البلاغة قد مرت بأربعة أطوار :
الطور الأول : يتبدى من عهد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ — ٨٦٨ م) إلى عهد
عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ — ١٠٧٨ م)
الطور الثاني : من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي (ت ٦٢٦ هـ — ١٢٢٩ م)
الطور الثالث : من عصر السكاكي إلى عصر النهضة ، أي من العصور الوسطى
إلى العصور الحديثة منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، وبلغت أوج
ازدهارها في نهاية القرن السادس عشر .
والطور الرابع : يتبدى من عصر النهضة إلى وقتنا هذا ،
فالطور الثالث الذي يتبدى من عصر السكاكي طغت فيه المسائل الفلسفية
على الصبغة الأدبية ، كما طغت العلوم النحوية والمنطقية على المعاني التي تتخاطب
الوجدان وتتمس المشاعر والفؤاد .

أما الطور الرابع فقد درج فيه علماء البلاغة على الأخذ بطريقة العلوم الرياضية
التي سادت منذ عصر النهضة ، من ذكر البلاغة في مسائل موجزة ، وتمريعات
شعرية ونثرية ، وأجوبة عن هذه التمرينات ، يطلب من المتعلم معرفتها والوقوف
عليها . ويرى صامنا الفاضل أن استعمال الطريقة الرياضية في علوم البلاغة كانت غير
عمودة الأثر ، كان أن طغيان الطريقة الفلسفية في عصر السكاكي كانت عديمة الجدوى ،
فأراد أن ينأى بالقارئ الذي يود أن يأخذ حظه من البلاغة عن الطريقة الرياضية
والطريقة الفلسفية ؛ لأن هذه وتلك سارت في مجرى غير مجرى البلاغة الأصلية ،
وحفرت أخاديد عميقة أبعدت البلاغة عن تيارها الحقيقي من التذوق الفني ، وهو
الإنسان الذي تركز عليه البلاغة العربية . فالف كتابه و البلاغة العالية ، في علم

(و)

المعاني، وإن كان قد أراد للكتاب أن يشمل علوم البلاغة الثلاثة من معان وبيان وبديع، إلا أن الظروف قد حالت دون أن يكتمل الكتاب بأقسامه الثلاثة، فلم يخرج إلى النور إلا القسم الأول من علوم البلاغة.

ويبدو واضحاً أن الهدف من تأليف البلاغة العالية، أن يزجج عن فن البلاغة ما حشر فيها من المسائل التي لا تمت إليها بصلة، والتي جلبت إليها من عصر السكاكي إلى عصر النهضة.

كما نلاحظ في هذا الكتاب بعض الخطرات النقدية — وإن كانت قليلة — كما في باب الفصل والوصل حين ينتقم على الشاعر أن يراعى المناسبة في العطف، فالكلمة ينبغي أن تكون ملائمة لأحوالها، تنخرط معها في ملك واحد، فإن لم تكن ملائمة، بل كانت من واد آخر لا تتفق مع بنية الكلمات التي بنى عليها البيت من الشعر، أو الفقرة في النثر، تبدو غريبة مستهجنة بين أقدامها، ويضرب أمثلة على ذلك من شعر أبي فراس وشعر السكيت، ويبين النفرة بين الكلمات، وما ينبغي أن تكون عليه من الصحة.

وهو في هذا الكتاب يحاول أن ينأى بالابحاث البلاغية عن الأبحاث الأخرى الدخيلة على فن البلاغة، كالأبحاث الفلسفية والمنطقية، وخاصة الأبحاث النحوية التي يتطرق إليها العلماء في تناولهم لمسألة من مسائل البلاغة حتى امتلأت بها الكتب البلاغية، فيعمل على تقييدها بما هلق بها من شوائب، وما خلق بها من أوضاع، فيستبعد كثيراً من الأمور التي ليس للنحو فيها إلا حظ الأعراب، كحروف العطف، والنقييد بحروف الجر، والشرط، وذكر التوابع وغيرها مما يكتفى فيها بالحكم الإعرابي وحده، يستبعد كل ذلك ليبدل بلوه في صميم الفنون البلاغية، ويركز على الأسرار واللطائف التي يزجج فيها الدارسون عن الصواب، كأن يقول حين يتناول بلاغة الصفة: «التمت في النحو للتوضيح في المعارف والتخصيص في التكرات، ومضى أريد به ذلك كان ذكره واجباً في الكلام، ولا يصح أن نبحث عنه من هذه الناحية — لأنها نحوية خالصة — وإنما نبحث عنه إذا كان الكلام يتم بدونه، فيكون ذكره لأغراض أخرى غير هذا الغرض النحوي»، ص ٨٩.

ويقول في موضع آخر : إن منزلة عطف البيان في النحو منزلة الثمت يأتي للإيضاح والتخصيص أما هنا — في البلاغة — فيؤتى بعطف البيان لأغراض منها المدح والذم

والبدل شأنه هنا شأن التوكيد ، فليس للنحو منه إلا حظ الإعراب ؛ لأنه يأتي على نية تكرار العامل . ثم يسترسل ليذكر الأغراض البلاغية للبدل فيقول : وفيه مع هذا مزية الإجمال ثم التفصيل ، ص ٩١ إلى غير ذلك .

فهو يحاول جاهدا أن يعيد ترتيب أبواب البلاغة ، ويفصلها عن غيرها من أبواب العلوم الأخرى ، بدلا من الخلط بينها ، ونظمها جميعا في سلك واحد مما تتعذر معه الرؤية الفنية ، فأدى بهذا الفصل بين علوم البلاغة وغيرها من العلوم الأخرى إلى رؤية جديدة محددة تسير المنهج الحديث الذي يقوم على الاستقلال والتفرد ،

وفي الفصاحة والبلاغة لا يأخذ برأى الجاحظ الذي يرى أن البديع — وهو يشمل أنواع البلاغة كلها من معان وبيان وبديع — خاص بالعرب ، وأن من سواهم من شعوب الأرض قاطبة كان يجهل البديع جهلا مطلقا ، لا يأخذ بهذا الرأي ، وينصف اللغات الأخرى من تمسب الجاحظ للغة العربية ، فللغات الأخرى جمالها وبلاغتها وتأثيرها ، وشأنها في ذلك شأن العربية سواء بسواء ، فتراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ؛ بل إن للفرس أمثالا مثل أمثال العرب معنى وصناعة ، وربما كان اللفظ الفارسي يفوق في فصاحته اللفظ العربي ويضرب الأمثلة على ذلك ، (ص ٥ ، ٦)

هذا الإنصاف في الحكم دون التأثر بالعاطفة سمة من سمات العلماء ، خاصة في العصر الحديث . الذي ينظر فيه العالم للمسألة نظرة علمية محايدة ، دون جري وراء عاطفة ، أو وقوع تحت تأثير معين يفسد عليه عليه وحياده :

ويرى العلماء أن البلاغة أخص من الفصاحة ، بمعنى أن كل كلام بليغ يحمل في طياته الفصاحة ، وليس كل كلام فصيح يعد بليغا ، كالإسهاب في غير موضعه ، فالفاظة فصيحة توافرت فيها شروط الفصاحة ، إلا أنها استعملت في غير موضعها ، فعريت من البلاغة ؛ لأن البلاغة تتعلق بملاحظة أحوال المخاطب مع الإيضاح

(ح)

المعنى وتحسين اللفظ ، فإن فقد الكلام هذه الصفات ، فهو غير بليغ .
هذه الفكرة سادت عند علماء البلاغة ، وتناقلها العلماء جيلا بعد جيل ، وقرنا
وراء قرن حتى صارت بمثابة قانون يعمل به ، ولا يصح التخلف عنه ، وإذا
بالمؤلف ينتقد هذا الرأي الذى ساد فى كتب البلاغة كلها ، ويرى أن الكلام قد
يكون بليغا ولكنه لا يعد فصيحاً ، ويضرب مثالا يؤيد به هذا القول من شعر
إبراهيم بن العباس :

تم الصبا صبحاً بساكنة الغصن . ويصدق قلبى أن يهبة هبوبها
قريبة همدٍ بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

يقول : إن البيت الأول فصيح وبليغ ، والبيت الثانى بليغ وليس بفصيح ؛
لأنه عرى من نخامة الألفاظ وشذبتها وجوالتها ، يذكر هذا رأى نقلا عن أبى هلال
المسكى الذى رجح عنه بعد ذلك ، ونفى عنه البلاغة والفصاحة معا . (ص ١٠)
والحق أن الفصاحة والبلاغة لا تكون فى الألفاظ وحدها ، أو فى المعانى
وحدها ، وإنما فى تركيب الجملة ونظم الكلام ، أى فى أسلوبه ، وهو الرأى الذى
انتهى إليه عبد القاهر الجرجاني .

ويتحدث المؤلف عن غرابة الألفاظ التى تزدى إلى عدم الفصاحة فى الكلام ؛
فليس كل غريب عنده قبيح ؛ بل من الغريب ما هو حسن لا يقبح استعماله ، فليست
الغرابة إلا وصفا طارئا يزول بالاطلاع على معناه ، وقد جاء القرآن بألفاظ غريبة
استعملتها قريش وقد نزل بلغتها ، ولم تؤثر هذه الغرابة فى فصاحة القرآن ،
كقوله تعالى ﴿ وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا كَيْفَ تَارَى ﴾ نوح ٢٢ وقسوة
فى قوله تعالى ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَةٍ ﴾ المدثر ٥١ ،

أما الألفاظ المبتذلة ، وهى ما تسمى بالألفاظ العامة ، على النقيض من الألفاظ
الغريبة ، يرى المؤلف أنها أهون من أن تخل بفصاحة الكلام ؛ فلألفاظ العامة
مثل « صحيفة الشطار » ومثل كلمة « القمل » مقامات يقتضيها المقام شأنه فى ذلك
شأن ألفاظ الخاصة ، ومن أمثال الألفاظ العامة قول بشار :

(ط)

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت
وكقول أبي نواس في الرثاء :

يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

فالرابة أو الابتذال في الألفاظ لا تخلان بالفصاحة عنده إلا إذا وضعت
في غير موضعها .

فشيخنا لم يقف جامداً أمام هذه الآراء الذائعة التي أخذ بها القوم ، دون أن
يشذ واحد منهم ؛ لانه يرى أن لكل عصر مقوماته وضرورياته في استعمال ألفاظ
بعضها ، ولو استعملت هذه الألفاظ كما يقتضيها المقام لما أدخلت بالفصاحة ؛ بل يرى
أنها هي الفصاحة في جوهرها ، وهذا يذكرنا بالفنون الأدبية كالفن المسرحي ،
والفن القصصي والروائي حين يعرض الكاتب لشخصية ريفية أو شعبية ، فيضع
على لسانها ألفاظ الريف أو الأحياء الشعبية ، إمعاناً في الواقعية ، ولعلكي تساعد
هذه الألفاظ على إبراز الملامح الشخصية في جوهر الشعبي أو الريفي ، ولو وضع
غيرها لشعرنا إزاءها بالتكلف والسماجة ، ولا شك أن هذه الرؤية التي أخذ بها
شيخنا الصعيدي منذ أكثر من نصف قرن تدل على نظرات متطورة وأفكار تقدمية .

* * *

ويطرق المؤلف إلى علم المعاني فيذكر الفرق بينه وبين علم النحو الذي هو
اللبنة الأولى في أساس علم المعاني ، فالنحوي ينظر في دلالة الألفاظ على معانيها من
جدة الوضع ، وتلك دلالة عامة ، بينما البلاغي ينظر في فضيلة تلك الدلالة ومزاياها ،
وتلك دلالة خاصة ، وهذه الخصوصية من الحسن والجمال أمر وراء النحو والإعراب ،
إلا أن السكاكي (ت ١٢٦ هـ) والخطيب القزويني (ت ٢٣٧ هـ) قد غفلا عن هذا
الفرق بين نظر علم المعاني في الألفاظ ، ونظر علم النحو فيها ، فأدخلا كثيراً من
معاني النحو في مباحث البلاغة ، فإذا كان النحو ينظر في وجوه الكلام من حيث
الصحة والفساد ، فعلم البلاغة ينظر فيها من حيث رجحان بعضها على بعض ، والاختلاف
بعض هذه الألفاظ للمؤثرات في المعنى دون غيرها ؛ لأنها فقدت الحسن والتأثير ،
وهذه خاصية تفرد بها علوم البلاغة دون النحو .

ثم ينحو نحو أبواب علم المعاني فيحدث عن القصر ، ويصفه بأنه باب عظيم

(ى)

من أبواب البلاغة ؛ لما فيه من الإيجاز والتقرير ، فقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضجى عليها ونسببش حين نبطش قادرينا

ولنا الدنيا ، هذه العبارة أفادت القصر بسبب تقديم المسند على المسند إليه ، أى الخبر على المبتدأ ، وهذا القصر يفيد الإيجاز ؛ لأن هذه الجملة بمثابة جملتين اثنتين إحداهما مثبتة ، والأخرى منفية ، أى : الدنيا لنا ، والجملة الثانية : الدنيا ليست لغيرنا .

أما التقرير فيمثل له ببيت لببب في رثاء أخيه :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يخور رمادا بعد إذ هو ساطع

فالإنسان كائن حتى يلا أسماح الدنيا بأعماله وأقواله ، واسمه يلج في كل سماء ، وذكوره يجرى على كل لسان ، إلا أن صورته بعد موته تختفي ، ولمعانه ينطفئ ويصير رمادا بعد أن كان متوهجا ، هذه الصورة الحسية في تشبيه أخيه بالشهاب اللامع الذى يخبر لمعانه سريما تؤكد وتقرر المعنى الذى قصد إليه لببب في رثاء أخيه .

غير أن بلاغة القصر تشوبها كثرة التفسيرات التى تؤدى إلى التعميد والإملا ، من قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف ، ومن قصر أفراد ، إلى قصر قلب إلى قصر تعيين ، وهلم جرا ، وكل منها بدوره ينقسم إلى أقسام أخر ، وهكذا انقسم القصر بوفرة التفسيرات التى لا تفيد علم البلاغة ، وأشوه الغرض منها ، فهى المؤلف أن الانسياق وراء السكاكى ، ونزعته المطلقية ، وشغفه بوضع الجزئيات مذبذبة تحت السكليات ، هى التى أدت إلى هذه التفرعات ، وجعلت البلاغيين يتوجهون في هذا المسار ، ويتبعون خطاه في هذا المجال . (ص ٤٩)

هذه الأقسام التى ينبغى أن يعرض عنها البلاغيون ، يضيف إليها المؤلف مباحث أخرى ذكرها العلماء في القصر ، تهجد من شأن البلاغة وتذهب برونقها ؛ لأنها أحكام لغوية نحوية لا يصح أن توضع في الفن البلاغى ، كأدوات القصر ، وموقع كل من المقصور والمقصود عليه من هذه الأدوات ، وبيان جواز تقديم المقصور عليه على أداة الاستثناء أو عدم جوازه ، هذه أمور لا تعنى بالبلاغة في الصميم ، وإنما يكتفى من ذلك كله بأن المقصور عليه في العطف ببل ولكن هو ما بعدهما ،

(ك)

والعطف بلا هو ما قبلها ، وبالإلا ما بعدها ، وفي إنما هو المتأخر ، وفي التقديم هو المتقدم . وهو منهج شديد ينقضى الأبحاث البلاغية من كل ما هو دخيل عليها ، فهي لا تؤساند الفن البلاغى ، وإنما تشعبه وتزيد من أقسامه ، وتعمل على تفتيته ، فبعضه ضعف معه النفور ، ويزداد فيه الزهد (ص ٥١)

وحين يمرض المؤلف للجملة الاسمية والجملة الفعلية يقول : إذا كان وضع الجملة الاسمية على إقادة الاستمرار والثبوت ، ووضع الجملة الفعلية على إقادة التجدد والحدوث ، فإن الجملة الاسمية تدل على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية ، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الإسمية تفيد التوكيد للمعنى ، غيثر التعبير بالجملة الاسمية في بعض المقامات كقوله تعالى : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا : سلاما ، قال : سلام) (هود ٦٩) فسلاما جملة فعلية ؛ إذ التقدير : نسلم سلاما ، والثانى : سلام ، جملة اسمية ، إذ التقدير : سلام عليكم ، كأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ، أخذاً بأدب الله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) النساء ٨٦ (ص ٥٧) .

وفي حديثه عن تعريف الخبر بأل : يرى أن هذا التعريف يأتى لغرضين : الأول : لإقادة القصر ، أى قصر الخبر على المبتدأ كقول المتنبي :

أنت الحبيب وليكنى أحوذ به من أن أكون محبباً غير محبوب

أى : أنت الحبيب دون غيرك من الناس ادعاء ، كأن حبه لهم لا جدوى منه ولا فائدة ورأه . . .

الثانى : أن الخبر ظاهر لا يحمل له أحد كقول الشاعر

أسودت إذا ما أبدت الحرب نايها وفي سائر الدهر الغيوث المواطئ

أى لا يخفى على أحد أن هؤلاء الممدوحين فى — جميع الحالات — عدا حالة الحرب — غاية فى العطاء والجود ، كأنهم الغيث المطهر



وفى باب التقديم والتأخير ينفى المؤلف أن تكون لفاصلة القرآنية مدخل

(ل)

في البلاغة ، أو تأثير في الكلام ، فشان الفاصلة في مجردها من البلاغة شأن ضرورة الشعر ، وضرورة السجع ، لا تدعو إليه البلاغة ، فإذا جاءت الفاصلة في القرآن ، فالضرورة لا ترجع إليها وحدها ؛ إذ هي لا تتمدى مجرد الشكل ، ففي قوله تعالى : ﴿ قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ طه آية ٦٦ ، ٦٧

قدم الجار والمجرور في نفسه ، على الفاعل موسى ، وهذا التقديم لم يأت مجرد الفاصلة والتناسب في اللفاظ ، وإنما جاء التقديم للاهتمام بشأن السحر ، والمبالغة في الخوف الذي استولى على نفس موسى ، والاهتمام بإثباته له ، فالقرآن الكريم لم يقدم اللفاظ أو يؤخرها مجرد الاحتفاء بالوزن الموسيقي ، أو لتكون الآيات متوازية في أنغامها ، مذبذبة في أصداؤها ، فهي أمور شكلية لا يلقى إليها النظم القرآني اهتماما ، وإنما الإعجاز القرآني كما في هذا السياق جاء ليصير اللفظة مصرا بتأثير السحر والسحرة ، وبيان الخوف الذي دب في نفس موسى ، ولم يتلش إلا بعد أن طمأنه الله ، وشد من أزره .

هذا القول الذي نادى به المؤلف — رحمه الله — في كرن الفاصلة ليس لها أثر بلاغي ، عاقلنا في ذلك رأي البلاغيين قاطبة ، يعد منه جرأة محدودة ضد هذا السيل الجارف الذي يرى أن الفاصلة أساس في البلاغة ؛ بل هي سبب من أسباب الإعجاز ، كما ذهب الرماني (ت ٣٨٦ هـ) بأن الفاصلة بلاغة ، والاسجاع عيب ، وعمل ذلك بأن الفاصلة تنجح المعاني ، والاسجاع المعاني تابعة لها ، وعد الفاصلة قسما من أقسام البلاغة ، وهي أحد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (١)

ولا شك أن تصدى الشيخ الصعدي لهذا القيار الجارف الذي دعا إلى كون الفاصلة ذات أثر عظيم في بلاغة القرآن حتى عكست من وجوه الإعجاز ، ليقف مجاهرا بأن الفاصلة ليس تحتها كبير أمر في البلاغة العربية ، إلا إذا جاءت مشفوعة بنوع آخر من أنواع البلاغة ، كما رأى في الآيتين السابقتين ، لأن التقديم والتأخير لا يأتي لأجل مزينة الفاصلة وحدها .

وهكذا نرى المؤلف يتقل من رأى خطير إلى رأى آخر أشد منه خطرا ، دون

(٢)

أن يبالي بالآراء التي انتشرت واستقرت على مر الأزمان ، ودون أن يكثرت بقائل هذا القول أو ذاك ، وكل له شأنه وخطره وفضله في البلاغة العربية ، لم يعبأ بهذا كله ، ولم يحفل أن يقول قولاً يحرق على خلاف ما استقر عليه الأمر ، وإن أغضب القائلين والسائرين حل درجهم .

وفي الحديث عن حروف العطف : الواو والفاء وثم ، ينحى المعاني النحوية جانبا ؛ لأن لها علاقة وطيدة بالمعنى البلاغى ، وتكاد تكون متداخلة في باب من أهم أبواب البلاغة وهو الفصل والوصل ، يقول : وما هنا أمر لا بد من التنبيه إليه في هذه الحروف ، فالواو بدالاتها على مطلق الجمع يمكن أن تحمل في كل موضع مكان غير ها من هذه الحروف ، إلا أن صوغ الكلام حينئذ تتفاوت درجة بلاغته ، وانظر إلى قوله تعالى :

(والذي هو يطعمنى ويسقئ ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يمجئنى ثم يمجين) . الشعراء ٧٩ — ٨١

فلو قال قائل في موضع هذه الآيات : « الذي يطعمنى ويسقئ ، ويمرضنى ويشفين ، ويمجئنى ويمجين » ، لكان للكلام معنى تام ، ولكنه لا يكون كمنى الآية ؛ لأن الآية كل شيء فيها قد دُعِى بما يناسبه ، ووقع موقع السداد منه ، فالاول عطف بالواو التي هي لمطلق الجمع ، وقدم الإطعام على الإشفاء لمرعاة حسن النظم . والثانى : عطف بالفاء ؛ لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما .

والثالث : عطف بـ ثم ؛ لأن الإحياء للبعث يكون بعد الموت بزمان طويل (ص ٩٣)

فانظر إلى دقة التعبير بحروف العطف ، فالواو وإن كانت تصلح — نحويا — أن تؤدى معنى الفاء وثم ؛ لأنها لمطلق الجمع ، فهي تفيد تأخير المعطوف على المعطوف عليه ، سواء أكان هذا التأخير بمهلة أم دون مهلة ، فهي تتضمن — إذن — معنى الفاء ، كما تتضمن معنى ثم ، وعلى الرغم من ذلك إلا أن عدم الدقة في اختيار حرف العطف ، ووضع الواو بدلا من الفاء أو ثم نفتقد منه المعنى البلاغى

(ن)

المقصود بحسن النظم ، كما أن العبارة تكون قلقة لافتقارها الدقة .

وكما يرى المؤلف أهمية التدقيق في اختيار حروف العطف يراها أيضا في التقييد بحروف الجر ، وفي إظهار بعضها على بعض ، يكشف ما فيها من لطائف وأسرار ، فقد يبدو للوهلة الأولى أنه يجوز أن تضع حرفا مكان آخر ، وأكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها الثلاثة بها ، فيجعلون مثلا ما ينبغي أن يهرب إلى جرورا بنى وهكذا ، حتى إن الأمازيغ وصل بهم أن يزعموا أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، وليس الأمر كما يرى أصحاب هذه المراسم ، ولكني نرى مصداق ذلك انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنَّا لَأَيُّكُمْ لَهْدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فاستعمل حرفين من حروف الجر : « على » و « في » ، ولا نستطيع أن نضع أحدهما مكان الآخر ، ولولا احتمال المراد من الآية : فاللهدي بمثابة الحق الواضح ، فأدخل عليها الحرف « على » ، لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس يركض به حيث شاء ، والضلال بمثابة الباطل الصريح ، فاستعمل معه الحرف « في » ، لأن صاحب الباطل كأنه متخفي في ظلام لا يدرى أين يتوجه ، فهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام ، وهذه الأسرار واللطائف لا تكاد توجد إلا في القرآن ، الكريم فأعرفها وقس عليها .

* * *

وفي باب الفصل والوصل يتناول المؤلف مسائل بلاغية تتعلق بحروف العطف ، فيذكر أمورا دقيقة للغاية تغمض على الدارس المتخصص ، فيجليها ، ويضع الحدود الفاصلة بين ما ينبغي التسليم بصحته في النحو وفساده في البلاغة ، فيذكر في التفرقة بين صحة العطف بالواو في باب الفصل والوصل ، دون صحة العطف بالغاء ، فيصح أن تقول : « خرجت من المنزل فأمرت السماء » ، وعندها يتحقق المعنى النحوي ، وهو عطف جملة على جملة أخرى جاءت عقبها دون نظر إلى اعتبار وجود الجامع بين الجملتين .

ومن ثم لا يجوز العطف في هاتين الجملتين بالواو : لافتقارهما إلى الجامع الذي

(س)

يجمع بينهما ، ويوجد المناسبة ، فإذا قامت : « خرجت من المنزل وأمطرت السماء »
افتقدنا المناسبة بين الجملتين ؛ إذ لا جامع بين إمطار السماء والخروج من المنزل ،
فالعطف بالواو هنا لا يصح ، وإن صح العطف بالفاء ، قالوا ولم تأت هنا لإفادة
التشريك بين الجملتين كما يحدد منها علم النحو ؛ بل جاءت باعتبار أنها أداة وصل
لا غير ، وهذا المعنى الجامع لا يفيد غير ما من حروف العطف ، ولذلك فإن
العطف بالفاء غير معتبر في باب الفصل والوصل .

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى في باب الفصل والوصل ، أشد حساسية من غيرها ؛
لأن الأمور ثبتت فيها وتجمدت دون أن يعمل أحد من جلة العلماء فكره فيها ،
ويتناولها بالبحث والتنقيب حتى يتبين خطؤها أو صوابها ، فجمهور النحاة يرى
أنه لا يجوز العطف بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية ؛ لتفاوت الغرض فيهما ،
فالطلب والخبر لا يجتمعان ، ولكن الشيخ الصعدي رحمه الله يعترض على هذه
المصادرة ، ويفند هذا الرأي ، ويبين أن هذه الأحكام النحوية لا يصح أن يؤخذ بها
في المسائل البلاغية ، فأشهر علماء النحو فاطمة علي مر العصور أجاز هذا العطف ،
فقد جوز سيدي (ت ١٨٠ هـ) عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر مثل
أن تقول : « هذا زيد ومن همرو ؟ » هذه الفسكرة التي سجلها المؤلف منذ أكثر
من نصف قرن مستشهداً بسيدي على صحة عطف الإنشاء على الخبر تعتبر شيئاً
غريباً نادراً في زمننا هذا ، وأذكر أنني تناولت هذه المسألة في رساتي للدكتوراه
« أثر النحاة في البحث البلاغي » منذ أكثر من عشرين عاماً ، وضربت لصحتها
للعديد من الأمثلة القرآنية ، وناقشت فيها طلبية الدراسات العليا في رسائلهم
الجامعية منذ عهد قريب ، فكانوا ينظرون إلى هذه المسألة بشيء من الغرابة
والدهشة ؛ لأنها جرت على غير ما ألفوه ، ولكن هذه المسألة هي التي سبق أن
تناولها المرحوم الشيخ الصعدي . منذ أكثر من نصف قرن في كتابه « البلاغة
العالية » وغير ذلك كثير تراه بين صفحات الكتاب . ورحم الله الشيخ
عبد المتعال الصعدي ، وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه .

الدكتور عبد القادر عيسى
رئيس قسم البلاغة — جامعة الأزهر

• جمادى الأولى ١٤١١ هـ

٢٣ / ١١ / ١٩٩٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله حمداً يليق بجلاله ، ويباغ عظيم مَنِّه وإفضاله . والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بهوامع الكلام ، محمد سيد العرب والعجم ، وأفصح من نطق بالاضاد فيما غبر ، وفيما بقي من الزمن .

وبعد ، فإن الكلام في الفصاحة والبلاغة قد مرَّ إلى ههنا هذا في أربعة أطوار : أولاً يبتدىء من عهد الجاحظ إلى عهد عبد القاهر ، وثانياً يبتدىء من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي ، وثالثها يبتدىء من عهد السكاكي إلى عهد نهضتنا الحاضرة ، ورابعها يبتدىء بعد هذه النهضة إلى وقتنا هذا .

ويمتاز الطور الأول بأن الكلام فيه على الفصاحة والبلاغة كان أقرب إلى الأدب منه إلى البحث الفلسفي كما يظهر هذا بالنظر في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، وفي أشباههما من كتب هذا العهد .

ويمتاز الطور الثاني بأخذه في ذلك بشيء من البحث الفلسفي ، يسرف فيه أحياناً ويقصد فيه أحياناً أخرى ، ويحاول مع هذا ألاَّ يُفَسِّرَ ط في الصيغة الأدبية للطور الأول ، وأفضل مثال لهذا الطور كتابا عبد القاهر ودلائل الإيجاز ، ود أسرار البلاغة .

ويمتاز الطور الثالث بطغيان البحث الفلسفي فيه على الصيغة الأدبية التي امتاز بها الطور الأول ، وإن كل الكلام فيه على الفصاحة والبلاغة من الناحية العلمية ، وصار فيه إلى هذه العلوم الثلاثة المعروفة .

ويمتاز الطور الرابع بمحاولة القضاء على البحث الفلسفي في هذه العلوم ، وال أخذ بها في طريقة العلوم الرياضية بدل هذه الطريقة الفلسفية ، مسائل موجزة ، وتريعات شعرية وثرية ، وأجوبة عنها مةرونة بها ، أو مطلوب من المنعلم معرفتها .

وهذه الطريقة الرياضية هي التي تنزرو الآن سائر العلوم كما كانت تنزروها الطريقة الفلسفية قبلها، ولهذا سببه من طائفتان العلوم الرياضية على غيرها من العلوم بعد أن كانت الفلسفة صاحبة الطائفتان على غيرها في المصور السابقة.

والذي أراه أن كل طائفة من العلوم لها طريقتهما التي تناسبهما في التعليم ، فإذا طغت عليها طريقة غيرهما لم تحدث إلا فساداً فيها ؛ فطائفتان الطريقة الرياضية في علوم البلاغة غير محمود الأثر فيها ، كما أن طائفتان الطريقة الفلسفية فيها غير محمود الأثر أيضاً .

ولهذا كله وجدت الحاجة شديدة إلى وضع كتابي هذا « البلاغة العالية » في علوم البلاغة الثلاثة ، ليسير بها في الطريقة الثلاثة بها ، ويأخذ من غيرها بمقدار لا يظفي عليها ، ويكمل تمييز مسائل هذه العلوم بعضها عن بعض ، ويوضح عنها هذه المسائل المنحوية التي حقرت بينها من عهد السكاكي ومن أتى بعده ، وهذه مهمة لا أجد - فيما أعلم - أحداً حاولها قبلي ، والله أسأل أن يجعله عملاً نافعا ، وسبيلاً واشداً ؟

عبد المتعال الصعيدي

١٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ

البلاغة والفصاحة

(١) وجودهما في سائر اللغات :

مذهب الجاحظ :

من العلماء من يذهب إلى أن البلاغة والفصاحة إنما أثرت به العربية ، ولا توجد في غيرها من اللغات ، قال الجاحظ رحمه الله : (١) « ونحن أبقاك الله إذا أدعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صدق من الديباجة الكريمة ، والرواق العجيب ، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك إلا في اليسير ، والتبذ القليل . ونحن لا نستطيع أن ندلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير » .

ثم قال في موضع آخر (٢) : « إن البديع أمر خاص بالعرب مقصور عليهم ، وإن سواهم من شعوب الأرض كان يحمله جهلا مطلقا » .

مذهب أبي هلال :

والإنصاف في ذلك ما ذهب إليه أبو هلال العسكري من وجود البلاغة والفصاحة في كل اللغات ؛ وفي ذلك يقول (٣) : « العجم والعرب في البلاغة سواء ، فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٣ طبعة مطبعة الفتوح الأدبية ، مصر .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢١٢ (٣) ديوان المعاني ج ٢ ص ٨٩ طبعة مكتبة القدسي .

من اللسان الفارسي نحوها إلى اللسان العربي ، ويدلك على هذا أن تراجم
خطاب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطاب العرب ورسائلهم ، والفرس أمثال مثل
أمثال العرب معنىً وصنعةً ، وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ
العربي ، من ذلك قول العرب : **دَوَّلْتُكَ** من **دَعَيْتُ عَتَبَيْكَ** (١) ، وقول الفرس :
د هرك نژاد نرود ، واللفظ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ،
وقولهم **دكشند پند** ، مثل قول العربي **د من يسمع يحل** ، (٢) - سواء في المعنى ،
والفارسي أقل حروفاً - إلى أن قال - **د** وليس تصدنا لهذا المعنى فيطبل فيه ، ولكن
لا يراد أمثلة في البلاغة تكون مادة اصانع الكلام . فن ذلك قول أبرويز : **د** إذا
نزل الخول استكشف الفاصم ، يبحث على طالب النباهة والتماس جلائل الأمور ،
وقال بهرام جور : **د الحاکم میزان الله فی الارض** ، فوافق قول الله تعالى : **د والاعمال**
دفعها ووضع الميزان (*) ، يعنى العدل في الحكم ، ونحوه قول علي رضي الله عنه :
د السفر میزان القوم ، وقول الآخر **د العروض میزان الشعر** ، وقول أنوشروان
لابنه هرمز : **د لا یکن عندک لعمل البر غایة فی الکثرة** ، ولا لعمل الإثم غایة فی القلة ،
ووافق هذا من العربي قول الأفوه الأودي :

والخيرُ تزدادُ منه ما اقيت به والشرُّ یکنیک منه قلَّما زادُ

وقال أبرويز يوماً لجنده : **د لا یشحد امرؤ منکم سیفه حتى یشحد هقله** ، وأغان
المتنبی ألم بهذا فقال :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أولُ ، وهى المحلُ الثانى

(٢) اقوال القدماء فى معناهما :

ذكر القدماء أقوالاً كثيرة فى معنى البلاغة والفصاحة ، ولكنهم كانوا كما قال

-
- (١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل ، فتبنته كبشة ، فعربده
عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت **د ابنى ابنى** ، فأجابتها أمه بهذا المثل .
(٢) معناه أن من يسمع أخبار الناس ومعايهم يقع في نفسه عليهم المكروه .
(*) سورة الرحمن الآية ٧

بهاء الدين السبكي (١) لا يقتصرون بها حقيقة الحمد ولا الرسم ، وإنما كانوا يقتصرون ذكر أوصاف للبلاغة ، والتشويه ببعض ما يستحق التشويه من نواحيها .
أرسطو :

ومن تلك الأقوال ما حكى عن أرسطو أنه قيل له : ما البلاغة ؟ فقال :
« حسن الاستعارة » .

أكتف بن صيفي :

ومما قول أكتف بن صيفي في خطبة له : « البلاغة : الإيجاز » ،

بعض الهنود :

ومنها بعض الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواقع الفرصة » ،
ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح
وعراً ، وذلك مثل ما حكى أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان دخل على عبد الملك
ابن مروان وأراد أن يقدم معه على سريره ، فقال له عبد الملك : « ما بال العرب
تزعم أنك لا تشبه أباك ؟ فقال عبيد الله : والله لأنما أشبهه بأبي من الليل بالليل ،
والغراب بالغراب ، ولكن إن شئت أخبرتك عن لا يشبهه أباه . فقال عبد الملك :
من ذلك ؟ قال : من لم تنضجه الأرحام ، ولم يولد لتأم ، ولم يشبهه الأخوال
والأعوام . فقال عبد الملك : ومن ذلك ؟ قال : سويد بن منجوف ، فقال
عبيد الملك : أكن ذلك أنت يا سويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا قال عبيد الله لسويد :
وربما بك زفادى ، والله ما يسرنى بهلك حتى محترئ الدَّعَم ، فقال سويد :
وأنا والله ما يسرنى أنك تقصته أحرقاً وأن لي سوداً النعم ، وإنما كان عرض
بعبد الملك وكان ولداً لسبعة أشهر .

ومن البصر بالحجة ما روى أن شاهراً أقام بباب معين بن زائدة حولاً
لا يصل إليه ، فكتب إليه رقعة ودفعها إليه :

(١) حروس الافراخ في شرح تلخيص المفتاح ص ١٣٠ ج ١ من فروع
القلخيص ، المطبعة الأميرية .

إذا كان الجرادُ له حجابٌ فما فضلُ الجرادِ على البخيلِ
فكتبه معن فيها :

إذا كان الجرادُ قليلَ مالٍ ولم يُعَدَّر تملُّكُ بالحجابِ
فأنصرف الرجلُ يائساً ، ثم حمل إليه معن عشرة آلاف درهم .

ومن أفرأهم في البلاغة ما حكى عن ابن المقفع أو غيره أنها تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير الباطل في صورة الحق ، ومن تصوير الحق في صورة الباطل قول عبد الملك بن صالح في المشورة : « ما استشرت أحداً إلا تكبر على وتصاغرت له ، ودخلته العزة ودخلتني الذلة ، فملك بالاستبداد ؛ فإن صاحبه جليل في العيون ، مهيب في الصدور ، وإذا افتقرت إلى القول حقرتك العيون ، فتضعف شأنك ، ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما هن سلطان لم ينته عقله عن عقول وزرائه ، وآراء نصحاائه . »

ومن تصوير الباطل في صورة الحق قول الجارث بن حلزة :

هَيْشِي بِمَجْدٍ (١) لَا يَضِيرُكَ التَّوَكُّ (٢) مَا لَا فَيْعَ جَدًّا
وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ لِ التَّوَكُّ مِنْ عَاشِ كَيْدٍ (٣)

ذم البلاغة الساجرة :

وقد يذم هذا النوع من البلاغة ، كما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « دوفد إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، فقال الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم ، والحجاب منهم ، آخذ لهم بحقوقهم وأمنهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك — يعني عمرا — فقال عمرو : أجل يا رسول الله إنه لمانع لمخزته ، مطاع في عشيرته ، شديد العارضة فيهم ، فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيقَ العَطَشِ (٤) ، كَرَمٍ (٥) المروءة ، أحق الأب ، لئيم الحال ، حديث الغنسى . فرأى الكراهة في وجه رسول الله لما اختلف قوله ،

(١) الجند : الحظ
(٢) التوك : الجهل
(٣) السكد : شدة العمل .
(٤) العطش : المتأخر حول المورد .
(٥) واخن .

فقال : يا رسول الله رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وعصيتُ فقلتُ أقبحَ ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية . فقال رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة . وأكثَرُ الناس يحمِلون هذا من النبي ﷺ على المدح لهذا البيان ، ومنهم من يحمِلُه ذمًّا له ، وقال ابنِ رُشيق (١) : والذي أراه أن هذا النوع من البيان غير صحيح ، لأنه لم يحمِلِ الباطل حَقًّا على الحقيقة ، ولا الحق باطلا ، وإنما وصفَ عاصي كل شيء مرة ، ثم وصفَ مساوية مرة أخرى . وأقوال القدماء كثيرة في البلاغة ، وأما أقوالهم في الفصاحة فنادرة ، وكان أكثرهم لا يفرق بينهما في المعنى .

أفلاطون :

وقد نقل عن أفلاطون أن الفصاحة لا تكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجود ومفروض .

العاص بن عدي :

وقال العاص بن عدي : « الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان وزين ، واللسان في كلامه اللفظ ، والزين الذي فيه نخامة وجزالة » ، وقال بعضهم : « الفصاحة تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ أيضا ، لأن الآلة وهي اللسان تتعلق باللفظ دون المعنى » .

(٣) تعريفيهما :

كان القدماء يذهبون في بيان معنى كل من البلاغة والفصاحة هذه المذاهب ، إلى أن جاء عهد تدوين العلوم التي تبحث في أمرهما ، فأخذ العلماء يقرّبون من تحديد معنهما

تعريف أبي هلال :

وعرّف أبو هلال العسكري البلاغة فقال (٢) : « إنها مأخوذة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، فهي كل ما يُبْلَغُ به المعنى قلب السامع فتُمكنُه

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده ج ١ ص ١٦٥ « مطبعة هندية » .

(٢) كتاب المناقبين ص ٦ « طبعة الاستانة » .

في نفسه لِنَمَكْتِه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، . فالإبلاغة
عنده لإيضاح المعنى وتحسين اللفظ ممّا ، وأما الفصاحة فذكر أنهم اختلفوا فيها ،
فقال قوم : إنها مأخوذة من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، وعلى هذا
ترجع الفصاحة والإبلاغة إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما في اللغة . وقال
بعض العلماء : إن الفصاحة تمام آلة البيان ، وعلى هذا تكون الفصاحة مقصورة على
اللفظ وحده ، وليكون من الكلام ما هو فصيح وليس بليغ ، كما يسمى البيناء
فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، لأنه يقيم الحروف ولا يقصد إلى المعنى الذي تؤديه .
وقال قوم : إن الكلام لا يسمى فصيحاً إلا إذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ،
جميل السبك ، غير مستكره ولا متكلف ، وجمع إلى هذا غرامة وشدة جزالة ، وعلى
هذا يكون من الكلام ما هو بليغ وليس بفصيح ، كقول إبراهيم بن العباس :

تمر الصبّا (١) صفحاً بساكنة الغضا ويصدج قلبي أنت يهب هبوبها
قريبه همدٍ بالحبيب وإنما هو كل نفس حيث حلّ حبيبها
فالبيت الأول فصيح وبليغ ، والبيت الثاني بليغ وليس بفصيح ، لأنه ليس
فيه غرامة ولا شدة جزالة . ولكن أبا هلال عاد بعد هذا فذكر (٢) أن مدار الإبلاغة
على تحسين اللفظ وحده ؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي ، والقروى والبدوى
إنما الشأن في جودة اللفظ ، وصفاته ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أورد
النظم والتأليف ، ولا يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ، ولا يتشع من اللفظ هذا
حتى يكون على تلك الأوصاف السابقة ، فإذا خلا منها لم يكن بليغاً ، وإن بلغ
معناه ما بلغ ؛ وهذا كقول أبي تمام :

مستسلم لله سائس أمة بذوى تجرّهم (٣) له استسلام
فإنه صواب اللفظ ، وليس هو بحسن ولا مقبول ، وهذا بخلاف قول
كثير غزوة :

ولما قضينا من ميني كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

(١) الصبا : الریح الشرقية . ويقال مر بكذا صفحاً إذا مر بجانبه ولم يؤثر فيه ،

(٢) كتاب الصناعات ص ٤٢ (٣) الجهمشمة : الثوب والغلبة .

وتشدت على محدب^(١) المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رافع
أخذنا بأطراف الأحاديث بينما وسالت بأعناق المطى الأباطح
فليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى ، ولكنها رائقة معجبة .

تعريف عبد القاهر :

وقد اضطرب الشيخ عبد القاهر الجرجاني في أمر البلاغة والفصاحة اضطراب
أبى هلال العسكري ، فهما مترادفان عنده قطعاً ، ولكنه مرة يذهب إلى أنها
يرجعان إلى المعنى دون اللفظ ، ومرة يذهب إلى أنها يرجعان إلى اللفظ دون المعنى .
ويؤخذ من كلامه أنها مذهبان قديمان يرى ثانيهما الجاحظ ، ويرى أولهما غيره ،
وقد حاول الخطيب القزوينى^(٢) أن يجمع بين كلامى عبد القاهر في ذلك بحمل كلامه ،
حيث نفى أن الفصاحة والبلاغة من صفات اللفظ على نفى أنهما من صفات المفردات
من غير اعتبار التركيب ، وحيث أثبت أنهما من صفاته على أنهما من صفاته باعتبار
إفادته المعنى عند التركيب^(٣) ، وقيل إنه لا يرى الفصاحة والبلاغة في اللفظ ولا في
المعنى ، وإنما هما عنده في نظم الكلام ، أى في الأسلوب ، والنظم عنده عبارة عن
توخى معانى النحو فيما بين الكلام ، وذلك كالقديم والتأخير ، والذكر والخذف ،
والتعريف والتنكير ، وما إلى ذلك ، وهذا كما في قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذ كتبنا دهر وأسكر صاحب
تكون من الأهواز دارى بنجوة ولكن مقادير جرت وأمور
والى لأرجو بوم هذا مجدداً لأفضل ما يؤتى أخ وزير

فلا تجد ما فيه من الروق والطلاوة إلا من أجل تقديمه الظرف الذى هو
« إذ نبا » على عامله الذى هو « تكون » ، وأن قال « تكون » ، ولم يقل « كان » . ثم تنكّر
الدهر وساق هذا التنكير في جميع ما أتى بعده ، ثم أن قال « وأسكر صاحب » ولم
يقول « وأسكرت صاحباً » وكل ذلك من معانى النحو كما ترى . ولا يريد الشيخ عبد القاهر

(١) المهارى : جمع مهيرة منسوبة إلى مهرة . وحدها : مهازيلها جمع حذباء .

(٢) شرح الإيضاح ج ١ ص ٢٩ (المطبعة المحمودية التجارية)

(٣) مقدمة نقد النثر ص ٢٨ (مطبعة دار الكتب المصرية) .

من هذا أن المزية واجبة لهذه المعاني النحوية في أنفسها ، وإلا وجب أن يروك التشكيك أبداً ، أو التعريف أبداً ، وهكذا ، وإنما يحسن ذلك عنده بإصابعه مواقفه وموافقته أغراضه ، على ما سيأتى من اعتبار المطابقة للمتضمن الحال في معنى البلاغة ، وبهذا يظهر أن اعتبار هذه المعاني عنده في الفصاحة والبلاغة غير اعتبارها في علم النحو ، فاعتبارها في البلاغة يقوم على تلخيصها على أغراضها ودواعيها في الكلام ، واعتبارها في النحو يقوم على بيانها في أنفسها ليكون الكلام صحيحاً لا خطأ فيه ، ولكن يجب أن يعرف أن البلاغة والفصاحة لا تقومان على توخي معاني النحو وحدها عند عبد القاهر ، كما قيل فيما سبق ، بل تقومان عنده على ذلك وعلى غيره من الإيجاز والاعتماد ، والمجاز والسكناية ، وغير ذلك من المعاني البيانية والبيديعية الآتية ، وقد قال في البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة إنه لا معنى لهذه العبارات وما يجرى مجراها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتامها فيما كانت له دلالة ، وذلك بأن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار اللفظ الذي هو أحسن به ، واكتشف عنه ، وأتم له .

تعريف الخفاجي :

وقد ذهب ابن سنان الخفاجي (١) إلى أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، أما البلاغة فلا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ، وعلى هذا لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثيلها إنها بليغة ، وإن قيل فيها إنها فصيححة فكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغ ، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه ، والفصاحة على ذلك شطر البلاغة وأحد جزأيها ، ولها شروط إذا تكاملت في الألفاظ فلا مزيد على فصاحتها ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من المدح ، وبوجود أضدادها تستحق الإطراح والذم ، وألك الشروط تنقسم قسمين : فالأول منهما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن يضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه ، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض ، وقد قام كتابه على تفصيل تلك الشروط ، وبيان ما يخل بالفصاحة والبلاغة في الكلام ، وما يتحققان به فيه .

(١) سر الفصاحة من ٥٥ . المطبعة الرحمانية »

تعريف السكاكي :

وهذه السكاكي (١) إلى أن البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص الأراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والجاز والسكناية على وجهها . وقسم الفصاحة إلى قسمين : قسم يرجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد (٢) ، وقسم يرجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية لا بما أحدثه المولودون ، ولا بما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون سليمة عن التنافر . وعلى ذلك لا تكون الفصاحة عنده لازمة للبلاغة كما يرى ابن سنان الخفاجي .

تعريف الخطيب :

وقد جاء الخطيب الغزويني بعد هؤلاء الأئمة ، ففصل في كتابه د تلخيص المفتاح ، ود الإيضاح ، ما أجلاه من ذلك أحسن تفصيل ، وهذا به أجل تهذيب ، فقسم الفصاحة إلى قسمين : فصاحة في الكلمة ، وفصاحة في الكلام ، أما البلاغة فلا تكون إلا في الكلام وحده .

الفصاحة في الكلمة :

والفصاحة في الكلمة عنده خلوصها من ثلاثة أشياء : تنافر الحروف ، والغرابية ، ومخالفة القياس اللغوي .

تنافر الحروف :

وتنافر الحروف : وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها ، كما يرى أن أعرابيا سئيل عن ناقته فقال : « تركتها ترعى الزمزم » (٣) ، وكما قال ابن جهمدر :

حلفت بما أرقلت حوله همتز جملة خلتها شيفظم
وما شيفرقت من تشوفية بها من وحى الجن زير يرم (٤)

(١) مفتاح العلوم ص ٢٢٠ « المطبعة الأدبية »

(٢) يعني به التعقيد اللفظي ، أما التعقيد المعنوي ، فخلوص الكلام عنه يدخل عنده في البلاغة لا في الفصاحة . وسيأتي بيانها .

(٣) هو اسم شجر وقيل لأنها كلمة معاينة لا أصل لها .

(٤) أرقلت : أسرعت ، والهمز جلة : الفاقة السريعة ، والشيفظم : الطويل ،

وشيفرقت : قطعت ، والتشوفية : المقازة ، والوحى : الصوت الخفي ، والزير يرم : تحكاية أصوات الجن ، وهو عمل الشاهد من البيتين .

ومن ذلك ألفظ مستشور في قول امرئ القيس :

وفريق يزين المني أسود فاحم
أثيث كغدير الخلة الممتعة شكير
غدا تروهم مئة تسفورات إلى العلا
فضل النعمة أرى في مشنكي ومزسل (١)

يشبه فرعها بقنو النخلة المتراكم ، وفي ذلك خشونة ظاهرة .

وقد يغتفر اللفظ من ذلك إذا لم يكن هناك لفظ غيره يدل على معناه ، والمعول في إدراك التنافر على الذوق الصحيح وهو لا يرجع في إدراكه إلى ضابط معروف ، أو قاعدة مطردة ، وقد ذهب ابن سنان الخفاجي إلى التعمول في ذلك على مخارج الحروف ، فإذا تركبت الكلمة من حروف متباعدة المخارج كانت سهلة النطق ، وإذا تركبت من حروف متقاربة المخارج كانت ثقيلة النطق ، وهذا أمر لا يدكر تأنيده في النطق بالكلمات ولكنه غير مطرّد ، وهناك كلمات كثيرة مركبة من حروف متقاربة وهي مع هذا سهلة النطق ، مثل كلمة الشجرة والجيش والفم ونحوها .

وقد يحصل ثقل النطق من طول بعض التكرارات مثل لفظ «سويداواتها» (٢) في قول أبي العلي :

إن الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا مسويقة وإيتا
ولكن ذلك لا يطرد أيضا، وقد ورد منه غير مستعمل مثل قوله تعالى :
(ليس مثلهم في الأرض) (٢) ، (فسيقفيكم الله) (٣) .

على أن هذا امرأ يجب ألا يغفل عنه ، وهو أن أصول الابنية لا تحسن إلا في الثلاثي وبعض الرباعي ، أما الخماسي الأصول نحو صهصكقي وصهصمشرش وما جرى مجراهما فإنه قبيح ، وقد خلا القرآن الكريم من مثل ذلك إلا ما كان مستترًا من أسماء الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل ونحوهما ، وقد ينقل بعض

(١) الأثاث: الكثير، والقنور: المنقود، والمتعشك: المتراكم، والمستشورات: المرتفعات، والمداري: الأمشاط.

(٢) هذا ونحوه عما معنا أيضا ؛ لأن المراد بالكلمة ما قابل المركب التام ،

(٣) سورة النور الآية ٥٥ (٤) سورة البقرة الآية ١٣٧

الأسماء الثلاثية مثل كلمة "الظُّش" ، وهو الموضع الحسن .

الغرابة :

والغرابة : أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الخالص ، بخلاف المولدين لأنه يخفى عليهم كثير مما كان مأنوس الاستعمال عند العرب ، ولا يضر هذا في فصاحته ، والغرابة تكون بسببين : أولهما أن تكون الكلمة بحيث يحتاج في معرفة معناها إلى بحث وتنقيب في كتب اللغة ، كما روى عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمارة فاجتمع عليه الناس فقال لهم : ما لكم تكلموا كائهم على ؟ تكلموا ككهم على ذي جيفة ١٦ افرنقوا عنى (١) .
وكقول تأبط شراً يصف ابن غم له بكثرة الترحال :

يظل بمومة ويسمى بغيرها جحيشاً ويعرورى ظهور المسالك (٢)
وكقول المتنبي :

وما أَرْضَى لِقائَه بِحِلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ نَوْمُهُ ابْتِشَاءً كَتَا (٣)
ومتى كانت الكلمة بهذا الوصف فإنها تكون غير فصيحة ولو أصبح معناها معروفاً لنا بعد البحث والتنقيب عنه ، والمدار في غرابة الكلمة على عدم ظهور المعنى الموضوع له فلا يدخل في ذلك مثلاً به القرآن الكريم وبمثل ، فإن معناها الوضع لا غرابة فيه ، وإنما التشابه والابهال في مراد الله منهما : كما في قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) (٤) و (الرحمن على العرش استوى) (٥) ، وقد وقع مثل ذلك في الشعر كقول أبي تمام :

وَلَهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءُ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلَمٌ
فإن الوله والظلمة والإضاءة أشياء مفهومة ، ولكن البيت بجملة يحتاج فهمه إلى استنباط ، والمراد به أنها ولهت فأظلم ما يبنى ويلبثها من الجزع لوطها ، ووضح لي منها ما كان مستترا عنى من حبها لي .

(١) تكلموا كائهم : اجتمعتم . افرنقوا : انصرفوا . (٢) المومة : المفازة ، وجحيشاً : فريداً ، ويعرورى : يركب فرسه هرباً . (٣) الابتشاك : الكذب .
(٤) سورة الفتح الآية ١٠ (٥) سورة طه الآية ٥

الغريب القبيح والحسن :

وقد ذكر ابن الأثير (١) أن الغريب ينقسم إلى قسمين : غريب قبيح، وغريب حسن ، والاول هو ما كان ثقیل النطق لتنافر حروفه ، والثاني ما كان سهل النطق لعدم تنافر حروفه ، والناس في استعياج الاول سواء ، لا يختلف فيه عربي باد ، ولا قروي متحضر ، وأما الثاني فيختلف استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ، وهو الذي لا يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً ، وهو عندنا وحش ، وقد تضمن القرآن معه كلمات ممدودة هي التي يطلق عليها غريب القرآن ، وكذلك تضمن الحديث منه شيئاً هو الذي يطلق عليه غريب الحديث ، وقد كان النبي ﷺ لا يلجأ إليه إلا نادراً أو مع أهله ، كما ورد في حديث النبي ﷺ مع طفلة بن أبي ذهير الهذلي ، وقد وفد عليه في قومه فقال : « أتيناك يا رسول الله من محوّرسي » (٢) تهامة ، على أكوار (٣) الميس ، ترعى بنا العيس (٤) ، نستحاب الصبيير (٥) ونستحلب الحبيير (٦) ، ونستعصد البرير (٧) ، ونستحيل الرّهام (٨) ، ونستحيل (٩) الجمام ، في أرض غائلة النطاء (١٠) ، غليظة الوطاء ، قد نشيف السمندهن (١١) ، وييسر الجهم (١٢) ، وسقط الاملوج (١٣) ، ومات العسكوج (١٤) ، وهالك الهدى (١٥) ، ومات الودى (١٦) ، بوتنا إليك يا رسول الله من الوثن والفثن ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشريعة الإسلام ، ما طما البهر ، وقام تعار (١٧) ، ولنا ناعم مهمتل أغفال (١٨) ،

(١) المثل السائر ص ٦١ (٢) الغور : ما انخفض من الأرض (٣) جمع كور وهو الرجل ، والميس : شجر صلب (٤) الإبل الأبيض مع شقرة يسيرة واحدها أيس وعيساء (٥) سحاب أبيض متكاثف (٦) النبات والعشب ، واستخلاه : احتشاه (٧) ثمر الأراك ، واستعضاده : جثته (٨) الأمطار الضعيفة واحدها رهمة (٩) السحاب الذي فرغ ماؤه يعني أنهم لا ينظرون من السحاب في حال إلا إلى جهام من قلة المطر (١٠) لنطاء البعد ، أي تقول سالكما بعدها (١١) نقرة في الجبل يجتمع فيها المطر (١٢) أصل النبات (١٣) ورق من أوراق الشجر يشبه الطرقاء والسر (١٤) الفصن الحديث الطلوع (١٥) ما يهني إلى البيت ، والمراد الإبل كلها (١٦) صغار النخل (١٧) تعار : اسم جبل (١٨) مهملة ، وأغفال : جمع غفل يعني لا البان لها .

ما تَبَيَّنَ بِلَالٌ (*) وَوَقِيرٌ كَثِيرُ الرَّمَلِ ، قَلِيلُ الرِّسْلِ (١) ، أَصَابَنَا سَنَةٌ حَرَاءُ
مَمُوزِلَةٌ (٢) ، لَيْسَ لَهَا عَتَلٌ وَلَا نَهْلٌ (٣) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَ فِي
مَخْضِهَا (٤) وَمَخْضِهَا وَكَفَّةِهَا وَفَسَّرَ قَوْمًا (٥) ، وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّيْمِ (٦) ،
بَيَانُ الثَّرِّ ، وَانْتِجَرُوهَ الْتَمَتَدَ (٧) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ
كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ،
لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعِ الشِّرْكِ (٨) . وَوَضَائِعُ الشُّمْلِكِ (٩) ، لَا يُبْلَغُ طَلُوعُ
فِي الزَّكَاةِ (١٠) ، وَلَا يُبَالِغُ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا يُبْدِ شَاغِلٌ عَنِ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ رَأَى (١١) أَنْ يَقِيدَ مَنَعَ اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ الْحَسَنَ لِغَيْرِ الْعَرَبِ بِالنَّهْرِ دُونَ الشَّغْرِ ،
وَاسْتَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ لَفْظَ « مَشْمُورٍ » فِي آيَاتِ بَشَرٍ فِي وَصْفِ الْأَسَدِ :

وَأَطْلَقْتُ الْمَهْمُودَ مِنْ يَمِينِي فَقَدْتُ لَهُ مِنْ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
فَتَحَنَّنْتُ مُهَضَّرًا جَاءَ بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْتَمِعًا خَيْرًا

، قَالَ : وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي خُطْبِ الشَّيْخِ ابْنِ نَبَاتَةَ ، كَقَوْلِهِ فِي خُطْبَاتِهِ
يَذْكُرُ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ : « أَقْطَرُ وَبَالِهَا ، وَاشْتَهَرَ نَكَلُهَا ، فَا طَابَتْ وَلَا سَاعَتْ . » ثُمَّ
قَالَ : « وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَسُوغُ اسْتِعْمَالُهُ فِي السَّكَلَامِ الْمَشْهُورِ يَسُوغُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَنْظُومِ
دُونَ الْعَكْسِ ، وَذَلِكَ شَيْءٌ اسْتَنْبَطُهُ وَدَانِي حَلِيلُهُ الذُّوقُ . »

لَا يَبِخُ عَلَى الْغَرَابَةِ لِصَدِّمِ الْأَلْفِ

وَالَّذِي أَرَادَ فِي هَذَا أَنْ الَّذِي يَقْبَحُ اسْتِعْمَالُهُ مِنَ الْغَرِيبِ هُوَ الْغَرِيبُ الْقَبِيحُ ، وَنَحْنُ
فِي ذَلِكَ وَالْعَرَبُ سَوَاءٌ ، وَأَمَّا الْغَرِيبُ الْحَسَنُ فَلَا يَقْبَحُ اسْتِعْمَالُهُ فِي كَلَامِنَا وَلَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ
وَلَا فِي النَّثْرِ وَلَا فِي النِّظْمِ ، وَلَيْسَتْ الْغَرَابَةُ إِلَّا وَصْفًا طَارِئًا فِيهِ ، يَزُولُ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى

(٥) لَا يَقْطُرُ مِنْهَا لَبَنٌ .

- (١) يَعْنِي مَوَاشِي كَثِيرٍ عِنْدَ مَا يُرْسَلُ مِنْهَا إِلَى الرَّعْيِ ، لَكُنْهَا قَلِيلَةٌ لِلْبَنِ .
- (٢) مَوْقِعَةٌ فِي الْأَزْلِ وَهُوَ الضُّيُوقُ (٣) لِلنَّهْلِ : أَوَّلُ الشَّرْبِ ، وَالْعَالُ ثَانِي الشَّرْبِ .
- (٤) الْمَخْضُ : اللَّبَنُ الْخَالِصُ (٥) الْمَذَقُ : اللَّبَنُ الْمَخْلُوطُ بِالْمَاءِ . وَالْفَرْقُ مِثَالُ اللَّبَنِ .
- (٦) الْخَصْبُ (٧) الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، أَيْ أَفْجَرُهُ لَهُمْ حَتَّى يُصِيرَ كَثِيرًا . (٨) مَا كَانُوا
- اسْتَوْدَعُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي شَرْكِهِمْ . (٩) مَا يُوَضَّعُ عَلَيْهِمْ مِنَ الزَّكَاةِ لَا يَزَادُ عَلَيْهَا .
- (١٠) لَا يَمْنَعُ حَقًّا . (١١) الْمَثَلُ السَّائِرُ ص ٦٤ .

معناه ، وقد جاء القرآن بالفاظ غريبة في معناه فاستكثرتها قريش وقد نزل بلغتها فلم يؤثر هذا في فصاحته مثل لفظ الرحمن^(١) في استعماله ارباباً لله تعالى ، ولفظ دكبار^(٢) ، في سورة نوح ، ولفظ دقسورة^(٣) ، في سورة المدثر .

القراءة لبعد التخريج :

والثاني : ألا تخرج الكلمة إلا على وجه بعيد ، وهذا إنما يكون اذا وقعت من عربي محتج بلغته ، فلا يصح حملها على الخطأ ، بل تخرج على وجه من الوجوه ، كما في قول العجاج :

❖ ولاحماً وممرسناً ممرسجاً^(٤) ❖

إن قوله "ممرسجاً" اسم مفعول من سرج بتشديد الراء ، وهذه الصيغة قد تأتي للنسبة مثل كرمت فلاناً بمعنى نسبتته إلى الكرم ، ولكن ذلك يكون بمعنى نسبة الشيء إلى أصله كالكرم ونحوه ، ولا شك أن مثل هذا لا يمكن في سرج وما أخذ منه ، وقد تكلفوا له أصلاً ينسب إليه ، وقالوا إنه يدل على النسبة إلى السراج أو السيف السمرنجي ، على معنى أنه في البريق كالسراج ، أو في المدقة والامتواء كالسيف ، ووجه البعد في هذا التخريج أن هذه الصيغة تدل على نسبة الشيء إلى أصله كما سبق ، ولا تدل على ذلك التشبيه ، وقد قيل إن هذا صيغة تشبيه لا صيغة نسبة مثل كرم ونحوه ، فيكون من قبيل التشبيه المحذوف الأداة مثل التشبيه في هذا البيت :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس ومدةً
ورداً وعصت على العنشاب بالبرد
وقد جاء لذلك نظائر في اللغة مثل مدة نر من الدينار ، مدة تهب من الذهب

(١) وقد قال الله تعالى في ذلك ﴿ ولما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا ﴾ سورة الفرقان : الآية ٦٠ ولم يكن هذا الاسم مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم .

(٢) قيل إنها لغة يمانية (سورة نوح آية ٢٢) .

(٣) قيل إنها الاسد بالحيشية (سورة المدثر آية ٥١) .

(٤) الفاحم : الشعر الشديد السواد ، والمرسن : الأنف .

ومُسْتَك من المسك ، ومُفْلَق من الفلفل ، ومن ذلك قول يزيد بن المُنَرِّغ :
وَبُرُودٌ مُدَنَّتْ رَاتٍ وَقَزْتُ وَمَلَأْتُ مِنْ أَهْقِ السَّكَنِانِي
والمعنى في هذا على التشبيه أيضاً ، أى برود وشبهها كالأنانير .

غرابية التخريج من مخالفة القياس :

على أن الذى أراه أن الحل على الخطأ في ذلك أولى من تكافئ تخريج له ،
ولا فرق عندى فيه بين عربى ومولد ، وأن مثل هذا يلحق به أن يعدّ في مخالفة
القياس الآتية ، وإذن لا يبقى في الغرابية شيء يصح أن يعدّ فيما يميل بنصاحه
السكامة ، ومن الناس من يعدّ استعمال المشترك في أحد معنياه بدون قرينة من التقسيم
الثاني من الغرابية .

مخالفة القياس :

ومخالفة القياس ألا تكون السكامة جارية على العرف العربى الصحيح ، ويدخل
في هذا كل ما ينكره أهل اللغة ، ويردّه علماء العربية ، وقد يكون ذلك لأجل أن
اللفظة غير عربية كما أنكروا على أبى الشيبى قوله :

وجناح مقصوص تحيِّف ريشه ريب الزمان تحيِّف المقرض

لأن المقرض لم يستصح إلا مثنى ، وقد أجاز سيديويه إفراده .

وقد يكون ذلك لاستعمال السكامة في غير ما وضعت له في عرف اللغة ، كما
قال أبو عبيدة :

يشقُّ عليه الريحُ كلَّ عشيةٍ جيوب الغمام بين بكرٍ وأيم

فوضع « الأيم » مكان « الثيب » ، وليس الأمر كذلك ، لأن الأيم التى
لا زوج لها ، بكرأ كانت أو ثيباً .

وقد يكون ذلك لشذوذ السكامة ، كشذوذ الحذف في قول النجاشي :

فلمستُ بآتيه ولا أسستعليه ولاك اسقنى إن كان مأوك ذا فضل

أراد : ولكن اسقنى .

كشذوذ الزيادة في قول للشاعر :

تنفى يداها الحصى في كل هاجرة تنفى الدراهم تنشقاد الصيارين

يريد الدرام والصيارف .

وكذلك الإدغام في قول أبي النجم :

الحمد لله الملقب الأجل . الواهب الفضل الوهب الجزل
والقياس الصرفي « الأجل » ، إلى غير ذلك من اللغات الشاذة التي « هجر »
استعمالها ، وقد جاء في القرآن الكريم بعض منها ذكره السيوطي في كتابه « الإتيان »
لأنه لم يكن في لغة قريش لفظ بمعناها ، أو غير ذلك مما دعا إلى ذكرها فيه . وقد
تبيح ضرورة الشعر بعض هذا الشذوذ ، كما تبيح قصر الجمع المحدود ، ومدّ الجمع
المقصور ، وبعض علماء اللغة لا يفتقر للشاعر شيئاً من ذلك ، ولا يفرق فيه بين
شعر ونثر ، ولعل هذا هو الذي يجب أن يعمل به .

وقد ترك الخطيب أمراً هذه ابن سنان الخفاجي (١) وابن الأثير فيما يخل
بفصاحة الكلمة ، وهو أن تكون الكلمة مبتدلة ، وذلك على ضربين : أولهما :
أن يكون اللفظ دالا على معنى في أصل اللغة فتجمله العامة دالا على معنى آخر
يكره ذكره أو لا يكره ، كقول أبي الطيب :

أذاق الغواني محسنه ما أذقني وعف فجارا من عني بالصبرم

فإن الصبرم في اللغة القطيع ، فغيرته العامة وجعلته دالا على المحل المخصوص
من الحيوان دون غيره ، فأبدلوا السين صاداً ، ومثل هذا لا يعاب البدوي على
استعماله كما يعاب المتحضر ، لأن الألفاظ لم تتغير عن أصل معناها في زمن البدوي
ولم تتصرف فيها العامة هذا التصرف ، ولهذا لا يعاب ذلك اللفظ على أبي صخر
الهدلي في قوله :

قد كان صبرم في الممات لنا فمجلت قبل الموت بالصبرم

وثانيهما أن يكون للمعنى الواحد كلمتان عربيتان فكثر إحداهما في السنة
العامة ويتحاشاها الخاصة ، فيقبح ما استعمله العامة لا بتذالته ، مثل لفظ الشطار ،
في قول أبي نواس :

(١) سر الفصاحة ص ٦٩ والمثل لأسائر ص ٦٩ أيضاً .

وملحّة بالمعذل تحسب أننى بالجمل أترك صحبة الشُّطار
ولا يكاد يخلو من ذلك شعر شاعر ، لكن منهم المقلّ ومنهم المكثّر ، حتى إن
العاربة قد استعملته في أشعارها وإن كان فيها أقل . ومن ذلك لفظ « آجر » في
قول النابغة الذبياني :

أَوْ مَدِينَةٍ فِي سَمَرٍ مَرِ مَرُوعَةٍ مُبْلِسَعٍ بِأَمْجَرٍ يَشَادِرُ بَعْدَ مَدِيرٍ
وكلفظ « القمل » في قول زهير بن أبي سلمى :

وَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنْزَالِ مِنْ رَمِي
وَمَا مُسْحِفَتُ (١) فِيهِ الْمَقَادِيرُ وَالْقَسَمُ

لا قبح في ابتزال الكلمة :
وإنى أرى أن أمر العامة أهون من أن يحدث مثل هذا الأثر في ألفاظ اللغة،
فلا شيء عندي في استعمال هذه الألفاظ بقسميها ، ولكل من ألفاظ الخاصة وألفاظ
العامة مقامات تقتضيها ، ولعل هذا هو السبب في إهمال الخطيب عدّ ذلك فيما يخل
بفصاحة السكامة .

فلا يخل عندنا بفصاحة الكلمة إلا شيئان : تنافر الحروف ، ومخالفة القياس .
وأما الغرابة والابتذال فلا يخلان بفصاحتها عندنا .

الكراهة في السمع :
وقد ذكر ابن سنان الخفاجي (٢) فيما يخل بفصاحة السكامة أن تكون مكروهة
في السمع مثل كلمة الجرسشي في قول أبي الطيب :

مِجَارِكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَبْ كَرِيمُ الْجِرْشِيِّ (٣) شَرِيفُ السَّبْ

ومثل كلمة « حقايد » في قول زهير بن أبي سلمى :

تَقِيَّ نَقِيٍّ لَمْ يُكَسِّرْ خَنِيمَةً (٤) يَنْسَبُ كَنَةً (٥) ذِي قَرْبِي وَلَا يَجْتَلِدُ

(١) حلقت .

(٢) سر الفصاحة ص ٦١ و ٦٢ . (٣) النفس

(٤) النهكة : الغلبة ، والحقايد : السوء الخلق .

وقد ردت الخطيب ذلك بأن الكراهة في السمع لا تكون إلا من تنافر حروف
الكلمة أو وحشيتها ، فليست شيئاً آخر غير التنافر والغرامة .

* * *

الفصاحة في الكلام :

والفصاحة في الكلام عند الخطيب خلوصه من ثلاثة أشياء : ضعف التأليف ،
وتناثر الكلمات ، والتعقيد ، فإذا خلا الكلام من هذه الثلاثة كان فصيحاً ، ولكنه
لا بد فيه مع ذلك من فصاحة كلماته التي يتألف منها ، بخلوها هي أيضاً مما يخل
بفصاحتها ، فإذا لم تخل مما يخل بفصاحتها لم يكن هو أيضاً فصيحاً ، مثل قوله
أمرى القيس :

غداؤه مستكشورات إلى العلا فضل التمداري في ممشى وممر مثل
فهو كلام غير فصيح ، وإن لم يكن فيه ضعف تأليف ، ولا تنافر كلمات ولا تعقيد .

ضعف التأليف :

وضعف التأليف أن لا يكون الكلام جارياً على القانون النحوي المشهور ، بأن
يكون هناك قولان فيجري على الضعيف فيهما ، كعود الضعيف على متأخر لفظاً
ورتبة في قول حسان بن ثابت :

ولو أن مجداً أخلك الدهر واحداً

من الناس أبقى سجنه الدهر مطعماً (١)

وقد أجاز ابن مالك ذلك قياساً على إجازتهم له في باب نعم وبئس وضمير الشأن
وغيرهما ، ومن ذلك وصل الضمير يلاً في قول الشاعر :

ليس إلاك يا هلي* مهام* سيفه* دون هر*ضه* مسلول*

ومنه نصب المضارع مع حذف « أن » في قول طرفة بن العبد :

ألا أيها الزاجري أحضر الوفي وأن أشهد الذات هل أنت مخذلي

ضعف التأليف لا يخل بالفصاحة :

وقد يكون تشديد الخطيب إلى هذا الحد في أمر الإعراب واشتراطه في فصاحة
الكلام أن يجرى على قانون النحو المشهور نتيجة تساهل قوم قبله في أمر الإعراب ،

(١) هو مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين وكان يذب عن النبي ﷺ .

ومذهبهم أن لا يكون إعراب الكلام شرطاً في فصاحته ، وقد عني ابن سنان الخفاجي (١) بالرد عليهم ، ولكنه لم يشدد في مراعاة الإعراب هذا التشديد الذي سلكه الخطيب ، ولعل التوسط في ذلك خير من التشديد فيه ، فلا يمكن مراعاة مذهب الجمهور شرطاً في فصاحة الكلام ، بل يمكن مراعاة ما يجوز في ذلك وإن لم يكن هو المذهب المشهور ، وقد جاء في القرآن الكريم قراءات كثيرة على غير مذهب جمهور النحاة ، قوله تعالى (قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) (٢) فقد جرى في بعض القراءات على لغة من يجرى المشي بالآلف في أحواله الثلاث ، وهي لغة مشهورة لكثافتها ، وقيل لبنى الحارث .

لا قبح الا فيما يجيزه النحو أصلاً :

فمثل هذا لذن لا يصح أن يؤثر في فصاحة الكلام ، إنما يجب أن يقصر ذلك على ما لا يجيزه النحو أصلاً ، كحذف الإعراب في قول امرئ القيس :
 قال يوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا وأغل (٣)
 وكثيريك ياء المقوص المجزور في قول الشاعر :
 ما إن رأيت ولا أرى في مدني كجوارى يلعين في الصحراء

الحاق عيوب القافية بذلك :

وقد يلحق بذلك عيوب القافية كالإقواء في قول النابغة الذبياني :
 سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتدارلته واتقتنا باليد
 بمخضب رخص كأن بنا زمة عظم يكاد من اللطافة يمشق (٤)

تنافر الكلمات :

وتنافر الكلمات ينشأ من أمر منها تكرر حرف أو حرفين في الكلام كالبيت الذي أنشده الجاحظ :

-
- (١) سر الفصاحة ص ١٠٠ و ١٠١ . وعني يرى هذا ابن خلدون في مقدمة تاريخه ص ٦٥٠ ، المطبعة الشرقية ، (٢) سورة طه : الآية ٦٣ .
 (٣) المستحقب : المكتسب ، والواغل : الذي يدخل على قوم يشربون بدون دعوة منهم : يريد أنه تحلل من يمينه بقتل قاتل أبيه .
 (٤) النصف : كل ما غطى الرأس من خمار ونحوه ، والرخص : الناعم .

وَقَبْرُهُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ (١) وَلَيْسَ قَرِيبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
ومنها إيراد أفعال يتبع بعضها بعضها بدون عطف ، أو معه مثل قول المتنبي :

أَقْلُ أَرْلُ أَقْطِيعُ أَحْلُ عُلُّ سَلُّ أَعْدُ
زِدْ مَشْ بَشْ تَسْفَعُضَلْ أَدْنِ مَسْرَ صِيلُ

ومثل قول ديك الجن :

أَحْلُ وَامْرُزُ وَمُضَرٌّ وَانْفَتَحُ وَإِنْ وَاخِ
شُمْنُ وَرَشُ (٢) وَابْرُ وَانْتَدِبُ لِلْبَعَالِ

ومنها إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي :

دَانُ بَعِيدٍ مُحِبٌّ مَبْغُضٌ بَهْجٍ أَعْرَ مَحْلُوقٍ مَمْرٌ لَيْتَنِي شَيْرِسُ
ومنها تكرار الأدوات وتماقب بعضها إثر بعض كقول أبي تمام :
كَأَنَّهُ فِي اجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَسَمِهِ رُوحٌ
ومنها تتابع الإضافات كما في قول ابن بابه :

مَهَامَةٌ جَسْرًا حَوْثَمَةُ الْجَنْدَلِ اسْتِهْجَمِي فَأَنْتِ بِرَأْيٍ مِنْ مُعَادٍ وَتَسْتَمْسَعِ
والحق أن ثقل هذه الإضافات لأن الجرعاء المسكان ذو الرمل ، وحومة الشيء
مهظمه ، والجندل الحجارة ، ولا معنى لتسكف إضافة الحامة إلى ذلك كله . وقد جاء
تتابع الإضافات سهلاً لا تسكف فيه في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ دَابٍّ قَوْمٍ نُوْحٍ وَعَادٍ
وَيْسُودٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَامًا لِلْعِبَادِ ﴾ (٤) . وفي قول ابن المعتز :

وظَلَمْتَ تَدِيرَ الرِّاحِ أَبْدَى جَاذِرٍ عَتَايَ دَنَائِيرَ الْوَجُوهِ مَلَايَ (٣)

وقد جاء أيضاً تتابع الصفات سهلاً مقبولاً في قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ
طَلَقَكَ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلُومَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ طَائِدَاتٍ

(١) قيل هذا البيت في حرب بن أمية . وقفر : بالجر على الصفة أو بالرفع على القطع

(٢) رش : أمر من راش بمعنى أعان . (٣) سورة غافر ، الآية ٣١

(٣) الراح : الخمر ، والجاذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية ، والعتاق :

السكرام جمع عتيق .

سانحات ثنيتات وأبكاراً (١) كما جاءت كثرة التكرار غير مختلة بالصراحة في قول النبي ﷺ : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» .

فالواجب أن يرجع في تناثر الكلمات إلى الذوق الصحيح ، وأن يدور عليه في ذلك كما عول عليه في تناثر الحروف ، وقد سبق أنه لا يُرتجع في إدراكه إلى ضابط معروف ، أو قاعدة مطردة ، كما أنه يجب ألا يبعد من ذلك ما لا ينتهي في الثقل ، مثل اجتماع الحاء والماء مع التكرار في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحهُ أمدحهُ والورى سمعى وإذا ما لمنهُ لمنهُ وحدي
فإن مثل هذا الثقل أمر محتمل ، ولا يمكن أن تدور لغة من اللغات على السهولة وحدها .

التعقيد

والتعقيد ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه لخلل في تأليفه أو في دلالاته ، والأول يسمى تعقيداً لفظياً ، والثاني يسمى تعقيداً معنوياً ، ومن الواضح أن ذلك لا يتناول المجمال والمتشابه الواقعيين في كلام الله تعالى ، لأن عدم ظهورهما ليس لخلل في تأليفهما أو في دلالاتهما على نحو ما يأتي في التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي .

الخلاف في الالغاز

وأما الالغاز مثل قول الحريري في المروءة :

وما ناكح أخيتين (٢) سراً وجمرة وليس عليه في التسلخ سبيل

ومثل قول الآخر في الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يسعى لنفعي ويسعى معني يجتهد

ما إن رأيت له شخصاً فذو وقعت عيني عليه افترقا فرقة الأبد

فقد ذهب بعض علماء البلاغة إلى أنها من التعقيد لخلل في صراحة الكلام ، ومنهم من يبعدها عن المحسنات البديعية ، ولا شك أنها بأسلوب المؤلفين أشبه منها بأسلوب الأدباء .

(٢) يعني بالاختين العيتين .

(١) سورة التوحيد الآية ٥

التعقيد اللفظي :

والتعقيد اللفظي أن ترتب الألفاظ على خلاف ترتيب المعاني ، فيختل بذلك نظم الكلام ، ويصعب فهم المراد منه ، كما في قول الشاعر :

فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفراً مرسوماً قلباً

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفراً ، كأن قلباً خط رسوماً .

ومن ذلك قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا ممسكاً أبرامته حتى أبوه يقاربته

يريد وما مثله في الناس حتى يقاربته إلا ممسكاً أبو أمه أبوه ، وقد مدح بهذا إبراهيم بن هشام الخزومي خال هشام بن عبد الملك ، وهو الذي عناه بقوله دملكاً ، ويعوز أن يكون نظم الكلام : د وما مثله في الناس حتى إلا ممسكاً يقاربته أبو أمه أبوه ، فيكون المراد قرب النسب لا أنه يدانيه فيما مدح به ، والأولى أن يعمل هذا على الاستثناء المقتطع ، مثل قوله تعالى (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) لأن شأن هشام أعلى من أن يلجس له من ذلك ما نفي عن غيره ، لأنه كان ملكاً عظيماً ، ولم يكن إبراهيم إلا عاملاً له .

ومن ذلك أيضاً قول الفرزدق في الوليد بن عبد الملك :

إلى ملك ما أمته من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، وهي قبيلة من قبائل العرب .

التعقيد المعنوي :

والتعقيد المعنوي ألا يكون الكلام ظاهراً للدلالة على المعنى المراد منه ، ويكون هذا بأن يراد باللفظ غير ما موضح له من غير اعتماد على علاقة قريبة وقرينة واضحة كما قال الخطيب :

ومن يطلب مساعى آل لاي مصعده الأمور إلى عيها

يريد أنه يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو ، فلم يعبر عنه تعبيراً شبيهاً ، وكما قال زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يُنْذَرْ عن حوضه بإصلاحه يهدم. ومن لا يظلم الناس يُظلم.
أراد بقوله ومن لا يظلم الناس ، من لا يدفع الأذى عن نفسه ، فاستعمل
الظلم في دفع الأذى ، وإنما هو تسليط الأذى على الناس ، وقد أراد منه ذلك
بدون علاقة وقوية يصح معهما إرادة ذلك منه ، ولولا أن زهيراً لا يليق به أن
يخص على الظلم لكان كلامه في هذا مثل قول عنترة العبسي :

وإذا بُليتَ بظالم كُنْ ظالماً وإذا بُليتَ بذى الجمالة فاجتنب
ويحوز أن يكون ذلك من المشاكلة مثل قوله تعالى : (وجزاء سيئة سيئة
مثلها) (١) فلا يكون من التمتعيد المعنوي .

ومن ذلك أيضاً قول أوس بن حجر :

وذا ت هدم عاري نواشرها تصبعت بالماء تولباً جديحاً
سمى الصبي تولباً وهو ولد الحمار ، فبى استمارة بعيدة فاحشة ،
وكذا قول الشاعر :

ظعنوا فكان يبكى حولا بدم ثم ارعوبت وذلك حكيم لبيل
أجندير بجمرة لوعة إطفائها بالدمع أن تزداد طولاً وتود
بجمل الكف عن البكاء كناية عن إطفاء غليله بديل البيت بعده ، والمعروف
أن البكاء هو الذي يطفىء الغليل لا الكف عنه كما قال امرؤ القيس :
ولن شفاى عتبة مهراقة فمل عند رسم دارس من معول
ويحوز أن يكون مراده حقيقة الكف عن البكاء ، لا الكناية عن إطفاء الغليل
فلا يكون فيه هذا التعقيد .

وقد ذكروا من ذلك أيضاً قول العباس بن الأحنف :

مأطلب مبنة الدار عذكم لتقربوا وتسكب عينى الدموع لتجهدا
جعل جهود العين كناية عن السرور ، وإنما يكنى به عن بطلها بالدموع في حال
إرادة البكاء ، كما قال أبو عطاء في رثاء ابن مهدي :

(١) منورة الشورى آية ٤٠

ألا إن حيناً لم تجد يوماً واسطٍ هليلجك بجأري دمعها الجمودُ
وقد قال بهاء الدين السبكي (١): إنه يجوز أن يراد في البيت الأول حقيقة الجود ،
وعلى هذا لا يكون فيه تعقيد ، وقد جاء في القاموس أنه يقال حين جود ورجل جامد
العين بمعنى أنها جامدة لا تدمع ، ولم يقيد ذلك بحال لإرادة البكاء .

ابتزال الكلام :

وقد ترك الخطيب بما يمد فيما يخل بفصاحة الكلام ابتذاله وسخافته ألفاظه
وفتورها ، مثل قول بشار :

رَبَابَةٌ رُبَّةُ الْبَيْتِ تَمُتُّ الْخُلُوفُ فِي الرِّبِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

ومثل قول أبي العتاهية في رثاء سعيد بن وهب :

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ وَحَمَّ اللَّهُ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ
يَا أَبَا هَيْثَانَ أَبْكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا هَيْثَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي

الابتزال لا يخل بالفصاحة :

وشأن هذا عدى شأن ابتزال الكلمة في فصاحة المفرد ، ولعل الخطيب أهمله
لهذا ، وقد قيل لبشار في ذلك : يا أبا معاذ ، إنك لتجىء بالأمور المبهجن ! قال :
وما ذاك ؟ قيل : إنك تقول :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَ مَضْرِيَّةٌ هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ مَطَرْتُ دُمَا
إِذَا مَا أَمَرْنَا سَيِّدَا مِنْ قَبِيلَةٍ مُذَرَّى مِنْبَرِ صَمَكِي عَلَيْنَا وَسَلَمَا

ثم تقول :

وَرَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ ، . . . (البَيْتَيْنِ)

فقال : كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لي ، وأنا لا آكل البيض من
السوق ، قربابة هذه لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع على هذا البيض
وتحضره لي ، فكان هذا من قولي لها أحبُّ إليها وأحسن عندها من :

(١) عروس الأفراح ص ١١٢ ج ١ من شروح الذانخيص .

وَقَفْتَا تَتَبَّكٍ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَثَرٍ ،

فَالابتدال إنما يمدُّ هيباً في الكلام إذا وُضع في غير موضعه ، كما فعل
أبو العناهيم في رثائه ، وهذا عيب لا شأن له بالفصاحة ، وإنما يرجع إلى البلاغة
على ما سيأتى فيها ، ومن المواضع التي يطلب فيها استعمال المبني : المول والمشاتمة
والحكاية وما إليها .

البلاغة في الكلام :

والبلاغة في الكلام مطابقة لمقتضى الحال بشرط فصاحته ، فلا بد عند الخطيب
في الكلام البليغ من أن يكون فصيحاً ، والحال هو الأمر الذي يقتضى أن يؤتى
بالكلام على صفة مخصوصة مناسبة له ، من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير أو
غير ذلك ، ويسمى الحال : المقام أيضاً ، وتسمى تلك الصفات : خصائص ومزايا
وئسكات ، وقد قال الخطيب إن تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه
الشيخ عبد القاهر بالنظم ، وهو عبارة عن تأخى معاني النحو فيما بين الكلام
على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام .

تفاوت مقامات الكلام :

ومقامات الكلام متفاوتة ، فقام التنكير ببيان مقام التعريف ، ومقام الإطلاقي
ببيان مقام التقييد ، ومقام التقديم ببيان مقام التأخير ، ومقام الذكر ببيان مقام
الحذف ، ومقام القصر ببيان مقام خلافه ، ومقام الفصل ببيان مقام الوصل ،
ومقام الإيجاز ببيان مقام الإطناب والمساواة ، وخطاب الذكي ببيان خطاب الغبي ؛
وهكذا بما سيأتى تفصيله .

وكما تتفاوت مقامات الكلام في ذلك تتفاوت مقامات الكلمة الواحدة ؛ حتى
توى الكلمة تروئك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك
في موضع آخر ، كلفظة الأخدع في قوله الصَّحْبَةُ بن عبد الله :

تَلَسَّفَتْ^١ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدَتْ^٢ وَجَعَتْ^٣ مِنْ الْإِصْفَاءِ^(١) لَيْتاً وَأُخْدَعَا

(١) الليث : صفحة المنق ، والأخدع عرق فيها ، وهما عرقان يقال لهما أخدعان ،

وفي قول أبي تمام :

يا دهر قسوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأناام من خرقك
فإن لها في المكان الأول ما لا يخفى من الحسن ، كما أن لها في المكان الثاني
ما لا يخفى من الثقل على النفس ؛ ومن ذلك لفظة شيء في قول عمر بن أبي ربيعة :
وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجُرَّةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى (١)
وفي قول أبي حية :

لِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَهْلُ التَّقَاضِيَا
فإن لها في ذلك كثيراً من الحسن والقبول ، ولكنها في قول المتنبي :
لَوْ أَنَّكَ الدَّوَّارُ أَنْخَضْتُ سَعِيهِ لَمَرَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ
ثَقُلَ وَتَضَوَّلَ وَلَا يَوْجِدُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْحَسَنِ وَالْقَبُولِ .

ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظين تدلان على معنى واحد ، وكلاهما حسن
في الاستعمال ، ولكنه لا يحسن استعمال أحدهما في كل موضع يستعمل فيه الأخرى
ومن ذلك قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قُلُوبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (٢) وقوله تعالى :
﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ (٣) فاستعمل الجوف في الأولى والبطن
في الثانية ، ولم يستعمل الجوف موضع البطن ، ولا البطن موضع الجوف .
وقد روى أن رجلاً أشد ابن هرمة قوله :

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ قَائِمًا بِالْبَابِ
فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا قُلْتُ ، أَكُنْتُ أَتُصَدِّقُ ؟ قَالَ : فَقَاعِدًا ، قَالَ : أَكُنْتُ أَبُولُ ؟
قَالَ : فَمَاذَا ؟ قَالَ : وَاقِفًا ، لَيْتَكَ عَلِمْتَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ مِنْ قَدْرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى .

منزلة المحسنات البديعية في البلاغة :

وقد جرى الخليل على أن المحسنات البديعية من السجع والجناس ونحوهما
لا ترجع إلى البلاغة ولا إلى الفصاحة ، وإنما تورث الكلام حسناً وقبولاً ،

(١) جمع دمية وهي الصورة الحسنة .

(٢) سورة الأعراب ، الآية ٤ (٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٥

ولا يتوقف عليها أمر بلاغته أو فصاحته، ومن العلماء قبله من كان لا يفرق بينها وبين غيرها من وجوه البلاغة والفصاحة، ومنهم من كان يجمعانها من طرق الفصاحة ويحمل غيرها مما يتعلق بتنظيم الكلام أو دلالة من طرق البلاغة، والحق ما جرى عليه الخطيب فيها، لأن غيرها من وجوه البلاغة والفصاحة مما يجب التزامه في الكلام عند اقتضاء الجمال له، أما هي فإيما تحسن في الكلام إذا جاءت عنو الخاطر، وعند سماعه القريحة بها، فأما أن يلزمها الإنسان في جميع قوله فذلك جهل من فاعله، وهى من قائله، وسيأتى بيان ذلك فيها.

تكلف الاستعارات ونحوها كتكلف المحسنات :

وقد يلحق عندى بالمحسنات البدئية في ذلك مثل التشبيه والاستعارة وغيرهما من وجوه البلاغة التي لا تبني على اقتضاء الحال، ولا تأتى لأمر يستدعيها في الكلام، فيجب الاقتصاد فيها أيضاً، والأمر متمكف فيه تكلفاً، وإلا كان شأنها في ذلك شأن المحسنات البدئية.

مراتب السلافة :

هذا وللبلاغة طوئان : أعلى وهو الذى يبلغ رتبة الإعجاز ، وذلك هو كتاب الله تعالى ، وأسفل وهو الذى إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات ، وإن كان صحيح الإعراب ، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة وقد أنكر فخر الدين الرازى^(١) أن يكون الطرف الأسفل من البلاغة ، لأن منزلتها عنده أعلى منه ؛ ويجب على هذا ألا يسكننى في تعريفها بما سبق .

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ١١ مطبعة الآداب والمؤيد ،

اللفظ والمعنى

رجوع البلاغة إلى اللفظ والمعنى

قد ذكرنا خلاف العلماء في رجوع الفصاحة والبلاغة إلى اللفظ أو المعنى ،
والحق أنهما يرجعان إلى اللفظ والمعنى معاً ، وقد قال ابن رشيق (١) : « اللفظ جسم ،
وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى
بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنةً عليه ،
وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، فإن اختل
المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة
في السمع ، وإن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى » .

من يؤثر اللفظ على المعنى :

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب ، منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله
غايته ووكده ، وهم فرقة : قوم يذهبون إلى نظام الكلام وجزائته على مذهب
العرب من غير تصنع ، كقول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مهـمـريـةً هـنـكـنا حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيـداً من قبيلة ذررى منبر صلتى علينا وسالما

وهذا النوع أدل على القوة وأشبه بما وقع فيه من مواضع الافتخار ؛ وكذلك
ما ممدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النوع ، وفرقة أصحاب جلبة
ومقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر ، كأبي القاسم بن هاني ، فإنه يقول
أول مذهبته :

أصاحت فقالت وقسح أجرد شينظم

وشامت فقالت لسمع أبض عنظم

(١) العمدة ص ٨٠ ج ١ « مطبعة هندية » .

وما ذُهِرَتْ إِلَّا لِيَتَرَسَّ مُحَلِّمٌ بِهَا

ولا رمةً إِلَّا بِرَّيْ فِي مَخْدَمٍ (١)

وليس تحت هذا كله إِلَّا الفساد وخلاف المراد ، ما الذي يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبنت حلها فتومته بعد الإصاغة والرمق وقع فرس أو لمع سيف غير أنها مغزوة في دارها أو جاهلة بما حملته من زينتها ؟ ولم يمتحن عنها مراده أنها كانت تترقبه ؟ فما هذا كله ؟ . ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعنى بها ، واعتبر له فيها الركاكز واللين المفرط ، كآبي العتاهية والعباس بن الاحنف ومن تابعهما ، وهم يرون الغاية قول أبي العتاهية :

يا لمخوتى إن الهوى قاتل	فسيروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى	فإنى في مشغل مشاغل
عيني على عتبة مشبهة	بدمعها المنسكب السائل
يا من رأى قبلي قتيلًا بكى	من شدة الوجد على القتال
بسطت كفى نحوكم سائلًا	ماذا تردون على السائل
إن لم تنسبكوه فقولوا له	قولا جيسلا بدلى النائل
أو كنتم ألعام على عسرة	منه فمَشْرُوه إلى قابل

من يؤثر المعنى على اللفظ :

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطاب معناه ، ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وشؤنته ، كابن الرومي وأبي العليين ومن شاكلهما ، وأكثر الناس على تفصيل اللفظ على المعنى ، لأن المعاني موجودة في طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها والعاقل ، وإنما العمل على جودة اللفظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ، ولو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث ، وفي الإقدام بالأسد ، وفي المضاء بالسيف ، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها ، من اللفظ الجيد الجامع للركة والجزالة ، والعدوبة والطلاوة ، لم يكن المعنى قدير . وعندى أن في دعوى أن المعاني موجودة في طباع الناس بحيث يستوى فيها الجاهل والعاقل مغالاة ظاهرة .

(١) الأجرد : الفرس القصير الشعر ، والشيطان : الطويل الجسم ، والمخدم :

القاطع ، والبرى : جمع برة وهي الخناخال ، والمخدم : موضعه من الرجل .

المعاني المحدثة

الاستشهاد بمعاني المولدين :

ذكر ابن رشيح أن أبا الفتح عثمان بن جني قال (١) : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقديمان في الألفاظ : ثم قال : والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين ؛ لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فصبروا الأمصار ، وتأنقوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعميان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وبغيره . ومن هنا يحكي عن ابن الرومي أن لائماً لأمه ، فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله . فأنشده في صفة الهلال :

فأنظروا إليه كزورقٍ من فضة قد أنقلته موجة من عنبر
فقال : ردى . فأنشده :

كأن آذريونها والشمس فيها كاليه

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية (٢)

فصاح : واغوثاه يا الله ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ما عون بيته لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم مني ، هل قال أحد قط أملك من قولي في قوس الغمام :
وقد نشرت أيدي السحاب مطارفاً على الأرض دكناً وهي خضراء على الأرض

(١) العمدة ص ١٨٣ ج ٢

(٢) الآذريون ورد له أوراق حمراء في وسطه سواد له نبر وارتفاع وقد يكون أصفر ، وعليه اقتصر صاحب القاموس . وكالية اسم فاعل من كالا ومعنى كالاتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت . والمداهن : جمع مدهن وهو سق الدهن . والغالية أخلاط من الطيب .

يطرّزها قوسُ الغمام بأصفرِ على أحمرٍ في أخضرٍ وسنط أبيضِ
كأذبال خوذِ أقباتٍ في غلائلِ مصبغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

موازنة بين القدماء والمحدثين :

وللمحدثين معان جيدة انفردوا بها عن القدماء ، ومعان شاركوا القدماء فيها
ولكنهم زادوا فيها عليهم ، ومن هذه المعاني ما قاله الثابتة يذكر طول ليلة :

كليني لهم يا أميصة ناصب وليل أفاقيه بطيء السكوا كمبر
تطاول حتى قات ليس بجنة فض وليس الذي يرى النجوم بآيب

وقال أبو الطيب في وزنه ورؤيه :

أهيدوا صباحي فبور عند السكواعب وردوا رقادي فهو لحظ الحباب
فإن نهاري ليلة ممد لهمّة على مقلة من فقدكم في ضياع

فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن يبقى الدابة عندهم في
غاية الجودة .

وأما ما انفرد به المحدثون فمثل قول بشار :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا : من لا ترى تهدي ؟ فقات لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

وكقول أبي نواس ، وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق إليه :

أيها الرامحان باللوم لومنا لا أذوق المسام إلا شيمنا
نألق بالملام فيها لإمامنا لا أرى لي خلافة مستقيم
فأصرفها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديما
كسبر حظي منها إذا هي دارت أن أراها أو أن أشم النسيما
فسكاتي وما أزين منها قعدي يزين التحكيما
كل عن حمله السلاج إلى الحرب فأوصى المطيق ألا يقما

علوم البلاغة

ادراك الجاهليين بعض مسائل البلاغة :

ليس من البعيد أن يكون العرب في الجاهلية قد عرفوا بعض مسائل البلاغة والفصاحة ، وبما يروى من ذلك (١) أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمرام بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأشده الأعشى ميمون ابن قيس أبو بصير ، ثم أشده حسان بن ثابت الأنصاري :

لنا الجمعات الغريرة في الضحى وأسيفنا يقطرن من نهدٍ دما
ولدنا بنى العنقاء وابنتى محرقى (٢) فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا

فقال له النابغة : وأنت شاهر ، ولعنك أفلت جفانك وأسيفك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . وإنما قال له : أفلت جفانك وأسيفك ، لأن الجففات ، لأدنى العدد والكثير جفان ، وكذلك أسيف ، لأدنى العدد والكثير سيوف . وإنما قال له : وفخرت بمن ولدت ، لأنه ترك الفخر بالآباء وفخر بمن ولد نسائه . وقد احتس من مثل هذا الزلل رجل من كلب ، فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن الزبير وغيره من ولده نساؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومُصنَعَجَا وكاب أبى للعالمين ولودُ

فإنه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضلل رجالهم ، وأخبر أنهم يلدون الفاضلين ، وجمع ذلك في بيت واحد ، فأحسن وأجاد .

تدوين الجاحظ فيها :

وأول من تصدى للكتابة في هذه المسائل بعد الإسلام أبو عثمان عمرو بن بحر

(١) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ص ٦٠ ، والطبعة السلفية ،

(٢) العنقاء : لقب ثعلبة بن عمرو ، ولقب به أطول عنقه ، وعرق : هو الحمار

بن عمرو ملك الشام .

الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، فقد أشار في كتابه «البيان والتبيين» ، إلى بعض مسائل من هذه المسائل^(١) ، ويمكن ترتيب ما جاء في هذا الكتاب غير مرتب من ذلك في أربعة فصول قصار :

(١) الكلام على صحة مخارج الحروف ، ثم على العيوب التي سببها اللسان أو الأسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه .

(٢) الكلام على سلامة اللغة ، والصلة بين الالفاظ بعضها وبعض ، والعيوب الناشئة من تنافر الحروف تنافرأىجه السمع .

(٣) الكلام على الجملة والعلاقة بين المعنى واللفظ ، ثم على الوضع والإيجاز والإطناب ، والملازمة بين الخطبة والسامعين لها ، والملازمة بين الخطبة وموضوعها .

(٤) الكلام على هيئة الخطيب وإشاراته .

تدوين ابن المعتز :

وقد حدا حدود الجاحظ في ذلك عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، وقدامة ابن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وألف الأول في هذه المسائل كتابا سماه «البديع» ، ذكر فيه سبعة عشر نوعا من فنون البديع ، منها الاستعارة والكناية والنورية والتجنيس والسجع إلى غير ذلك ، وقال : « ما جمع قبلى فنون البديع أحد ، ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فأيفعل ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره » . وقد نازعه أبو هلال العسكري^(٢) في هذه الدعوى ، وذكر أن القدماء كانوا يعرفون هذه الفنون أيضا .

تدوين قدامة :

وقد ذكر قدامة في كتابه «نقد قدامة» وهو في نقد الشعر ، عشرين نوعا من البديع ، فزاد على ابن المعتز ثلاثة عشر نوعا ، وقد أشار في خطبة كتابه «نقد الفخر» إلى أن سبب وضعه له ما شاهده من النقص في كتاب «البيان والتبيين» ، وأن الجاحظ إنما ذكر فيه أخبارا متنتحلة ، وخطبا منتخبة ، ولم يأت فيه بوصف البيان ، ولا آتى على أقسامه في هذا اللسان ، وكان بهذا غير مستحق لهذا الاسم الذى نسب إليه .

(١) مقدمة نقد النثر .
(٢) كتاب الصناعتين ص ٢٠٤ .

تدوين عبسنا القاهر:

ثم جاء عبد الفاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١) فملك في ذلك طريقا غير الذي سلكه من كان قبله ، إذ لم تكن مباحثهم فيه جارية بجرى البحث العلمي ، والنظر الفنى ، بل كانوا على الغالب يتناولون هذه المسائل على اعتبار أنها أبواب ذات شأن كبير من أبواب علم الأدب ، ولا يعمنون فيها بشرح تعريف خفى ، ولا بتحقيق مسألة مضطربة ، فعفى هو في كتابيه وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، بذلك كله ، وأملى فيه من القواعد ما شاء الله أن يملى ، وأحكم بيانها بضرب الأمثلة والشواهد على نحو ما كان يفعل من كتب في ذلك قبله ، وكان بهذا أول من وضع أسس والطريقة النثرية في تدوين هذه المسائل ، فصارت بها أقرب إلى الفلسفة منها إلى الأدب .

وكانت هذه المسائل إلى هذا الزمن تسمى تارة علم البيان ، وتارة علم البديع ، وتنظر كلها نظرة واحدة بدون فرق بين ما يرجع منها إلى النظم والتأليف ، وما يرجع منها إلى وضوح الدلالة وخفائها ، وما يرجع منها إلى المحسنات البديعية التي تلى مرتبة ذلك في البلاغة والفصاحة ، فكانت كلها علماً واحداً متحد الموضوع والغاية ، ويرجع الأمر فيه إلى البحث في أسرار البلاغة والفصاحة .

تدوين السكاكى :

ثم جاء أبو يعقوب السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (٢) فرتب هذه المسائل وبوتها ، وأفرد ما يتعلق منها بنظام الألفاظ في علم سماء (علم المعاني) ، وأفرد ما يتعلق منها بوضوح الدلالة وخفائها في علم سماء (علم البيان) ، وجعل الوجوه التي تقصد لتحسين الكلام ذبلاً لهذين العلمين ، وهى التي نعت بعد ذلك باسم (علم البديع) ، وقد استعان على ذلك بما كان له من واسع الاطلاع على علوم المنطق والفلسفة ، ولكن ذلك جعله يجرى في تلك (الطريقة النثرية) بأكثر مما جرى فيها عند القاهر ، ويفضى عما كان يعنى به عبد القاهر من الإكثار من ضرب الأمثلة والشواهد .

(١) أمالى الشيخ على عبد الرازق في علم البيان وتاريخه ص ٢٢ .

(٢) علوم البلاغة ص ٩ ، المطبعة الحديثة ،

محاولته تطبيق أساليب العرب على أساليب اليونان :

إذ كان همه في الأكثر إلى تطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم ، فبسم ذلك بهذه العلوم عن غايتها ، وأبعد ثمرتها عن طالبها ، وقد حاول الخطيب في كتابه (الإيضاح) أن يجمع فيه بين طريقتي عبد القاهر والسكاكي ، فوصل في ذلك إلى بعض غايته ولم يصل إلى ما يجب في ذلك كله .

انكار ابن الأثير على هذه المحاولة :

وبينا كان السكاكي يحاول تطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم ، كان ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ يحارب في كتابه (المثل السائر) هذه المحاولة ، ويحرم فيه على سنن عبد القاهر ومن كان قبله (١) ، ويرى أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والضرورة ، ولم تسكن العرب تعرف شيئا من المعاني الخطابية التي كان يحكماء اليونان أول من تكلم فيها ، وحصر أصولها ، وقد ذكر أنه وقف على ما جاء منها في كتاب (السماء) لأبي علي بن سينا فاستجمله ، لأنه طوّل فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لغرض لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا ، ثم مع هذا جميعه فإن معون الفوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة ، وهذا مما لا يخطر ببال عربي فيما يصوغه من شعر أو كلام مسجوع ، ولو أنه فكر أولا في المقدمتين والنتيجة ثم أتى ينظم أو أثر بعد ذلك لما أتى بشيء يفتخ به ، ولطال الخطب عليه ، على أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمهم ، وعندهم فكر في مقدمتين ولا نتيجة ، وإنما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنعات كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال قعاقع ليس لها طائل .

تدوين المتأخرين :

ولكن القوم بعد السكاكي وابن الأثير آثروا طريقة الأول على طريقة الثاني ، وجروا في الطريقة التقريرية إلى آخر حدودها ، وأهملوا في هذه العلوم إيراد الأمثلة والشواهد التي كانت تورد فيها ، ففقدت بهذا كل صفة أدبية لها ، بل صارت في البيان العربي أداة فساد لا أداة إصلاح .

(١) المثل السائر من ١٢٠

علم المعاني

تعريف الخطيب :

عرف الخطيب علم المعاني بأنه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، والمراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة بطرفيها من الفصل والوصل والإيجاز والإطراب والمساواة ، وما يشمل أحوال كل من طرفيها كالذكر والحذف والتقديم والتأخير وغيرها ، وما يشمل أحوال الإسناد كالتأكيد والقصر وغيرها . وقد خرج بذلك علم البديع لأنه يرجع إلى تلك المحسنات السابقة ، وكذا علم البيان لأن أحوال اللفظ الذي تذكر فيه من الجواز والسكناية وغيرها لا تذكر فيه لبيان ما يقتضيه الحال منها ، وإنما تذكر فيه لبيان ما يعتز به من التعقيد المعنوي فيها

الفرق بين موضوعات العلوم الثلاثة :

وقد فرّق بعضهم بين علم المعاني وعلم البيان بأن علم المعاني يتعلق بالأمور اللفظية من الذكر والحذف ونحوهما ، وعلم البيان يتعلق بالأمور المعنوية من التشبيه والجاز وغيرها ، أما علم البديع فيتملق بالأمور معاً على ما سيأتى فيه ، وقد يأتى فيما يتعلق به علم البيان اعتبار المطابقة لمقتضى الحال ، ولكن اعتبار ذلك فيه لا يرجع إلى جهات مضبوطة يصح بها ذكره في علم المعاني ، ومن ذلك قول الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم لا بلج لا عارى الخران ولا سجد

فإن هذه كناية عن الكرم مقبولة في ذاتها ، ولكن مثل هذا لا يمدح به الملوك ، وكذلك قول كئیسر في مدح عبد العزيز بن مروان :

وما زالت رفاك تسئل ضغنى ومخرج من مكانها ضبابي

ويرقى لك الرافون حتى أجابته حية تحم الأراب

وإنما تدمج الملوك بمثل قول محمد بن وهيب في مدح المعتصم :

له همم لا مثبى لكبارها وممنه الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار مجودها على البر كان البر أندى من البحر
ومن ذلك فى التشبيه قول حميد الله بن قيس الرقيات فى مدح عبد الملك
ابن مروان :

يعتدل التاج فوق مفارقة على جبين كأنه الذهب
فإنه لما مع منه ذلك قال : أما لمصقب بن الزبير فىقول :
إنما منصف شهاب من اللؤلؤ تجلت عن وجهه الظلماء
وأما فى قول : على جبين كأنه الذهب !
تعريف ثان لعلم المعانى :

وقد عرف بعضهم علم المعانى بأنه علم يبحث فيه عن أحوال التراكيب العربية
[من حيث السمات والمزايا بعد فهم المعانى الأصلية من علم النحو .

الفرق بين علم المعانى وعلم النحو :

وقد فرق ابن الأنير^(١) بين نظر النحوى فى الألفاظ ونظر صاحب علم البيان
(يريد به ما يستعمل العلوم الثلاثة) بأن موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ،
وصاحبه يسأل عن أحوالهما المفظة والمفعوية ، وهو والنحوى يشتركان فى أن
النحوى ينظر فى دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع ، وذلك دلالة عامة ،
وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة ، وهى دلالة خاصة ، والمراد بها أن
تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، وقد أخذت
أقسام النحو من واضعها بالتقليد حتى لو عكست القضية فيها بنصب الفاعل ورفع المفعول
وهو ذلك لما كان العقل يأباه ، أما تلك السمات والمزايا البيانية فقد استنبطت بالظرفضية
العقل من غير واضع اللغة ، فإن كل حارف بأسرار الكلام من أى لغة كانت يعلم أن إخراج
المعانى فى الألفاظ حسنة رائعة يلزمها السمع ، ولا ينبو عنها الطبع ، يحير من إخراجها

(١) المثل السائر ص ٣ و ٢٨

في ألفاظ قبيحة ينبر عنها السمع ، ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك
لما قلدها .

غفلة السكاكي عن الفرق بينهما :

وقد غفل السكاكي والخطيب عن هذا الفرق بين نظر علم المعاني في الألفاظ
ونظر علم النحو فيها ، فأدخلا كثيراً من المعاني النحوية في مباحث علم المعاني ،
وهذا كما ذكرنا في أحوال التعريف أن التعريف بالإضمار يكون لأن المقام للتكلم
أو الخطاب أو الغيبة ، كقول بشار :

أنا المُرَّعْتُ لا أخفَى على أحدٍ ذرَّتْ في الشمسِ القاصِي ولله أني
وقول أمانة النخعية صاحبة ابن الدُمَيْسِيَّة :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأثمتني من كان فيك يلومُ
وقول القاسم بن حنبل المرسي :

من البيضِ الوجوهِ نني سنانٍ لو انك تستضيء بهم أضاموا
هم حلكوا من الشرفِ المَعْلَى ومن كرمِ المشيرة بحيثُ شاءوا

فكل هذه وأشباهاها معان نحوية ، وليست في شيء من وجوه الفصاحة
والبلاغة . ولذا كان علم النحو ينظر في بعض ما ينظر فيه علم المعاني من الذكر
والحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك ، فإنما ينظر فيها من جهة بيان وجوه صحتها
وامتناعها ، وأما علم المعاني فإنما ينظر فيها من جهة بيان الوجوه التي ترجح بعضها
على بعض ، ولهذا قال هبذ القاهر (١) : فإنه إذا كان بينا في الشيء أنه لا يحتمل إلا
الوجه الذي هو عليه فلا مزية فيه ، وإنما تكون المزية إذا احتمل وجهها آخر غير
الذي جاء عليه ، ثم رأيت النفس تنبذ عن ذلك الوجه الآخر ، ورأيت للذي جاء
عليه محسناً وقبولاً لعدمها إذا أنت تركته إلى الثاني ، ومثال ذلك قوله تعالى :
(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) (٢) فإن الكلام يحتمل تهريف الحياة ، ومن
هنا جاءت مزية التذكير فيه ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه .

(١) دلائل الإعجاز ص ١٥٥ مطبعة المعارف الأدبية ،

(٢) سورة البقرة آية ٩٦

هذا والمعنى الاصلى عندهم هو عبارة عن مجود ثبوت المسند للمسند إليه ، مثل قولك د زيد قائم ، ، والمعنى الزائد عن الاصلى هو الصفة التى يقتضيها الحال زيادة عن المعنى الاصلى ، كالتأكيد عند الإنكار فى قولك د إن زيدا قائم ، . ودلالة الكلام عندهم على المعنى الزائد عن الاصلى من الدلالة الاتزامية ، أو هى من مستتبعات التراكيب مثل دلالة القول على وجود قائله ، والذي أراه أن التأكيد معنى أصلى فى قولك د إن زيدا قائم ، ، لأنه مستفاد من د إن ، بطريق الوضع ، وإنما المعنى الزائد عن الاصلى فى ذلك هو ما يلزمه من دفع الشك أو الإنكار أو نحو ذلك من الأغراض التى تقصد من الكلام ولا تدخل فى المعنى الذى تدل عايه بطريق الوضع ،

ويمكن حصر علم المعانى فى هذه الابواب الثلاثة :

- (١) أحوال الإستناد مطلقاً خبرياً أو إنشائياً .
- (٢) أحوال الطرفين والمتعلقات من المفعول وغيره من الفضلات
- (٣) أحوال الجملة فى ذاتها بتقطع النظر عن طرفيها ومتعلقاتها .

أحوال الاسناد

١ - التأكيد

مقامات التأكيد :

روى عن ابن الأبارى أنه قال : « ركب السكندى المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً » ، فقال له أبو العباس : « في أى موضع وجدت ذلك ؟ » ، فقال : « أجد العرب يقولون عبد الله قائم » ، ثم يقولون : « إن عبد الله قائم » ، ثم يقولون « إن عبد الله قائم » ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد » . فقال أبو العباس : « بل المعانى مختلفة لاختلاف الألفاظ » ، فقولهم « عبد الله قائم » ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : « إن عبد الله قائم » ، جواب عن سؤال سائل وقولهم « إن عبد الله قائم » ، جواب عن إنكار منكر قيامه ، فتد تكررت الألفاظ لتكرر المعانى » . فما أحرار المتفلسف جواباً .

فلا يخلو المخاطب من أن يكون واحداً من ثلاثة :

مقام خالى الذهن :

(١) خالى الذهن من الحكم ومن التردد فيه والإنكار له : فيلقى إليه الكلام بدون تأكيد ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، وهم يعدّون مراعاة ذلك من البلاغة ، وهو عندى من الظهور بحيث يستوى فيه البليغ وغيره ، بخلاف مراعاة حالتى التردد والإنكار ، فإن هذا مما ينفرد به البليغ وحده ، على أنه لا مانع عندى من أن يعدّ هذا الضرب فى الطرف الأسفل من طرفى البلاغة ، إلا إذا اشتمل على وجوه أخرى من وجوهها الآتية فى الذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، إلى غير ذلك مما يأتى فى أبوابه .

تنزيل غير الخالى منزلة الخالى :

وقد لا يكون المخاطب خالى الذهن من الحكم ، ولكنه ينزل منزلة الخالى منه

لعدم جوية على موجب عليه به ، فيلقى إليه بدون تأكيد كما يلقى إلى الجاهل ، ولا شك أن مراعاة ذلك له حظ في البلاغة أعلى من الحالة الأولى ، وهذا كقول الفرزدق لهشام بن عبيد الملك حينما سئل عن زين العابدين وقد انف الناس في الطواف به ، فأظهر لسائله الجدل به ليصرفه عنه :

هذا ابنٌ خير عبادِ الله كلمهُ هذا التقىُ البقيُّ الطاهرُ المَلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنت جاهله بجدّه أنبياءُ الله قد مُختموا

مقام المتردد :

(٢) المتردد في ثبوت الحكم وعدمه : وهذا يجب تأكيد الحكم له ، خصوصا إذا كان عنده ظن بخلافه ، كما إذا كان الحكم بأمرٍ يبعد في الظن مثله لأن العادة جرت بغيره ، وهذا كقول أبي نواس :

عليك بالياس من الناس إن في نفسك في اليأس
ويسمى هذا الضرب طلبيا ، ومن أمثله قوله تعالى ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا . قال أم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (١) .
وقول الشاعر :

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والفصحُ أخلى ما يباعُ ويوهبُ

تنزيل غير المتردد منزلة المتردد :

وقد لا يكون المخاطب مترددا في الحكم ، ولكنه ينزل منزلة المتردد إذا قدم إليه قبل الحكم ما يلوج به ، فيؤكد له الحكم أيضا لتطعمه له تطلع المتردد الطاب كقوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ (٢) وقوله ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ (٣) وسلوك هذه الطريقة شعبية من البلاغة فيهادقة وغموض ، ولهذا خفيت على بعض حلوة هذا الفن ، روى عن الأصمعي أنه قال : وكان أبو عمرو

(١) سورة يوسف الآية ٩٦ .

(٢) المؤمنون د ٢٧ .

(٣) يوسف د ٣٥ .

ابن الأعمش وخلفه الآخر يأتیان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقع الزوال ثم ينصرفان ، فأتياه يوماً فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما ، قالاً : بلغنا إنك أكثرت فيها من الغريب ، قال : نعم ، إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببته أن أورد عليه ما لا يعرف ، قالاً : فألشدناها يا أبا معاذ ، فألشدتها :

بتكبروا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التكبير

حق فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن ذاك النجاح ، وبكرا فالنجاح » كان أحسن . فقال بشار : إنما بنيتها أهراوية وحشية ، فقلت « إن ذاك النجاح » كما يقول الأهراب البدويون ، ولو قلت « وبكرا فالنجاح » كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ، ولا يدخل في معنى القصيدة . فقام خلف فقيل بين عينيهِ . وإنما كان « وبكرا فالنجاح » من كلام المولدين لأنه ليس فيه من دقة الإشارة إلى تنزيل خير المتردد منزلة المتردد ما في الأسلوب الأول ، وإنما فيه تمكير الأمر بالتكبير أنا كيدته على وجه ظاهر ليس فيه دقة ذلك التأكيد ، والمولدون يؤثرون السهولة على الدقة .

مقام المنكر :

(٣) المنكر للحكم : وهذا يجب تأكيده للحكم له بقدر إنكاره قوة وضما ، فيؤتى له في ذلك بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر على حسب ما يقتضيه إنكاره .

أدوات التاكيد :

وأدوات التأكيد كثيرة منها : إن ، وأن ، ولأم الابتداء ، ولونا التوكيد ، والنعم ، و « أما » الشرطية ، وأحرف التنبية ، وأحرف الزيادة ، وضمير الفصل ، والبدن وسوفه البداهتان على فعل دال على عه أو وعيد ، وقد أتى للتحقيق ، وإنما ، ويسمى هذا الضرب لإنكاريا ومنه قوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكانتا هوما فعززا يثالث فقالوا لانا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء لئن أنتم إلا

تكذبون ، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (*) وقد قال تعالى في المرة الأولى :
(إنا إليكم مرسلون) وفي الثانية (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) لأن
تكذيبهم لهم في المرة الثانية أشد من تكذيبهم لهم في المرة الأولى :

تنزيل غير المنكر منزلة المنكر :

وقد لا يكون المخاطب منكراً ، ولكنه ينزل منزلة المنكر ، إذا ظهر عليه شيء
من أمارات الإنكار ، فيؤكد له الحكم تأكيداً للمنكر ، كقوله حبيل بن نقشة :

جاء شقيق عارضاً رعباً إن بني عمك فيهم رماح

هل أحدث الدهرُ انا نسكبة أم هل رقبُ أم شقيقٍ سلاح^(١)

فإن مجيئه هكذا مدلاً بشجاعته دليل على إعجاب شديد منه ، واعتقاد أنه
لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزّل ليس مع أحد منهم رمح .

تنزيل المنكر والمتروك منزلة غيرهما :

وكما ينزل غير المتروك منزلة المتروك ونحو المنكر منزلة المنكر ، ينزل المتروك
والمنكر منزلة غير المتروك والمنكر ، إذا كان معهما ما إن تأمله زال منها التردد
والإنكار ، وهذا يدخل فيما سبق من تنزيل غير الخالي من الحكم منزلة الخالي منه ،
وعليه قوله تعالى في حق القرآن (ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)^(٢)
فإن هذا لا يمسلمه الكفار المخاطبون به ، ولكنه ترك بدون تأكيد للتأنيبه على أنهم
لا حق لهم في إنكاره .

وما اجتمع فيه تنزيل غير المنكر منزلة المنكر وتنزيل المنكر منزلة غير
المنكر قوله تعالى (ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة أجمعون)^(٣)
أكد إثبات الموت تأكيداً ، وإن كان بما لا ينكر ، لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ

(*) سورة يس ١٣ ، ١٤

(١) شقيق ابن عمه ، وعرضه رعباً أن يجعله على فخذه بحيث يكون عرضه
جهة الأعداء ، وركب : من الرقية فجعلته لا يقطع شيئاً .

(٢) سورة البقرة الآية ١ ، ٢ (٣) سورة المؤمنون الآية ١٦

في إنكار الموت ، تماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل
 (ميتون) دون تموتون ، لما سيأتي من أن الأول يفيد الثبوت ، والثاني يفيد
 التجدد . ثم أكد لإثبات البعث تأكيداً واحداً مع أنهم يبالغون في إنكاره بخلاف
 الموت ، لأنه إما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالاعتبار ، بل إما أن يُعترف به
 أو يتردد فيه ، فنزل المخاطبون المنكرون له منزلة المترددين ، تنبيهاً لهم على ظهور
 أدلته . وحشاً على النظر فيها ؛ ولهذا جاء فيه (تبعثون) على الأصل ، وهذا من
 تنزيل المنكر منزلة المتردد ، وهو قليل نادر ، والغالب تنزيهه منزلة الخالي ذهن
 من الحكم .

مقامات أخرى للتأكيد :

وللتأكيد مقامات أخرى غير تلك المقامات ، منها الاعتناء بشأن الحكم
 والاهتمام به ، مثل قولهم إن البلاء موكّل بالمنطق ، إن غداً لما ظره قريب ،
إنما هو الفجر أو الفجر ، (١) إن المفاكح خيرها الأبرار ، (٢) . ولهذا حسن
 استعمال ضمير الشأن مع إن مثل قوله تعالى (إنه من يتق ويهرب) (٣) . إنه لا يفلح
الظالمون (٤) لأن الغرض منه الاهتمام بشأن الحكم ، وهي أدخل فيه .

ومنها بيان صدق الرغبة في الحكم وقصد رواجه ، مثل قوله تعالى (وإذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آهنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) (٥)
 فلم يؤكدوا فيما خاطبوا به المؤمنين لأنه لا يروج منهم عندهم ، وأكدوا فيما خاطبوا
 به إخوانهم لصدق رغبتهم فيهم ، ولأنه رائج عندهم ، متقبل منهم .

(١) أي إن انتظرت حتى يعصى لك الفجر الطريق أبصرت قدرك ، وإن خجعت
 الظلماء وركبت العشواء هجأ بك على المكروه . وهو مثل يضرب في الحوادث التي
 لا امتناع منها .

(٢) جمع منكوبة وسقمة مفاتيح فحذفت الياء

(٣) سورة يوسف : ٩٠ (٤) سورة الأنعام : ٢١ (٥) سورة البقرة : ١٤

ومنها التنبية على استبعاد الحكم عند المتكلم وأنه كان يظن خلافه ، مثل قوله تعالى حكاية عن أم مريم (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ) (١) وقوله (رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّابُونَ) (٢) .

ومنها ربط الجملة بما قبلها مثل قول بشار :
بَكَرْنَا صَاحِبِيَّ قَبْلَ الْمَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ الْجَاحِ فِي النَّبِيِّ كَبِيرِ
وكقول بعض الأعراب :
فَقَضَّاهُ وَهَمِي لَكَ الْقَدَاهُ إِنَّ غَنَاءَ الْإِبِلِ الْجَدَاهُ
ولهذا يصح أن تقع الفاء في ذلك موقع « إن » ، ولكنه لا يكون للكلام معها من الحسن مثل الربط بإن ، ولا يوجد له من الالفة مثل الذي كان له .
ومنها تهئية المذكرة لصحة الإخبار عنها . فإذا كانت موصوفة كانت مع « إن » أحسن ، كقول الشاعر :

إِنْ دَهْرًا يَلُفُّهُ شَيْءٌ عَلَى سَعْدِي لَوَافٍ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ
ومنها إغناؤه عن الخبر في بعض المواضع ، وهذا كما في قول الأعشى :
إِنْ مَحْتَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهْلًا (٣)
أي إن لنا محلا في الدنيا ، وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة ، وهذه التسمية والى قبها نستكتان بحويتان أكثر منهما بلاعيتين .

٢ - القصر

مزاي القصر :
القصر باب عظيم من أبواب البلاغة ، وهو ضرب من الإيجاز والتأكييد في اللغة ، فإذا نظرنا إلى قول العباس بن الأحتف :
أَنَا لَمْ أَمْرُزُقْ مَوَدَّتِكُمْ إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا وَزَقَا

(١) آل عمران : ٣٦ (٢) الشعراء : ١١٧
(٣) محلا ومرتحلا مصدران ميميان بمعنى الطول والارتحال ، والسفر المسافرون ، والمراد بهم الموقى . والمهل : الإمهال وطول الغيبة

وجدنا قوله « إنما للعبد ما رزقا » جملة واحدة تفيد معنى جملتين ، إحداهما مثبتة : للعبد ما رزقا ، والثانية مفعلة : وليس للعبد ما لم يرزقه ، وكذلك إذا نظرنا إلى القصر في قول عمرو بن كُلهثوم :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونسب طش حين نبطش قادرينا
وجدنا قوله « لنا الدنيا » في معنى هاتين الجملتين « الدنيا لنا » ، « الدنيا ليست لغيرنا » ، وقد يصريح في القصر بالنفي والإثبات ، مثل قول مدرّس بن الصّهميّة :
وما أنا إلا من قفريّة إن قفوت قفوت وإن نمر شد غربة أو شد
ولكنه على كل حال يكون أوجه من هاتين الجملتين الثابتين ، وهذا الإيجاز من أهم مزايا القصر ، ولعل هذا فيه من خصائص اللغة العربية ، ومن مزايا القصر أيضا أنه يقصد منه تمكين السكّان وتقريره في الذهن ، وسيله في هذا سبيل التأكيد فيما سبق ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

تعريف القصر :

ولا بأس بعد هذا أن نذكر كلمة في تعريف القصر وأقسامه ، فالقصر في اللغة المجلس كما قال تعالى : (حور مقصورات في الخيام) (٥) وفي اصطلاح علماء المعاني تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، والشئ الأول هو المقصور ، والشئ الثاني هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص هو أدراجه الموضوع له .

طرق القصر :

وللقصر طرق كثيرة أشهرها أربعة : العطف بلا أو بل أو لكن ، والاستثناء من النفي ، وإثما ، والتقديم .

والعطف أقوى هذه الطرق في الدلالة على القصر ، للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، ويليه في ذلك الاستثناء من النفي ، ثم إثما ، ثم التقديم ، ودلالته على القصر بالذوق والنظر في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن الظاهلية أنه للتخصيص ونفي الحكم عن غير

(٥) سورة الرحمن الآية ٧٢ .

المذكور فيه . أما دلالة الثلاثة قبله على القصر فبالوضع لا بالذوق (١) .

القصر الحقيقي والإضافي :

وينقسم القصر إلى حقيق وإضافي ، والقصر الحقيقي هو ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة والواقع ، مثل قوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) (٢) فالملك مختص بيده في الحقيقة والواقع ، ولا يتعداه إلى شيء أصلاً ، والقصر الإضافي هو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين ، لا بالإضافة إلى جميع ما عدا المذكور ، وهذا مثل قول الشاعر :

إنما الدنيا هبات وعوارٍ مُستَرَدَّةٌ
شدة بعد رخاءٍ ورخاء بعد شدة

فالمراد إنما الدنيا هبات وعوارٍ ، لا حال يبق ويدوم ، وتخصيص الدنيا بالهبات إنما هو بالإضافة إلى ذلك فقط ، وإلا فإنها تتجاوز الهبات إلى ما عداها من كونها حولة أو مرة أو غير ذلك .

نقد العناية بأقسام القصر

ولا يكتفى القوم هنا بتقسيم القصر إلى هذين القسمين ، بل يجرون في تقسيمه باعتبارات مختلفة إلى أن يصل بهم ذلك إلى التعقيد والإملاص ، فيقسمونه باعتبار المقصور إلى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف . وباعتبار حال المخاطب به إلى قصر أفراد ، وقصر قلب ، وقصر معين . وقصر الأفراد عندهم يكون للرد على مخاطب يستند الشرع في حكم بين شيئين أو أكثر ، فيقصره المتكلم على أحدهما ، وقصر القلب يكون إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم ، وقصر التعيين يكون إذا كان المخاطب متردداً فيه . ولا شك أن علم البلاغة لا يستفيد شيئاً من هذه الأقسام التي أشرنا إلى بعضها وأعرضنا عن بعضها الآخر حتى لا نشوه علم

-
- (١) ومن غريب أمر السكاكي والخطيب أنهما بعد هذا محاولان إثبات دلالة الاستثناء من النفي وإنما على القصر بأدلة تكلفها جرياً وراء نزعتها المنطقية .
- (٢) سورة الملك (تبارك) آية ١ .

البلاغة به . وإنما جرى المتأخرون في ذلك وراء السكاكي ونوعته المنطقية ، وشغفه باستنباط القواعد واسمقراء الجرميات المندرجة في السكليات .

القصر الحقيقي والادعائي :

والقصر يكون حقيقياً لا ادعاء فيه، ويكون ادعائياً مجنباً على الادعاء والمبالغة .
والقصر الادعائي مقبول في مقام المدح والفخر وما إليهما ، مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْخِزْيَانُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (*) .

ومثل قول الشاعر :

هل الجودُ إلا أن تجودَ بأنفسِ على كلِّ هاضى الشفرتين هزيلِ

وقول أبي تمام :

نَقَلَ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقول الخنساء :

ترنحُ ما رنعتُ حتى إذا أدَّكرتُ (١) فإِنَّمَا هِيَ إِقْبَسَالٌ وَإِدْبَارُ

القصر بالعطف :

والقصر بالعطف يكون ببل يعد النفي مثل قول الشاعر :

ليس اليتيمُ الذى قد مات والدُهُ بل اليتيمُ يقيمُ العلمُ والأدبُ

ويكون بلا مثل قول الشاعر :

وللفى من ماله ما قدَّمْتُ يداه قبل موته لا ما اقتنسى

ويكون بليكن مثل قول الشاعر :

إنَّ الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وتحمل فى هذا دبل ، التى للإضراب لا للعطف ، ود اسكن ، التى للاستدراك

(*) سورة المائدة الآية ٩٠

(١) الضمير للمائة ، وأدكرت : ذكررت .

لا للعطف على «بل» ، ولا سكن «العاطفين» ، كما ذهب إليه ابن يعقوب والسبكي (١) ، وإنما لم يمتد «بل» ، القصر به ، الإثبات ، لأنها فيه تجمل ما قبلها في حكم المسكوت عنه فقط .

والأصل في القصر بالعطف أن يُدللّ فيه على المثبت والمنفى بالنص ، فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار ، كما إذا قيل «زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والأدب» ، فقول : زيد يعلم النحو لا غير ، وفي معناه ليس إلا . وأما القصر بالاستثناء وإنما وبالتقديم فالأصل فيه أن يدل بالنص على المثبت دون المنفى ، وقد يحى فيها على خلاف الأصل ، فيقال في التقديم : ما أنا قلت هذا ، بالنص على المنفى دون المثبت ، ويقال في الاستثناء : ما قام القوم إلا زيدا ، بالنص على المثبت والمنفى معا ، وإنما كان هذا خلاف الأصل لأن الاستثناء المفرغ هو الأصل في القصر .

القصر بالاستثناء من النفي :

والقصر بالاستثناء من النفي يكون بأدوات الاستثناء جميعها مثل قوله تعالى :
(قل سبحانه ربّي هل كنت إلا بشرا رسولا) (*) ومثل قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم من فلول من قراع السكائب

وقد ذهب السبكي (٢) إلى أن الاستثناء من الإثبات يفيد القصر أيضا ؛ لأن قولك «قام القوم إلا زيدا» يفيد قصر عدم القيام على زيد دون القوم ، وذهب الجمهور إلى أن الاستثناء في هذا ليس بقصر ، وإنما هو قيد موضح للحكم ، فكأنك في هذا المثال قلت : جاء القوم المغايرون لزيد ، فالقصور فيه بالحكم القوم فقط .

القصر بالإنما

والقصر بالإنما يكون فيها مع كسر همزتها وفتحها ، وقد اجتمعا في قوله تعالى :
(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما يحكم الله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه)

(*) سورة الإسراء الآية ٩٣ .

(١) مواهب الفتح ص ١٨٦ وعروس الأفراح ص ١٨٧ ج ٢ من شروح التلخيص .

(٢) عروس الأفراح ص ١٩١ ج ٢ من شروح التلخيص .

وويل للمشركين (٥) فالمرنى فى الاول على قصره على البشرية ، والمرنى فى الثانى على قصر الالهية على التوحيد ، وقيل إن المفتوحة لا تفيد القصر .

ومن القصر بانما المكسورة قول الشاعر :

وما لمرى طول الخلود وانما يخلد طول الشناء فيخلد

القصر بالتقديم :

والقصر بالتقديم يكون بتقديم المسند إليه فى مثل قول المتنبي :

وما أنا أسقم جسمى به ولا أنا أضرم فى القلب نارا

وبتقديم المسند على المسند إليه فى مثل قول الشاعر :

لك للقلام الاحلى الذى يشبانه (١) يصاب من الامر الكلى والمفاصل

وبتقديم بعض معمولات الفعل عليه مثل قول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أتى أرى الأرض تبقى والاخلد تذهب

وقد ذهب ابن الأثير (٢) إلى أن تقديم بعض معمولات الفعل على بعض كتقديم الحال على صاحبه يفيد القصر أيضا ، مثل : جاء راكبا زيد ، بخلاف : جاء زيد راكبا ، إذ يحتمل أن يكون صاحبا أو ماشيا أو غيرها ؛ وقد خالفه الجمهور فى ذلك .

مقامات القصر :

وهذا هو صميم الفن فى امر القصر ، بخلاف تلك الأقسام التى أعرضنا عن ذكرها فيما سبق ، وبخلاف ما يعنون به ويطلقون فيه من بيان موقع كل من المقصور والمقصور عليه فى أدوات القصر الأربعة ، وبيان جواز تقديم المقصور عليه على أداة الاستثناء وعدم جوازه ، فهذه أحكام لغوية نحوية لا يصح ذكرها فى هذا الفن ، ولا العناية بها فيه ، وقد يكفينا منها بيان أن المقصور عليه فى العطف بيل أو

(٥) سورة فصلت الآية ٦ .

(٢) المثل السائر ص ١٨٠

(١) شبهة كل شيء : حقه .

لكن هو ما بعدهما ، وفي العطف بلا هو ما قبلها ، وفي الاستثناء هو ما بعد إلا
أو غيرها من أدواته ، وفي إنما هو المؤخر ، وفي التقديم هو المقدم .

مقام الاستثناء من النفي :

والأصل في القصر بالاستثناء من النفي أن يكون فيما يحمله المخاطب وينكره أو
يشك فيه ، كقوله تعالى ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ (*) فإنه أمر ينكره المخاطبون به من
المشركين ، وقد يكون في أمر معلوم للمخاطب وإنكاره ينزل منزلة المجهول عنده
لاعتبار مناسب ، كقوله تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خات من قبله الرسل ﴾ (١)
فالمنفي على أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى النبوة من الهلاك ، وقد نزل في
ذلك استعظامهم هلاكة منزلة إنكارهم إياه ، والاعتبار المناسب فيه هو الإشعار
بعظم هذا الأمر في نفوسهم ، وشدة حرصهم على بقائه عندهم ، ومن ذلك قوله
تعالى ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير ﴾ (٢) فإنه ﷺ كان لشدة
حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتهدين منهم ، ولا يرجع عنها ، فكان في
معرض من ظن أنه يملك مع صفة الإنذار لإيجاد الشيء فيما يتمتع قبوله إياه ، ومن
ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان
يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ ، قالت لهم رسالهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله
فليتوكل المتوكلون ﴿ (٣) ففي القصر الأول نزل للكفار الرسل منزل من يكر أنه
بشر لا هم تقادهم أن الرسول لا يكون بشرا ، مع إصرار الرسل على دعوى الرسالة ،
وفي القصر الثاني جرى الرسل الكفار في كلامهم لتبكيهم وإلزامهم وإلغامهم ، فإن
من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على
وجهه ، ثم يبين له أنه لا يلزمه مع ذلك ما يظن أنه يلزمه ، فكان الرسل قالوا
لهم : إن ما قلتم من أنا بشر مثلكم هو كما قلتم لا تنكروا ، وإن كان ذلك لا يمنع أن

(١) آل عمران الآية ١٤٤ .

(*) ٦٢ : آل عمران .

(٢) سورة فاطر الآية ٢٢ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ١٠ ، ١١ .

يمن الله علينا برسالاته ، فالقصر في كلام الرسل صوري فقط يقصد منه المشاكلة
اللفظية ، لتكون أقوى في المجازاة ، ولا يريد منه الرسل إلا أصل الإثبات على سبيل
التجريد . وفي القصر الثالث جرى الاستثناء من النفي فيه على أصله ، لأنه في أمر
يجمله المخاطب ويكره .

مقام انما :

والأصل في القصر انما أن يكون فيما شأنه ألا يجمله المخاطب كقول أبي الطيب
يخاطب كافرا :

إنما أنت والدك والابن الفاضل طع أحسنى من واصل الأولاد
يعنى أن كافورا لابن الإخشيده حوله بمنزلة الوالد ، ومن شأن هذا ألا يجمله
كافور ، واسكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبئ عليه استدعاء ما يوجبه ،
والمعنى أن الابن القاطع للأولاد أحسن عليهم من الأولاد الواصلين للآباء ؛ لأن
حنو الوالد على ولده ، أشد من حنو الولد على والده .

وقد يسكون ما تستعمل فيه وإنما يجمل للمخاطب ، واسكنه ينزل منزلة المعلوم
لادعاء ظهوره ، وهذا نحو قول عبيد الله بن قيس الرقييات في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ادعى أن كون مصعب كذلك جلي معلوم لكل أحد ، على عادة الشعراء إذا
مدحوا أن يدعوا في كل ما يصفون به مدوحهم الجلاء . ومثله قول شوقي :
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب ذهبهم أخلاقهم ذهبوا
وقول الآخر :

وإنما المرء حديث بعده فسكن حديثا حسنا لمن وصى
وهذا أيضا قوله تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن
مصلحون) (١) ادعوا أن كونهم مصلحين ظاهر جلي ، ولهذا أكد في الرد عليهم
بقوله (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (٢) ، لم يقتصر فيه على تأكيد

(١) سورة البقرة آية ١١ (٢) سورة البقرة آية ١٢ .

واحد ، بل جعل الجملة اسمية ، وعرف الخبر باللام ، ووسط خبر الفصل ، وصدر بحرف التنبيه ثم يان .

وإذا استقرت مواقع دلائلنا ، ووجد أنها أحسن ما تكون موقعا إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها ، لأنه إذا كان شأن الحكم الذى تستعمل فيه أن يكون معلوما للمخاطب أو منزلا منزلة المعلوم ، فإنه لا يكون مهماً لإفادته للمخاطب ، وإنما يكون المهم معنى آخر وراءه يلوّح به إليه ، لأنه جاهل به ، مُصرّاً على إنكاره ، كما ترى في قوله تعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ إنما يتذكر أولو الالباب (*) فإنه تعريض بضم الكفار وأنهم من فرط اعتناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بنى عقل ، فمن يطمع منهم أن ينظروا وينذكروا كمن يطمع في ذلك من غير أولى الالباب . وكما في قول الشاعر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما مُنْجِحُ الأمور بقرة الاسباب
فاليوم حاجتنا إليك ، وإنما يُدْعَى الطبيبُ لساعة الاوصاب
يقول في البيت الأول إنه ينبغي أن أنجح في أمرى حين جعلتك السبب إليه ،
وفي الثانى إنما قد طلبنا الأمر من جهة حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة ،
وهولنا على فذلك . كما أن من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد أصاب في فعله .

مقام العطف والتقديم :

وأما القصر بالعطف والتقديم فهو كما قال صاحب الاطول (١) يأتي فيما يأتي له
القصر بالاستثناء من النفي ، كما يأتي فيما يأتي له القصر بإنما ، كما في قوله تعالى ﴿ وإياك
نعبد وإياك نستعين ﴾ وقول الشاعر :

سيزكرنى قومي إذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يُفْتَسِدُ البدرُ
وكما في قول بعضهم :

ليس اليتيم الذى قد مات والداه بل اليتيم يقيم العلم والآداب

(٥) سورة الزمر آية ٩ (١) حاشية البناني على شرح السعد ص ٢٧٢ ج ١

مع قول الآخر :

وما شاب رأسى من سنين تباغت^١ على^٢ ولكن شيبتنى الوقائع^٣
وإذا كان هذا مقامهما فى القصر ، فلا شك أنه فى البلاغة دون مقام القصر
بالاستثناء والقصر بينهما ، لما يمتازان به عليهما من هذه الفروق الدقيقة .

اجتماع أداتى القصر :

وقد يجتمع فى الكلام أداتا قصر على حكم واحد عند قصد زيادة التحقيق
والأكد ، كما سبق فى قول الشاعر :

إلى الله أشكر لا إلى الناس أفنى أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

اجتمع فيه من أدوات القصر القديم والعطف ، ومن ذلك قول الآخر :

أسامياً لم تزد^٤ معرفة وإنما لذة ذكرناها

اجتمع فيه إتما والتقديم ، كما اجتماعا أيضاً فى هذا البيت :

أأفليمت^٥ من شاء بعدك ، إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

ولا يجوز فى ذلك لغة اجتماع الاستثناء من النفي مع لا العاطفة ، لأن شرط
النفي بلا ألا يكون مشفياً قبلها بخيرها ، وقد وقع فى هذا الحيرى فى قوله :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلسى يومه لا ابن أمسه

ولا يحسن اجتماع « إنما » مع « لا » ، العاطفة إذا كان الحكم فى نفسه مختصاً
بالمحكوم عليه ، لأنه لا يكون هناك حاجة إلى تأكيد القصر ، كقوله تعالى ﴿ إنما ﴾
يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون (٥) فإن كل عاقل يعلم
أن الاستجابة لا تكون إلا من يسمع (١) ، والسكاكى يمنع فى هذا اجتماع « لا »
مع « إنما » ، ولعله هو الحق ؛ لأن اجتماع أداتى القصر يكون لقصد زيادة
التحقيق والتأكيد ، ولا داهى إلى ذلك هنا .

(٥) الآية ٣٦ سورة الأنعام .

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٩

٢ - الاسناد الاسمي والفعل

الفرق بينهما عند عبد القاهر :

إن الفرق بين الإسناد إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل هو كما قال عبد القاهر (١) ، فرق لطيف تيسر الحاجة في علم البلاغة إليه ، وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضى تجدد شياً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ، فإذا قلت « زيد منطلق » فقد أثبت له الانطلاق من غير أن تجعله يتجدد منه شيئاً فشيئاً ، وكنت في هذا كما تقول زيد طويل وعمر وتصير ، وإذا قلت « زيد ينطلق » فقد جعلت الانطلاق يقع منه جزءاً جزءاً ، وجعلته في هذا بحيث يزاوله ويزجيده .

مقامات الاستمرار التجددى فى الفعل :

والحق أن الفعل لا يفيد الاستمرار التجددى فى كل المقامات ، ولا فى كل أنواعه الثلاثة (الماضى والمضارع والامر) ، وإنما موضوعه فى ذلك على إقادة التجدد بمعنى حصول الشيء بعد عدمه ، ولا يفيد الاستمرار التجددى إلا إذا كان فعلاً مضارعاً ، ولا يكون هذا إلا فى مقامات خاصة تستدعيه ، وهى مقامات الفخر والمدح والجهاء ونحوها ، مثل قول طريف بن تميم المعبرى :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُسْكَاظَ قَبِيلَةٍ ۖ بَعَثُوا إِلَى عَرَفَمٍ يَتَوَسَّسُ

أى يتفكر فى وجوه القوم ويتوسسها وقتاً بعد وقت لعله يهتدى إلى معرفتها ، ونحوه قول المتنبي :

مَتَدَبَّرُ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَفُّهُ ۖ وَلَيْسَ لَهُ يَوْمًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ

فمقام المدح يدل على أن تدبير الملك ديدنه فى كل وقت ، ويمتنع أن يكون المراد أن ذلك يحصل منه مرة واحدة ، وكذلك قول الآخر :

نُورُحُ ۖ وَنُغْدَرُ لِحَاجَاتِنَا ۖ وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنقُضُ

(١) دلائل الإعجاز ص ٩٤

مقامات الاستمرار المتصل في الاسم :

وقد تفيد الجملة الاسمية الدوام والاستمرار في مثل المقامات السابقة أيضا ،
ولكن الاستمرار في الجملة الاسمية استمرار متصل لا تجددى ، مثل قوله تعالى
(وإنك لعل خلق عظيم) (١) ومثل قول النضر بن مجوية :

لا يَألفُ الدرهمُ المضروبُ مصرَنا لكنَّ يهرُّ عليها وهو منطلقُ

فهو يريد أن دراهمهم دائماً الاطلاق إلى المعوزين وأرباب الحاجات ، وقد ساق
عبد القاهر (٢) هذا البيت شاهداً على ما ذكره من إفادة الاسم إثبات المعنى للشيء
من غير أن يقتضى تجدد شيئاً فشيئاً ، ولم يعن بإثبات معنى الدوام والاستمرار
فيه كما عني به غيره . وإنى أرى أنه لو قيل في ذلك (ينطلق) لآثاد من الاستمرار
التجددى ما يناسب مقام الفخر أيضاً . لكن الاستمرار المتصل أبلغ منه كما لا يخفى .

وإذا كان وضع الجملة الاسمية على إفادة الثبوت ، ووضع الجملة الفعلية على إفادة
التجدد ، فإن الجملة الاسمية تدل في ذلك على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية ،
ولهذا ذهب بعضهم إلى أن الجملة الاسمية تفيد تأكيد المعنى ، وقد تؤثر الجملة الاسمية
من أجل هذا في بعض المقامات على الجملة الفعلية ، كما سبق في قوله تعالى (وإذا
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) (٣) وكما في قوله
تعالى (وأقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء
بعجل حنيذ) (٤) إذ أصل الأول : نسلم سلاما ، وتقدير الثانى : سلام عاييكم ،
كان إبراهيم عليه السلام أراد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ، أخذاً بأدب الله
تعالى في قوله (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) (٥) .

وكذلك قوله تعالى (قالوا أجنثنا بالحق أم أنت من اللاعين) (٦) أى أأحدثت
عند تعاطى الحق فيما نسمعه منك أم اللعب وأحوال الصبا بعد مستمرة عليك ؟
وقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) (٧)

-
- (١) القلم : ٤ (٢) دلائل الإعجاز ص ٩٤ (٣) سورة البقرة : ١٤ .
(٤) هود : ٦٩ . (٥) النساء : ٨٦ . (٦) الأنبياء : ٥٥ .
(٧) البقرة : ٨ .

أجاب قولهم ﴿آمنّا﴾ بقوله ﴿وما هم بمؤمنين﴾ لإخراج ذواتهم من جنس المؤمنين
مبالغة في تكذيبهم ، ولهذا أطلق قوله ﴿مؤمنين﴾ وأكد نفيه بالباء ، ونحوه
قوله تعالى ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ (١)

استعمال المضارع في مقام الماضي :

وقد يستعمل الفعل المضارع في مقام الفعل الماضي لأغراض منها قصد
استحضار صورته لغرابية فيها أو نحوها ، كما في قوله تعالى ﴿والله الذي أرسل
الرياح فتشهر سحابا فسقناه إلى بلد مغيب فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك
الذئور﴾ (١) إذ قال ﴿فشهر﴾ استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة
الباهرة ، وكما في قول تأبط شراً :

الآمن مبلِغ فيان فتهم بما لاقيت عند رحا بطان

بأننى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصفيحة صهجان (٢)

فقلعة لها كلانا نصو أرض (٣) أخو سقر فخلصى لى مكافى

فشدت شدة نحوى فأهوت لها كمتى بمصقول يمان

فاضربها بلا دهمش فخرت صريعاً للبدن وللجيران (٤)

إذ قال د فاضربها ، لذلك أيضاً ، وسيأتى لذلك أغراض أخرى في الكلام على
لو من أدوات الشرط .

استعمال الماضي في مقام المضارع :

وقد يستعمل الماضي في مقام المضارع لأغراض منها الإشارة إلى تحقق وقوع
الفعل ، كما في قوله تعالى ﴿أتى أمر الله فلا تستهجلوه سبحانه وتعالى عما
يشركون﴾ (١) فأتى فيه بمعنى يأتى ، ومنها الأغراض الآتية في استعمال الماضي
شرطاً لأن عند الكلام على النقيض بأدوات الشرط .

(١) السهب : بفتح السين الغلالة ، والصهجان : ما استوى من الأرض .

(٢) النضو : الموزول .

(٣) الآية ٣٧ سورة المائدة .

(٤) الجيران : فى الأصل مقدم هتق البعير من مذبحه إل منجوره .

٤ — أغراض الاسناد الخبري

الأغراض الأصلية :

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين : أولهما إفادة المخاطب حكمه ، ويسمى ذلك عندهم فائدة الخبر كقوله ﷺ ، الخيل معقود في نواحيها الخير . وثانيهما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ، ويسمى ذلك عندهم لازم فائدة الخبر ، مثل قولك لمن يخفى زواجه عليك ، أنت تزوجت ، ، والأخبار التي تلقى في أحد هذين الغرضين يقال في مقام جعل المخاطب بفائدة الخبر أو لازم فائدته ، فتلقى على أصلها بدون زيادة شيء فيها من تأكيد ونحوه ، وهي الأخبار المسطرة بين الناس في محاورهم وتخطابهم .

الأغراض غير الأصلية :

وقد يلقى الخبر لأغراض أخرى غير هذين الغرضين تستفاد من سياق الكلام ، وذلك يكون عنده علم المخاطب بهما ، فلا يكون الغرض عن الخبر إفادتهما ، وإنما يكون الغرض واحدا من تلك الأغراض الأخرى ، فمنها إظهار الفرح والسرور كقوله الشاعر :

هنا عذاذك الزاء المقدما فاعبَسَ المحزونُ حق تَبَسَّما

ومنها إظهار الأسف والحسرة على فئت كقول الشاعر :

ذهب الذين يُعَاشُ في أكنافهم وبقيتُ في سِخْلٍ كجِلْدِ الأَجْرِبِ

ومنها إظهار الضعف والخشوع كنول الشاعر :

إلهي عبيدك الماصي أناكا مقراً بالذنوب وقد عصاكا

ومنها التوبيخ كقول أمانة الخثعمية لابن الدثيمة :

وأنت الذي أخلفني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

ومنها إظهار الأمتثال في قوله تعالى ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ (*) فلا يقصد موسى

(٥) الآية ١٨ سورة طه .

بما قاله إلا إظهار الامتنان لربه ، وليس في هذا إعلام بفائدة الخبر ولا بلازم فائدته ، لا ممتناع الجمل في حق الله تعالى .

ومنها قصد الوعظ والإرشاد في نحوه قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (*) .

وفائدة الخبر تفهم من ذات الخبر ، ويدل عليها لفظه دلالة أصلية ، وما عداها من أغراضه يفهم من السياق أو نحوه ، ودلالة الخبر عليه دلالة تبعية مثل دلالة الالفاظ على المعاني هذه الأصلية ، فلا توصف بأنها حقيقة ولا مجاز ولا كناية ، وقيل إن الخبر في مثل إظهار الفرج والسرور ونحوه من الأغراض بمعنى الإنشاء ، فيكون المقصد منه الدعاء أو نحوه ، وقد أول في هذا قول امرأة عمران ﴿ رب انى وضعتها انى ﴾ (١) بمعنى تقبل منى وهكذا .

(*) الآية ٢٧ سورة الأنفال .

(١) الآية ٣٦ آل عمران .

أحوال الطرفين والمتعلقات

١ - الذكر

الذكر ضرب من الإطناب :

ذكر الأستاذ أحمد المراغي (١) أن هذا الباب لم يتعرض له كثير من أئمة الفن ، كآبي هلال العسكري وعبد القاهر ، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسوغ البحث عنه في علوم البلاغة ، وأول من عنى بذكره السكاكي ومن هذا من المتأخرين حذوه ، وإنى أرى في هذا أن باب الذكر كان يدخل عند المتقدمين في باب الإطناب ، لأن الذكر ضرب من ضروبه .

وإنما يكون الذكر باباً من أبواب البلاغة إذا وجدت قرينة تدل على المذكور عند حذفه ، فلا يكون ذكره في هذه الحالة واجباً ، ويكون متعجباً إلى تمكنه ثم يصح ذكره على حذفه .

مقامات الذكر :

ومن مقامات الذكر زيادة الكشف والإيضاح ، كما في قوله تعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) ذكر اسم الإشارة ثانياً للتنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاستئثار بالهدى ثبت لهم الاستئثار بالفلاح ، وكما في قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقنوا خلقهم العزيز العالم ﴾ (٣) ، وقوله ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ (٤) ومثل هذا من باب الإظهار في مقام الإضمار أيضاً ، ومنها بسط الكلام في مقام يقتضي التيسير ، إما لأن الإضمار من السامع مطلوب للتمكك ، كما في قوله تعالى ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ ، قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ (٥) فكان يكفي في الجواب أن يقول (عصا) ، ولكنه يكلم رب العزة ، ومن يظفر بهذه المنزلة يكون

(١) علوم البلاغة ص ٨١ د المطبعة الحديثة .

(٢) سورة البقرة : آية ٥ . (٣) سورة الزخرف : آية ٩ .

(٤) سورة الاسراء : آية ١٠٥ . (٥) سورة طه : آية ١٧ .

الاستماع مطلوباً له ، ولهذا زاد في الجواب عما طلب منه . وإما لأن المقام مقام
افتخار أو نخوة ، كقول البارودي :

أنا مصدرُ الكلام البوادي بين المحاضر والنوادي
أنا فارسُ أنا شاعرُ في كلِّ ملحمةٍ ونادي

وكقول العرجي (أو مجنون ليلى) :

يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا ليلاي منكنَّ أم ليلى من البشر

وكقول ليلى الأخيالية في مدح الحجاج :

إذا نزل الحجاجُ أرضاً مريضةً نذبَّع أقصى دأماً فشفاهما
شفاهما من الداء العُمُضالي الذي بها غلامٌ إذا هنَّ القناة سقاها

ومنها التعريض بعبادة السامع ، كقوله تعالى ﴿ قالوا أأنـت فعلت هذا يا هـتـنا
يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألهم إن كانوا ينطقون ﴾ (١) كان يكفيهِ أن
يقول ﴿ بل كبيرهم ﴾ ولستهم أغبياء لانكفيهم القرينة السابقة ، فأعاد ذكر الفعل
تعريضاً بعبادتهم .

ومنها التسجيل على السامع فيما ينكره حتى لا يفتأ له إنكاره ، كقول الفوزنق
لهشام حين أنكر معرفته زين العابدين :

هذا ابن خير عبادِ الله كلهم هذا التقى النقي الطاهر القام
ومنها المبالغة في الرد على المخاطب إذا كان ينكر صحة ما يقال له ، أو كان
حالُه شديداً بذلك ، ومن الأول قوله تعالى ﴿ وضرب لنا مثلاً ونمى خلقه قال من
يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٢)
ومن الثاني قوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير
ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ (٣) .
وفي هذه النكات التي ذكرناها كفاية في ذلك ، وقد أعرضنا عن النكات
الضحوية التي يذكرونها هنا ، لأنها لا تدخل في هذه العلوم كما سبق بيان ذلك
في موضعه .

(٣) الامثال : ٧ .

(٢) يس : ٧٨ .

(١) الانبياء : ٣ .

٢ - الحذف

مزايا الحذف :

الحذف ضرب من الإيجاز كما أن الذكر ضرب من الإطناب ، وهو كل قال عبد القاهر (١) : « باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأثر شبيه بالسحر ترى به ترك الذكر والصمت عن الإثارة أزيد للإفادة ، وتجهدك أنطق ما تكون إلا لم تنطق ، وأنتم ما تكون بيا إذا لم تبين » وإذا كان الذكر لا يعد من أبواب البلاغة إلا عند وجود قرينة يمكن بها الاستغناء عنه ، فإن الحذف أيضاً لا بد فيه من قرينة تدل على المحذوف وإلا كان تسمية وإلغازاً ، وهو ضربان : ضرب يظهر عند الإعراب كقولهم (أهلاً وسهلاً) فإن النصب يدل على ناصب محذوف ، وضرب لا يظهر بالإعراب ، وإنما يعلم مكانه بتصريح المعنى وتوقفه عليه ؛ كقولك « فلان يعطى » ويمنع ، أى كل أحد ، وهذا إذا قصد من الحذف التعميم كما سيأتى ، وللحذف فى الضرب الثانى من الحسن والأريحية ما لا يوجد فى الضرب الأول .

مقامات الحذف :

وللحذف مقامات عامة فى الطرفين والمتعلقات ، ومقامات خاصة بالمتعلقات من المنعول به وغيره ، أما الأولى فمنها قصد الاختصار والاحتراز عن العبث لوجود القرينة ، وهى نكتة عامة فى جميع مقامات الحذف كما هو ظاهر ، ولكنها تستأثر بالحذف هنا وحدها ، كقوله تعالى ﴿ وما أدراك ما هية ﴾ ، نار حامية ﴿ أى هى نار حامية ، وقوله ﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أسبق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون ﴿ أحق أن يرضوه ﴾ خبراً عنهما ، وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله . وكقولك أصغيت إليه أى أذنى ، وأغضيت عليه أى بصرى — وعاميه قوله تعالى ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك . الآية ﴾ أى أرنى ذاك ، وأما قوله تعالى ﴿ وقالت اليهود عذير ابن الله وقالت النصارى المسيح

(١) دلائل الإعجاز ص ٨٠

ابن الله ذلك قولهم بأفواههم (*) . الآية . فقد قال الزمخشري فيه : وإن قامت كل قول يقال بالنعم فما معنى قوله (ذلك قولهم بأفواههم) ؟ قلت فيه وجهان : أحدهما أن يراد أنه قول لا يعنده برهان ، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته ، والثاني أن يراد بالقول المذهب ، كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم ، لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر فيها .

ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب شعر أو توجع وتضجر ، كقول الشاعر :

قال لي كيف أنت ؟ قالت عايلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ
أى أنا عليل ، وحالى سهر دائم وحزن طويل . وكقول ضابيء البُرجى :
ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإنى وقيسار بها . لغريب (١)

أى وقيار كذلك ، ولا يصح أن يكون قيار معطوفاً على محل اسم إن (ولغريب) خبر عنها ، لا متاع العطف على محل اسم إن قبل مضى خبرها ، ولا يجوز أيضاً أن يكون (لغريب) خبراً عن قيار ، وخبر إن هو المحذوف ، لأن خبر المجتد الغير المدسوخ لا يقتزن باللام إلا فى الشذوذ .

ومنها تعين المحذوف وعدم احتمال غده حتمية أو ادعاء ، وهذا يكثر فى مقام الفخر والمدح وغيرهما كقوله تعالى (لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) (٢) أى لينذر الكافرين ، فذمهم لأن الإنذار لا يكون إلا لهم ، وذكر المؤمنين تشريفاً لهم ، وإن كان التبشير أيضاً مختصاً بهم ، وكقول الشاعر :

لست إذا صعدت المنابر أو نضاً قلماً شأى الخطباء والكتّاب (٣)
وكقول ليل الأخيلية :

أحسّاجٌ لا ينفلسلٌ سلاحك إنما الـ متايا بكفٌ الله حيث تراها
أى لا يفال الله سلاحك ، وهذا من حنق الفاعل وإنابة المفعول عنه ، وهو

(*) سورة النوبة آية ٣٠

(١) الرحل : المنزل والمأوى ، وقيار : اسم فرسه أو غلامه .

(٢) نضاً : جرّ ، وشأى : سيق . (٣) سورة الكهف آية ٢

داخل في باب الحذف أيضاً ، وهم يذكرون في علم النحو نكاته من العلم بالفاعل أو جملة أو الخوف منه أو عليه ، ولكن موضعها الأصلي هذا العلم .

ومنها صون المذوف عن اللسان تعظيماً له ، أو صون اللسان عنه تحميراً له كقول الأقبشر الأسدي في ابن حم له ومسر سأله فنهقه ثم لطمه على وجهه :

مريع إلى ابن العمى يعلم وجهه وليس إلى داعي الشدى يسريع

حريص على الدنيا مضيق لدينه وليس لها في بيته بمضيق

وكقول الذابضة الذبياني في الغساسنة :

ملوك وإخوان إذا مدحتهم أعتكتم في أموالهم وأقرب

وكقول عائشة رضي الله عنها : كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، فما رأيت منه ولا رأي مني ، أي العورة .

ومنها اتباع الاستعمال الوارد بالحذف ، كقولهم في المثل « رمية من غير رام » أي هذه رمية ، فينطق به كما ورد لأن الأمثال لا تغير .

وكذلك اتباع الاستعمال الوارد على ترك نظائره ، كما في الرفع على المدح أو الذم أو نحوهما ، فإن المسند إليه لا يكاد يذكر في ذلك ، فيقولون بعد أن يذكروا المدوح ، غلام من شأنه كذا وكذا ، أو دقي من شأنه كيت وكيت ، كما قال ابن علقمة الفزاري يمدح مصعبلة وقد شاطره ماله لما رآه معوزاً

رأى على ما بي مصعبلة فاشتكى إلى ماله حالي أسراً كما يجهر

غلاماً رماء الله بالخير يافعا به يسيمياء لا يتششق على البهر

ومن ذلك في حذف المسند قول أدهش قيس :

إن كهلاً وإن ممر تحيلاً وإن في السقف إذ متهنوا مهلاً

لاطراد حذف المسند مع تكرار إن وتعداد اسماء ، والحذف لا يجمع الاستعمال واجب نحو ، ولكنه يصار إليه في أصله لمكانة بلاغية بقرينة .

ومنها المحافظة على السجع كقولهم « من طابت سريرته ، حميت سيرته ، فلو قالوا حمه الناس سيرته لفات هذا السجع ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ والضحى والليل إذا

سبحي ، ما ودعك ربك وما قلى) (*) أى قلاك ، ويجوز أن يكون فى هذا أيضا صوته عن التصريح بإيقاع لفظ " قلى " ، عاينه مبالغة فى تنزيهه عنه ، ولأنى أرى فى عدد نكتة المحافظة على السجع من تسكات الحذف خلطا بين مسائل علم البديع ومسائل هذا العلم .

الحذف للسجع من علم البديع :

وإذا كانت المحافظة على السجع غير واجبة من جهة بلاغة الكلام ، فإنه لا يصح ذكرها فى العلم الذى لا يبحث فيه إلا عن النكت الواجبة فيها ، ولو أنهم قالوا : ومن طابت سريرته ، حمد الناس سيرته ، لكان كلاما بليغا وإن فاته من ذلك السجع ما فاته ، لأن الحذف فى هذا النكتة بدعية ، وليس لمقتضى المقام الواجب مراعاته فى البلاغة .

مقامات حذف المفعول :

وأما المقامات الخاصة بحذف المفعول ونحوه : فمنها تنزيه منزلة اللازم حيث يكون الغرض ذكر الفعل دون متعلقه ، كقوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (١) فالمعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له ، وقوله : (وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا) (٢) وفى هذا المقام لا يكون للفعل مفعول مخصوص مقصود ، بخلاف غيره من المقامات الآتية .

ومنها قصد توفر العناية على إثبات الفعل للفاعل دون المفعول لغرض من الأغراض ، كقول البحترى يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله :

شجـو حـضاره وغيـظ هداه أن يرى مبصر ويسمع واهى

فالمراد أن يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واج أخباره ، ولكنه حذف ذلك لتوفر العناية على إثباته للفاعل ، ويؤهم أن المراد أن يكون ذو رؤية وذو سمع ، لأن محاسنه وأخباره مشهورة ، فلا يقع البصر إلا عليها ، ولا يدخل فى السمع غيرها ، وكقول عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقن ولكن الرماح أجرت (٣)

(١) سورة الضحى آية ١ (٢) سورة الزمر آية ٩ (٣) سورة النجم آية ٣
(٤) أجرت فى الأصل بمعنى شق لسان التفصيل لئلا يرضع أمه ، والمراد هنا أنها قطعت لسانه عن مدحهم .

فالمراد أجزأني ، واسكنه حذف المفعول لذلك أيضا ، فيوم أن إجمارها كان
حاملاً له ولغيره .

ومنها البيان بعد الإبهام ليسكون أوقع في النفس ، كما في قول البحتري :
لوشئت لم تفسد سباحة حاتم كرماء ولم تدم مأثر خالده
فإن تقديره لو شئت ألا تفسد سباحة حاتم لم تفسدها ، واسكنه حذف المفعول
في الأول ، لأنه متى قال لوشئت ، علم السامع أن ما هنا شيئاً تعلقت المشيئة بوجوده
أو عدمه ، فإذا صرح به بعد ذلك كان أوقع في نفس سامعه ، وهذا الحذف مطرد
في فعل المشيئة ما لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، فإذا كان في تعلقه به غرابة وجب
ذكره ، كقول إسحاق النخعي يرمى يرثى حفيده :

ولو شئت أن أبكى دماً لبكيتك عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأما قول علي بن أحمد الجوهري :

فلم يبتق في الشوق غير تفكري فلو شئت أن أبكى بكيتك تفكراً

فليس منه ؛ لأن المراد بالاول البكاء الحقيقي ، والبكاء الحقيقي لا غرابة فيه ،
ولما ذكر لأن المراد بالثاني بكاء التفكير ، فلا يصلح تفسيراً له عند حذفه ، وقيل
إنه يجوز أن يكون المعنى فلو شئت أن أبكى تفكراً بكيت تفكراً ، على التنازع ،
ولكن المعنى الأول أبلغ .

ومنها دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد ، كقول
البحتري :

وكم ذدت هفتي من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم

أي حزن اللحم ، ولما حذف لئلا يتوهم السامع قبل ذكر العظم أن الحزن لم
يصل إليه ، ولأنها إذا وصلت إلى العظم فلا بد أن تكون حوت اللحم ، فذكر العظم
يعني عن ذكره .

ومنها إرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه لإظهار
لكمال العناية بوقوعه عليه ، كقول البحتري :

فقد طلبنا فلم نجد لك في الشؤ ددٍ والحمد والمكارد مثلاً
أى قد طلبنا لك مثلاً ، لحذفه لأنه أراد أن يوقع نفى الوجود على صريح
لفظه لا على ضميره اهتماماً به . لأجل هذا المعنى عكس ذو الرثمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئلا أن يكون أصاب مالا
لأن فرضه إيقاع نفى المدح على اللثيم صريحاً دون الإرضاء ، ويجوز أن يكون
سبب الحذف في بيت البحتري قصد البيان بعد الإبهام ، أو قصد المباغة في التأدب
مع المدح بترك مواجته بالنصریح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل ، لأن
العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده .

ومنها قصد التعميم في المفعول مع الاختصار ، مثل قوله تعالى ﴿ والله يدعو
إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾^(١) أى يدعو كل أحد ، ولا شك
أن التعميم موجود مع ذكره ولكنه لا اختصار معه ، والحذف له في ذلك تأنيدي في
الجملة ، وهذا من جهة أنس تقدير مفعول خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح
فيكون الحل على العموم أولى ،

٣ - التعريف والتذكير

مقامات التعريف والتذكير :

للتعريف مقامه الذى يرجعه على التذكير ، كما أن للتذكير مقامه الذى يرجعه على
التعريف ، وإنه ليعين الفرق بينهما جلياً في قوله تعالى ﴿ وجاء رجل من أقصى
المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتهمرون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من
الناصحين ﴾^(٢) فإنه لما كان لا يتعلق بتعيين هذا الرجل غرض جىء به منكراً ، ثم إنه
لا بد أن يكون أتى إلى موسى في خفية خوفاً على نفسه ، فكان التذكير أنسب بحاله ،
أما المدينة فعرفت لأن المراد بها مدينة فرعون ، ولا بد من تعريفها لتعيين بها هذه
الحادثة التى وقعت لموسى فيها ، وأما الملأ فعرف لأن المراد بهم ملأ القتل الذى
قتله ولا بد من تعريفهم ليعرف موسى قوة الخطر المحدق به ، فيسمع الفصح الذى يوجه
له ، فقام التعريف يكون حيث يطلب تعيين المقصود في الكلام ، وهذا هو مقام

(٢) سورة القصص : ٢٠

(١) سورة يونس : ٢٥

مطلق التعريف، وستأتي له مقامات خاصة بأنواعه من الضمائر، والأهلام، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، والأسماء المعرفة باللام، والأسماء المعرفة بالإضافة. ومما يتكهن يكون حيث لا يطلب تعيين المقصود في الكلام، وهذا هو المقام الأصلي فيه، وستأتي له مقامات أخرى غيره.

مقام الضمائر:

الأصل في الضمائر أن تكون للدلالة على تكلم أو خطاب أو غيبة، وهذه هي معانيها النحوية المعلومة، وقد يشعر ضمير المتكلم (أنا) باعتقاد المتكلم بنفسه كما أشار إلى هذا بعض الشعراء:

إنّ الفتي من يقول هأنذا ليس الفتي من يقول كان أبي

ومن ذلك قول بشار:

أنا المرسع لا أخفى على أحد ذررت بني الشمس للقاصي والله أني (١)

وقد يبالغ المتكلم في تعظيم نفسه فيضع لها ضمير جماعة المتكلمين (نحن)، ويمكن أن يكون من هذا قول عمرو بن أمية الضمير الخزرجي:

نحن بما عزمنا وأنت بما عهدك راض والرائ مختلف

وكذلك ضمير الخطاب قد يشعر بمثل ما يشعر به ضمير المتكلم وواء معناه الأصلي، فإن الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معين، ولكنه قد يخاطب به غير المشاهد بتنزيله منزلة المشاهد، وإشعار أنه دائم الحضور بالقلب، مثل قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) (٢) وقول ابن زيدون:

بذنتم وبنتا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا سمفت ما قينا

وقد يخاطب به غير المعين ليعلم كل من يمكن مخاطبته على سبيل البذل، لا على طريق تناول دفعة واحدة، وقد قيل إن هذا يجوز في استعماله، والحق أنه ليس من التجوز، لأن المجاز لا يأتي في الضمائر وأشباهاها، ومن ذلك قوله تعالى (ولو ترى إذ يجرموننا كسوة رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل

(١) المرسع مأخوذ من الرعشة وهي القوط، لقب بذلك لرعشة له كانت في صغره، وذرت: طلعت.

(٢) الفاتحة: ٥، ٦.

صالحا إنا موقنون) (١) فقد أخرج الكلام في صورة الخطاب مع إرادة العموم تنبيها إلى تفضيع حالم ، وأنها بلغت الغاية في الظهور بحيث لا تخفى على أحد ، ومن ذلك قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تسخطه
والأصل أيضا في ضمير الغائب أن يعود إلى مذكور في الكلام أو ما هو في حكم المذكور ، كما في قوله تعالى (اعذلوا هو أقرب للتقوى) (٢) أى العدل المفهوم من قوله (اعذلوا) وقد يعود ضمير الغيبة إلى غير مذكور لفظا أو حكما ، كما في باب نعم وبئس ، وباب ضمير الشأن والقصة ، مثل قوله تعالى (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٣) وقول الشاعر :

نعم امرؤا هريم لم تسخر نائبة إلا وكانت لمرتاع بها وزرا
وفائدة هذا النوع من البيان تمكين المعنى في نفس السامع بما فيه من نكتة الإجمال ثم التفصيل ، وقد يعود ضمير الغيبة إلى غير مذكور أيضا إذا أريد الإشعار بأنه دائم الحضور في ذهن في مقام النزل أو نحوه ، كقول الشاعر :

أبت الوصال مخافة الرقباء وأنتك تحت مدارج الظلماء
وقد تكون نكتة ترك ذكرها لإخفاء أمرها ، حتى لا يعرفها أولئك الرقباء فيمنعون عليها ، وسيأتي في باب الإيجاز عند هذا الإضمار نوعا منه .

مقام العلم

والأصل في الأعلام أن تكون للدلالة على معين بذاتها كما هو معناها النحوى ولكنها قد تشعر مع هذا بمدح أو ذم أو نحوه ، كما في الألقاب والكسنى المحمودة أو المنمومة مثل قوله تعالى : (تبت يدا أبي ليلى وب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب) (٤) وكان اسمه عبد العزى ، فمدل عنه إلى كديته إهانة له .

مقام الموصول :

والأصل في الأسماء الموصولة أن تكون لتمييز المعنى المراد منها بصلاتها ، ولكنها قد تشعر مع هذا بنوع من التفضيم تقصد من أجله ، مثل قوله تعالى : (فغشاها ما غشى) (٥) وقول أبي نواس :

(٣) الحج : ٤٦

(٢) المائدة : ٨

(١) السجدة : ١٢

(٥) النجم : ٥٤

(٤) المسد : ١ ، ٢

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت تسرح اللحظ حيث أساموا
وبلغت ما بلغ أمروء بشبابه فإذا مصارة كل ذلك أنام (١)
وقد يكون في صلاحها إيماء إلى ما يأتي بعدها فيكون في هذا نوع من الإيهام
ثم البيان ، كما في قول عبدة بن الطيب :

لن الذين تركوهم لإخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تنصروا
وقد ذكر الخطيب (٢) في هذا البيت نكتة أخرى ذكرها في نكات التعريف
بالصلة ، وهي نكتة تنبيه المخاطب إلى الخطأ في ظنه ، ولأن أرى أن هذه نكتة
متمحولة ولا تكاد تخرج عن نكتة الإيماء السابقة . ومن الإيماء بالصلة أيضا
قول النزدق :

لن الذي مسمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ
وقول أبي العلاء :

لن الذي الوحشة في داره قونسه الرحمة في لحدّه
وهو شبيه بالإيماء في بيت عبدة في أن كلا منهما إيماء إلى تقيض ما يؤم
فيه ، وذلك نوع عجيب من قوة البيان ، ولأنه ليفعل في النفس ما يفعل فيها السحر ،
وقد يقصد بالإيماء أن يتوجه ذهن السامع إلى ما سيخبر به ، حتى يأخذ منه مكانه عند
إلقائه ، وهذا فن عجيب من قوة البيان أيضاً يسمى التشويق ، كما في قول
أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه حيران مستحدث من جهاد (٣)
وقد يستعمل اسم الموصول أيضا في إخفاء أمر من الأمور لغرض من
الإنعاض ، كما في قول الشاعر :

(١) نهزت الدلو : ضربت به في الماء ، وأسمت : رغيت ، والمصارة : ما تلعب
بها عصر .

(٢) شرح الإيضاح ص ٨٢

(٣) هذا على حذف مضاف والتقدير : معاد حيران ،

وأخذت ما جادَ الأميرُ به وقضيتُ حاجاتي كما أهدى
وقد يستعمل في مقام التهنيت كما يستعمل في مقام التعظيم مثل قوله تعالى ﴿ وقالوا
يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ (١) .

مقام اسم الإشارة :

والأصل في أسماء الإشارة أن تكون لتعيين المشار إليه بإشارة حسية ولكنها
قد تشعر مع ذلك بتعظيمه وكالظهوره كما في قول ابن الرومي في مدح أبي العتبر :
هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شيبان بين الضئال والسلم
وكما في قول الفرزدق يمجو جريراً ويفخر بأبائه عليه :

أولئك آبائي الخفي بهم لهم إذا جمعنا يا جريرُ المجمعُ

وقد ذكروا أنه في هذا يعرض بغباوة جرير أيضاً ، ويشير إلى أنه من الغباوة
بميت لا تميز الأشياء لديه إلا بالإشارة الحسية .

وقد تستعمل الإشارة القرينية في التحقير كما استعملت في بيت ابن الرومي
للتعظيم ، كما في قوله تعالى ﴿ وإذا رأك الذين كفروا إن يتخلفونك إلا هزوا أهذا
الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كفرون ﴾ (٢) يريدون تحقيره بدنو منزلته وأنه
لم يكن من ذوي الرياسة فيهم ، وقد تستعمل الإشارة البعيدة للتحقير كما استعملت
للتعظيم في بيت الفرزدق ، نحو قوله تعالى ﴿ فذلك الذي يدعُ اليقيم ﴾ (٣) يريد
تحقيره بعدم تقريبه منه في الإشارة إليه .

وقد تتضمن الإشارة نوعاً بديعاً من البيان ، فتذكر قبلها أوصافاً كثيرة ثم
تطوى فيها طياً ، ثم يرتب عليها ما يراد ترتيبه على هذه الأوصاف ، وهذا نوع
من البيان يسلك فيه الأجمال بعد التفصيل ، على عكس البيان بالتفصيل بعد الأجمال
وذلك مثل قول حاتم الطائي :

وفه صعلوك يساورُ همةً ويمضى على الأحداث والدهرُ مقبداً (٤)

(٢) الأنبياء : ٣٦

(١) الحجر : ٩

(٤) الصعلوك : الفقير ، ويساور : يواظب .

(٣) المساعون : ٢

ففي طلبات لا يرى الخمدن راحة ولا شبيعة إن نالها عمة مغنا (١)
 إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت تيمم كبراهن مُنمّت صمما
 ترى رعمه ونبله وسجنته وذا شطب عضب الضريبة منخما (٢)
 وأحناء سرج قاتر ولجامه عتاد أخى هيجاً وطرفاً مسوماً (٣)
 فذلك لمن يهلك فحسبنا ثنائه وإن عاش لم يقد ضميماً مذمماً
 وقد يستعمل اسم الإشارة لغير الحاضر المحسوس ، بتنزيل الغائب منزلة الحاضر
 وتنزيل المقول منزلة المحسوس ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد
 المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى
 الكافرين النار ﴾ (٤) وقوله : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم
 من الخاسرين ﴾ (٥) وقول أحمد بن يحيى بن إسحاق الزارندي :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
 هذا الذي ترك الأرواح حائرة وصير العالم النحير زنديقا

اسم الإشارة لا يأتي موضع الضمير :

أي هذا المذكور من حرمان العاقل ورزق الجاهل . وقد جعلوا هذا من باب
 وضع المظهر موضع المضمّر ، وهو عندي من تنزيل غير المحسوس منزلة المحسوس ،
 واسم الإشارة في هذا مثل ضمير الخطاب إذا استعمل في غير المشاهد لتنزيله منزلة
 المشاهد ، وهو أيضاً صالح للإشارة به إلى ما يذكر في الكلام قبله ، ولا يفتقر
 في هذا عن الضمير في عرده إليه أيضاً .

مقام التعريف باللام :

والأصل في اللام أن تكون لتعريف الحقيقة والجنس ، ولكنها قد يفتقر
 بها من القرائن ما يجعلها لتعريف العهد ، أو الاستغراق ، فأما التي لتعريف العهد
 فتعود إلى مذكور قبلها في الكلام ولو بطريق الكناية ، أو إلى معهود خارجي
 بين المتكلم والمخاطب ، والأولى مثل قوله تعالى ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً

(١) الخمدن ، الجوع (٢) بجمته : ترسه ، الشطب : الخطوط في متن السيف ،
 عضب الضريبة : قاطع الحد ، والخمد : القاطع بسرعة .

(٣) الأحناء : جمع حنو وهو اسم لفربوس السرج وهذا قربوسان مقدم
 ومؤخر ، والقاتر الجيد الوقوع على الظلم ، والعتاد : العدة ، والطرف الفرس الكريم .
 (٤) الرعد : ٣٥ (٥) فصلا : ٢٣

عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا، فوصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً (١) وهي من باب وضع المظهر موضع المضمّر ، فيقصد منها ما يقصد منه من التأكيد وزيادة التأكيد ، والثانية يقصد منها الإيجاز والاختصار أو التورية بشأن الشيء وأنه بحيث لا يجعله أحد ، مثل قوله تعالى ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ (٢) فالمراد الشجرة التي سميت بعد شجرة بيعة الوضوان ، وقد اكتفى بعلماهم عن تعيينها بما تعين به من مكان وغيره ، وما يفيد التورية منها بشأن ما دخلت عليه قول الخطبة شبة :

مطاعين للميجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وأما إلى الاستغراق فإنها تدل عليه مع الاختصار أيضا ، مثل قوله تعالى :
(والعصر ، إن الإنسان لقي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٣) فالمراد كل إنسان ، وهذا مركب من كلمتين ، وتلك كلمة واحدة . وما يدق فيه وجه الفرق بين هذه الالامات قوله تعالى : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ﴾ (٤) فتعريف الناس فيه الاستغراق ، والمعنى أنه أرسله لجميع الناس من العرب والعجم لا للعرب وحدهم ، لما يفيد من القصر بتدعيم الجار والمجرور على المفعول ، وليس تعريف الالام للعهد أو المجلس ، لتلافييد الكلام في الأول قصر رسالته على بعض الإنس ، لوقوعه في مقابلة كلهم ، وفي الثاني قصرها على الإنس دون الجن ونحوهم .

تعريف الخبير باللام :

وقد تدخل اللام على خبر المبتدأ فتأتي في هذا لغرضين : أولهما قصر الخبر على المبتدأ تحقيقا أو ادعاء ، وهذا مثل قول الأعمش في القصر التخيبي
هو الواهب المائة المصطفاة - إما متخاضة وإما هشارة (٥)
والقصر الادعائي مثل قول المتنبي :

(١) المزمل : ١٦ (٢) الفتح : ١٨ (٣) العصر : ٢ (٤) النساء : ٧٩
(٥) المخاض : الحوامل لا واحد له من لفظه ، والعشار : جمع عشارا كعشارا
وزناً ومعنى .

أنت الحبيب، ولكني أهوذا به فمن أن أكون محبباً غير محبوب
وثانيهما : الدلالة على ظهوره وأنه لا يخفى على أحد ، ولا ينكره مفكر ، مثل
قول الشاعر :

أسود إذا ما أبدت الحرب نابتها وفي سائر الدهر الغيوث الموارط
وقول الخنساء :

إذا قُبِحَ البكاءُ على قتيلٍ رأيتُ بكاءك الحسن الجليل
ولا يصح حمل التعريف هنا على القصر ، لأن هذا الكلام للرد على من يتوهم
أن البكاء على هذا القتل قبيح كالبكاء على غيره ، فيكفى فيه إخراجاً من القبح إلى
الحسن ، ولو كان الكلام للرد على من لم يحسن البكاء على هذا القتل ويدعى أن
بكاء غيره حسن أيضاً ، لصح حمل التعريف في البيت على القصر ، ولكن يمنع من
هذا صدر البيت كما هو ظاهر ، وقد ذكر الفخر الرازي (١) أنه لو جعل مفيداً للقصر
على وجه الادعاء والمبالغة لم يكن فيه خلل .

تعريف المبتدأ والخبر :

والفرض من تعريف الخبر مطلقاً إفادة السامع حكماً بأمر معلوم له ، ولكنه
يجوز ثبوته للمبتدأ ، وإلا فلا بد أن يكون الخبر مكرراً ، وهو الأصل فيه لأنك إنما
تخبر بما يجوله المخاطب فتعرفه لئلا ، فإذا قلت زيد أخوك فلا بد أن يكون هذا
في مقام من يعلم أن له أخاً ، ولكنه يجول أنه زيد ، وإذا قلت زيد أخ لك فلا بد أن
يكون في مقام من يجول أن له أخاً ، والفرق بين قولك زيد أخوك وقولك أخوك زيد
أن الأول يعرف المخاطب فيه زيدا بعينه واسمه ولا يعرف أنه أخوه ، أما الثاني
فيعرف المخاطب فيه أن له أخاً ولا يعرف أنه زيد ، وفي كل منهما يتعين في هذا
العلم أن يكون الأول هو المبتدأ : والثاني هو الخبر ، وهذه فروق دقيقة لا يعبرها
النحويون ، وقد اختلفوا في إعراب ذلك ، والمشهور عندهم أن الأول هو المبتدأ ،
وقيل إن المبتدأ هو أعرفهما ، وقيل إنه الاسم والوصف خبر ، وقيل إن كلا منهما
صالح للابتدائية والخبرية .

(١) دراية الإصباح ص ٤٤

مقام التعريف بالاضافة :

والاصل في التعريف بالاضافة أن يكون لتعيين المقصود بإضافته إلى معين يعرفه ولكنها مع هذا قد تؤثر على غيرها من المعارف في مقام تكون فيه أخصر منها مثل قول جعفر بن عتبة الحارثي :

هواي مع الركب اليانين مصعد^(١) وجنيب^٢ ومجثاني بمكة موثق^(٣)

فإن قوله (هواي) أخصر من أن يقال (الذي أهواه) ونحوه ، وهذا مع ما في الإضافة من تقريب محبوبه منه ؛ ولإفادة اختصاصه به ، ومن ذلك قول مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائدة وقومه :

بنو مطريوم اللقاء كأنهم أسود^(٤) لمأني غيل خفان أشبيل^(٥)

وقول الحارث بن وائلة :

قوى هم قتلوا أئمن^(٦) أخى فإذا رميت^٧ يصيبني سهمي

فبنو مطر في الأولى ، وقوى في الثاني أخصر طريق للتعريف بالمقصود فيهما ، ولو أريد فيهما التعريف بذكر الأسماء لتعذر ذلك أو تعسر .

وقد تتضمن الإضافة تهظيماً أو تحقيراً لئمان المضاف أو المضاف إليهما أو غيرهما كما في قول جميل :

أبوك حجاب سارق^(٨) الضيف برده^٩ وجسد^{١٠}ي يا حجاج فارس شترا
وقد تتضمن إشارة إلى استعطاف أو نحوه ، مثل قوله تعالى (لا تضار والده بولدها ولا مولود له بولده)^(١١) .

وقد تتضمن الإضافة لطفًا مجازيًا إذا كانت لأدنى ملائمة بين المضاف والمضاف إليه كما في قول الشاعر :

(١) هواي : مصدر بمعنى اسم المفعول ، ومصعد : اسم فاعل بمعنى مبعده ، وجنيب : بمعنى مستتبع من جنب البعير قاده إلى جنبه .

(٢) الغيل : الإجمة ، وخفان : مأسدة الكوفة .

(٣) أصله سارق من الضيف برده لخذف الجار تحقيرًا وأضيف سارق إلى الجورور

(٤) البقرة . من ٢٢٢

إذا كوكبُ الخرقاءِ لاحَ بسُحرةٍ مُسهِلٍ (١) أذاعتُ غولها في الأقاربِ
يصف حقاء بأنها لا تذكر كسوة الشتاء إلا إذا دهمها ، فتمسح بين عليهما بأقاربها ،
وقد أضاف إليها هذا الكوكب لأنه هو الذي يذكرها بتلك الكسوة ، والإضافة
في هذا الأدنى ملايسة كما هو ظاهر .

ولا فرق في هذه المزايا للإضافة بين أن تكون إلى معرفة وأن تكون إلى نكرة ،
ومع الإضافة إلى نكرة لأجل إفادة التعميم قول امرأة من بني عامر :

وحرب يصحُّ القومُ من نفثيائها ضجيج الجلالِ الجملةِ الدُّبراتِ
سيتركها قومٌ ويصلي بمرَّها بنونسوةٍ لثَّ كذلِّ مه طبرات (٢)

ومن إضافتها إليها لأجل إفادة التقليل والتحقير قول القائل السكلاي :
إذا جاع لم يفرح بأكلةٍ ساعةٍ ولم يبتئس من فقدها وهو مسأغب

مقامات التشكيك :

والأصل في التشكيك أن يكون الدلالة على فرد منتشر عما يدل عليه ، فإذا
كانت النكرة مفردة دلت على واحدة ، وإذا كانت مشتقة دلت على اثنين ، وإذا كانت
جماعة دلت على ثلاثة ، وإذا كانت نوحاً دلت على النوعية ، أي فرد من سائر الأنواع ،
وهذا هو معنى النكرة في النحو ، وقد تدل في هذا العلم على معان وراء هذا المعنى
وهي هذه المعاني الإشارة إلى أمر غريب غير معهود للناس ، كما في قوله تعالى (لنعم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) (٣) أي نوع من
الغشاوة غير ما يتعارفه الناس ، وهي غشاوة النعماني عن آيات الله ، وكذلك قوله
(ولنجذبنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف
سنة وما هو بمحزن له من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) (٤) أي نوع من
الحياة مخصوص ، هو الحياة الزائدة ، كأنه قيل ولنجدنهم أحرص الناس على أن
يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة في المستقبل ، ولو عرفت الحياة لكان

(١) بدل من كوكب الخرقاء .

(٢) نفثيائها تراها تدفيه وتطيره في الجو ، والجملة : جمع جليل وهو العظيم
والدبرات : المسابة بالدبر ، والشكل : فقد الولد .

(٣) البقرة : ٧

(٤) البقرة : ٩٦

المراد منها أصل الحياة ، وهي حاصلة لهم ، فلا يكون هناك معنى لوصفهم بالحرم عليها ، لأن الإنسان لا يوصف بالحرم على شيء إلا إذا لم يكن موجوداً له .
ومنها الإشارة إلى التظيم والتحقيق ، كما في قوله تعالى ﴿ ولستم في النقص حياً ﴾
يا ولي الألباب لعلمكم تنقون ﴿١﴾ أى حياة عظيمة ، وهذا لمنه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد حتى اقتدروا عليه ، ويجوز أن يكون المراد نوع من الحياة غريب ، وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداج عن القتل ، لأن الإنسان إذا قتل بالقتل تذكر القصاص فارتدع ، فسلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود فكان القصاص سبباً لحياة نفسين ، وقد اجتمع التظيم والتحقيق في قول مروان ابن أبي حفصة :

له حاجب عن كل أمر يشينهُ وليس له دن طالب التعريف حاجب
أى له حاجب عظيم من نفسه يمنه عما يشينه ، وليس له حاجب ما عن طالب نواله ، وأما قوله تعالى ﴿ يا أيت لى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ﴾ (٢) فيجوز أن يكون المراد عذاب عظيم ، ويجوز أن يكون المراد أدنى عذاب ، وقد اختار هذا الزمخشري ، فإنه ذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ، فلم يصرح بأن العذاب لاحق له لاحق به ، ولكنه قال ﴿ لى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ (٣) فذكر الخوف والاس ، وتذكر العذاب .

ومنها التكثير والتقابل ، وهما معنيان غير التظيم والتحقيق ؛ لأن التظيم والتحقيق يرجعان إلى علو الشأن وانحطاطه ، والتكثير والتقليل يرجعان إلى الكثرة والقلّة في الأعداد والمقادير ، ومن هذا قوله ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴾ (٤) أى رسل ذوو عدد كثير ، وإذا كان رسل جمع كثر ، فإن الكثرة التى يدل عليها التكثير أبلغ من الكثرة التى يدل عليها الجمع لأن كثرة الجمع يكفى فيها أقل كثرة بخلاف التكثير فإنه يدل على كثرة لا يدرك مقدارها ، ويجوز أن يكون التنكير هنا للتكثير والتعظيم معاً ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٥)

(١) البقرة : ١٧٩ (٢) مريم : ٤٥ (٣) فاطر : ٤ (٤) التوبة : ٧٢

أى رضوان قليل منه أكبر من ذلك كله ، لأن لذة الرضا فوق كل لذة .
ومنها أن يمنع من التعريف مانع فيؤثر عليه التنكير ، كما في قول الشاعر :
إذا سُمْتُ مُمْنِدَهُ عَيْنٌ لِطَوْلِ الْحُلِّ بَدَلَهُ شِمَالاً
فلم يقل عَيْنُهُ لِكراهته أن ينسب سأمه هذا إلى عَيْنِ مدوحه ، فنسكتها ولم
يُضفها إليه .

وبهذا نختم الكلام في التعريف والتنكير ، بعد أن أعرضنا فيه عما لا يفيد
شبيهاً في هذا الفن ، خصوصاً ما أطلوا فيه عند الكلام على التعريف باللام .

٤ — التقديم والتأخير

مزايَا التقديم :

قال عبد القاهر في هذا الباب من دلائل الإعجاز هو باب كثير الفوائد جم
الحسن ، واسع النصرف ، بعيد الغاية ، ولا تزال ترى شعراً يروونك مسجعه ،
ويطاف لديك موقفه ، ثم تنظر فتجد سبب أن رائك واطف عندك أن مُقدّم فيه
شئ ، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان ، وإنما يكون التقديم هذا الحسن الذي ذكره
عبد القاهر إذا لم يؤد إلى تعقيد في الكلام ، كما سبق مثل هذا في قول الفرزدق :
وما مثله في الناس إلا مُسَلَكَاً أَبُو أُمِّه حَيَّ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ

تقسيم التقديم :

والقديم يأتي على قسمين : أحدهما تقديم يأتي على أصله في النحو ، ولا كلام
لنا في هذا التقديم ، وهذا كتقديم المبتدأ المدرف على خبره ، وتقديم العامل على
معموله ، وكالتوابع فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات .

وثانيهما تقديم يأتي لمقاهات تقضييه ، وإن أتى في هذا موافقاً لأصله النحوي ،
كما في قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم
في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ (١)
وقوله : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن

(١) المؤمنون : ٣٣ .

يتفضل عليكم ولو شاء لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى (١) فقد أتى قوله (من قومه) مقدماً في الآية الأولى ومؤخراً في الثانية لماسياً في بيانه في ذلك، مع أنه قد أتى في موضعه النحوي من الآية الأولى ، لأنه حال من الفاعل قبله ، والموصول بعده صفة له ، ويجوز أن يكون صفة للفاعل كما هو صفة له في الآية الثانية .

وينقسم التقديم الذي يأتي لمقامات تقتضيه إلى قسمين : أحدهما يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لم يتغير المعنى ، وهذا القسم لا يختص بالمفردات من الطرفين ومتعلقتهما ، وثانيهما يختص بدلالة الالفاظ على المعاني ولو أخر لتغير المعنى ، ولنسب الأول تقديماً ذكرياً ونسب الثاني تقديماً معنوياً ، ولنبين بعد هذا مقامات كل منهما .

مقامات التقديم الذكري :

فأما مقامات التقديم الذكري فإنها كما قال ابن الأثير (٢) بما لا يهصره حد ، ولا ينتهي إليه شرح ، ومنها تقديم السبب على المسبب كقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) (٣) قدم العبادة على الاستعانة لأن تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح للحصول الطالب وأسرع لوقوع الاجابة ، ولو قل إياك نستعين وإياك نعبد لكان جائزاً ولكنه لا يسد ذلك المسد .

تقديم الأكثر على الأقل :

ومنها تقديم الأكثر على الأقل ، كقوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) (٤) فالظالم لنفسه من العباد بالسكفر والعصيان أكثر من غيره ، ثم يليه المقتصد . فالسابق بالخيرات ، ولو عكس الأمر كان جائزاً ، لأنه يكون قد روعي فيه تقديم الأفضل فالأفضل .

تقديم الأعجب فالأعجب :

ومنها تقديم الأعجب فالأعجب ، كقوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء

(٢) المثل السائر ص ١٨١

(١) المؤمنون : ٢٤

(٤) فاطر : ٢٣

(٣) الفاتحة : ٥

فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع
يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (١) قدم الماشى على بطنه لأنه أدل على
قدرته ، إذ يمشى بغير آلة تساعد على المشي ، ثم ذكر الماشى على رجلين لأنه
ياجه في ذلك ، ثم ذكر الماشى على أربع بعدهما في رتبته لثبوت تلبيها .

التقديم للترقي :

ومنها البدء في باب المديح بالصفة الدنيا ، ثم بما هو أعل منها وهكذا ،
كما في قول البحري .

يترقون كالسراب وقد مضى غماراً من السراب الجارى
كالقسي المطفأت بل الاسم م مبرية بل الأوتار
شبه نحوها بالقسي ثم بالاسهم المبرية ثم بالأوتار وهي أشد الثلاثة تحولا ،
وهم يعكسون هذا الترتيب في باب الذم .

تقديم الاليق بالسياق :

ومنها تقديم الاليق بالسياق ، كما في قوله تعالى (وأما الذين شقوا في النار لهم
فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن
ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير محذوذ) (٢) قدم أهل النار على أهل الجنة لأن
الكلام قبل هذا كان في سياق التخويف والتحذير ، وقد جاء الكلام فيه عقب
قصص الأولين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير ، فكان الاليق أن يوصل
هذا بما يناسبه في المعنى ، وهو ذكر أهل النار ، فقد روا في الذكر على أهل الجنة
ومن هذا قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تنلو منه من قرآن ولا تعملون من
عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة
في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) (٣) قدم
الأرض على السماء ، ومن حقها التأخير عنها ، لأنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل
الأرض وأحوالهم ، وصل هذا بقوله وما يعزب ، ولأم بينهما ليل المعنى
المعنى ، ويؤيد هذا أن السموات ، قدمت في الآية الأخرى من سورة سبأ :

(١) النور : ٤٥ (٢) هود : ١٠٨ (٣) يونس : ٦١

﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يرب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾ (١) .

مقامات التقديم المعنوى :

والتقديم المعنوى كتقديم المفعول على الفاعل ، وتقديم الحبيب على المبتدأ ، وتقديم الطرف أو الحال أو الاستثناء على العامل : والتقديم فى هذا يكون لمعنى يتغير بالتأخير كما سبق ، وإن كان هذا التمييز لا يظهر تماماً إلا فيما يكون التقديم فيه لإفادة التخصيص بخلاف ما يكون التقديم فيه لغير التخصيص من الأغراض الآتية ، فإنه يكاد يكون شأنه فى هذا مثل شأن التقديم الذكرى .

التقديم للتشويق :

ومن هذه الأغراض تشويق السامع إلى المؤخر لئتمكن فى نفسه ، كقول أبى العلاء :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
وهذا من تقديم المسند إليه ، وهو المبتدأ ، على المسند وهو الخبر ، ومثال ذلك من تقديم المسند على المسند إليه قول محمد بن وهب :
ثلاثهم تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقنبر
وقول أبى العلاء :

وكالنار الحياة فى رماد أوخرها وأولها دُخان
ولكن حق هذا الاعتبار تطويل الكلام فى المقدم لئلا يكون التطويل أدعى إلى التشويق ، وإلا لم يحسن ذلك الحسن .

التقديم للتعجيل بالمقصود :

ومنها إرادة التعجيل بالمقصود من مسرة أو إساءة أو غيرها ، كقول الشاعر :
سعدت بغرة وجهك الأيام وتزيفت بلفتك الأيام

التقديم للاهتمام

ومنها الاهتمام بالمقدم والاعتناء به ، وهذا الغرض هو الأعم الأغلب في التقديم ومنه قول الشاعر :

سلام الله يا مطرنا عليهم وليس عليك يا مطرنا السلام

ومن أجله وجب أن يتدر المحذوف في ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (١) مؤخراً اهتماماً بشأن اسم الله تعالى ، فأما قوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ﴾ (٢) فإنما قدم الفعل فيه لأنها أول سورة أنزلت ، فكان ابتداء الأمر بالقراءة فيها أم . وقد ذهب السكاكي إلى أن الجار والمجرور فيها متعلق بأقرأ الثانية ، وهو تكلف ظاهر : وأما قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ (٣) وقوله ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ (٤) فإنما قدم المخاطبون في الآية الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى للفقراء ، يدلل قوله من إملاق ، فكان رزقهم أم عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم . أما الثانية فالخطاب فيها الأغنياء بدليل قوله « خشية إملاق » ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب الأم عندهم ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم ، ويمكنك أن تجعل التقديم في الآيتين من التقديم الذكرى ، والخطاب في هذا سهل .

ومن التقديم للاهتمام أيضاً قوله تعالى ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ (٥) قدم الجار والمجرور على الفاعل زيادة في تبييت هؤلاء القوم الذين شاهدوا من المرسلين لقربهم منهم ما لم يشاهد ذلك الرجل ، ومع هذا نصح لهم بما لم ينصحوا به أنفسهم ، وقد جاء في مثل هذا على الأصل قوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾ (٦) لأنه لم يقتنوا به ما يدعوا إلى تقديم الجار والمجرور مثل ما اقتنوا بالأول .

(٢) سورة العلق الآية ١ ، ٢ ، ٣

(٤) سورة الإسراء الآية ٣١

(٦) سورة النقص الآية ٢٠

(١) الفاتحة : ١

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥١

(٥) سورة يس الآية ٢٠

ومن التقديم للاهتمام في الاستفهام قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ﴾ (١) لأن رغبة إبراهيم عن آلهته كانت أهم شيء عنده ، فكان المقام لإنكار هذا الفعل منه ، وإفادة أنها لا ينبغي أن يرغب عنها ، وهكذا يقدم في الاستفهام سواء أكان للإنكار أم لغيره ما يكون خطأ الاستفهام والإنكار ، كقول أبي العلاء :

أعندى وقد مارست كل خفية
يصدقني وإنني أو يخيبني سائل

التقديم لدفع توهم الخطأ :

ومن أغراض التقديم دفع توهم خطأ : كتقديم الخبر على المبتدأ للتفجئة ابتداءً على أنه خبر لا نعت ، كقول أبي بكر بن السطاح في مدح أبي دلف :

له همم لا مستهى لسكبارها و همته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

ومن هذا أيضاً أن يؤم التأخير غير المعنى المراد ، كما في قوله تعالى ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ليمانته الآية ﴾ (٢) قدم قوله ﴿ من آل فرعون ﴾ على قوله ﴿ يكتم ليمانته ﴾ لأنه لو أخرجه لتوهم أنه متعلق بقوله يكتم ، فلا يفيد ذلك أن الرجل من آل فرعون ، والمراد لإفادة أنه منهم ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلفظ الآخرة وأترفأهم في الحياة الدنيا .. ﴾ (٣) الآية . فلما قدم فيها قوله ﴿ من قومه ﴾ ، وأخر في الآية السابقة التي ذكرناها معها في أول هذا الباب ؛ لأنه لو أخر في هذه الآية لآتي بعد قول ﴿ وأترفأهم في الحياة الدنيا ﴾ ، وهذا يؤم تعلقه بالدنيا ، وهو على بعده كاف في إثبات تقديمه على تأخيرها ، ولما لم يكن في الآية الأخرى مثل هذا جاء التأخير فيها على أصله ، والأولى أن يقال في ذلك إن الوصف بالموصوف في الآية الأولى طال بما معطف عليه ، فقدم عليه الوصف بالجار والجرور لأنه أقصر منه ، ولك بعد هذا أن يجعل الموصول صفة للمجرور لا للفاعل على ما سبق بمانه في ذلك

(١) مريم : ٤٦ (٢) غافر : ٢٨

(٣) سورة المؤمنون آية ٣٣

التقديم للضرورة :

ومنها أنه تدعو إليه ضرورة الشعر ، كقول الأقيصر الأندى :

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه وليس إلى داعي التمدى بسريع
وقول الآخر :

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت بحمد إلى وهي منه سليل

التقديم للضرورة ليس من البلاغة :

وفي هذا المقام من بين مقامات التقديم يتكافأ التقديم والتأخير ، فليس له شيء من الملاحظة التي لغيره ، ومثل ضرورة الشعر في هذا ضرورة السجع وتناسب الفواصل ، وقد سبق أن هذا ليس مما تدعو إليه البلاغة كغيره مما تدعو إليه البلاغة في هذا العلم ، ولهذا تكافأ فيه من جهة البلاغة التقديم والتأخير ، ومن التقديم لتناسب الفواصل قوله تعالى (قال بل ألقوا إذا حبالهم وعصيهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى) (١) ولست القرآن الكريم لا يلجأ إلى التقديم لأجل مزية السجع وحدها ، إلا كان شأنه في هذا شأن السجع في غيره ، ومن موايا التقديم في الآيتين غير مزية السجع الاهتمام بشأن سحرهم ، والمبالغة في الخيفة التي حدثت في نفسه ، والاهتمام بإثباتها له .

التقديم للتخصيص :

ومن أغراض التقديم أيضاً لإفادة التخصيص ، وهو في هذا الغرض يمد من أدوات القصر كما سبق ، والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم ، ومن التقديم ما يعمد لإفادة التخصيص ، ومنه ما يجوز أن يكون للتخصيص وأن يكون لتقوية الحكم فقط ،

التقديم المتعين للتخصيص :

والتقديم المتعين لإفادة التخصيص يكون في صورتين : إحداهما أن يكون المستند إليه واقعاً بعد نفي المستند خبره فملى ، ويستوى في هذا المستند إليه المنهض والمظفر ، كما في قول المتنبي :

(١) سورة طه : آية ٦٧

وما أنا أسقمْتُ جسمي به ولا أنا أضربتُ في العلب نارا
 فلمعنى في هذا على أنه هناك إسقام وإضرار ، ولكن الجالب لها غيره لاهو ،
 ولهذا لا يصح أن تقول ما أنا قلت هذا ولا غيره ، للتناقض بين أول الكلام
 وآخره .

اتفاق الشيعيين في هذه الصورة :

وقد وافق السكاكي (١) عبد القاهر في منزع هذا وأشباهه ، وموافقته له في ذلك
 دليل على أنه يتعين عنده للتخصيص بدون قيد ولا شرط مما سيأتى له في
 غير النفي ، وقد زعم الخطيب أن السكاكي يشترط ذلك في صورة النفي أيضا .

والثانية أن يكون المسند إليه نكرة والمسند خبر فعلي أيضا ، نحو قولهم في
 المثل المشهور سحر أهر ذا ناب ، وهو يضرب في ظهور أمارات الشر ومخاليه ؛
 والمراد أن الذى أهر من جنس الشر لا من جنس الخير ، لأن السكاب قد يهر في
 الخير أيضا ، كالدفاع عن أصحابه ونحوه .

ولا خلاف في هذه الصورة أيضا بين عبد القاهر والسكاكي ، وإن زعم السعد المتفتان أن
 أن كلام عبد القاهر في دلائل الإيجاز ظاهر في أن بناء الفعل على النكرة قد يأتي
 للتقوية ، فإن كلام عبد القاهر (٢) فيه صريح في أنها لا تأتي في ذلك إلا للتخصيص ،
 وقد ذكر فيه أنك إذا قلت رجلا جاءني ، لم يصح حتى تريد أن تعلم المتعاطب أن
 الذى جاءك رجل لا امرأة أو لا رجلا ، فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول
 د جاءني رجل ، فتندم الفعل .

التقديم المحتمل للتخصيص والتقوية :

والتقديم المحتمل للتخصيص والتقوية الحكم يحى في صورة واحدة ، وهي بناء
 الفعل على المسند إليه المثبت غير المنكر ، فإله تارة يأتي للتخصيص كما في قوله تعالى
 (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق

(١) المفتاح ص ١٥٢

(٢) دلائل الإيجاز ص ٧٤

لا تعلمهم نحن نعلمهم سمعناهم مرتين ثم يردون إلى عذاب أليم (١) فإمضى في هذا على التخصيص أى لا يعلمهم إلا نحن ، وتارة يأتي لتقوية الحكم ، كقول عروة ابن أذينة :

سألتهم متى أزمتهم فيمنعنا فأين تقولها (٢) أيمننا

فلا يريد من هذا أن الإجماع كان لها وحدها دون غيرها ، وإنما يريد أن يحقق الأمر ويؤكد .

وقد اشترط السكاكي (٣) في إفادة هذه الصورة التخصيص شرطين : أحدهما أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخر أعلى أن يكون فاعلاً في المعنى فقط ، وثانيهما أن يقدر أنه مقدم من تأخير بالفعل ، فلا يفيد التخصيص عنده على هذا إلا البناء على الضمير نحو قولك : أنا عرفت ، لأنه هو الذى إذا أخر يكون فاعلاً في المعنى فقط بخلاف البناء على الظاهر ، نحو قولك : زيد عرف ، لأنه إذا أخر يكون فاعلاً في اللفظ والمعنى ، ولكنه عاد بعد هذا فقال : وأما نحو زيد عرف ورجل عرف فليس من قبيل هو عرف في احتمال الاعتبارين على السواء ، بل حق المعرفة جملة على وجه أقوى الحكم ، وحق المنكر جملة على وجه التخصيص ، وهذا ظاهر في أن البناء على المظهر يحتمل الاعتبارين عنده مثل البناء على المضمر ، ويمكن أن يصلح اشتراطه ما سبق في إفادة التخصيص على ما هو الغالب فيه ، لأن الغالب في البناء على الظاهر أن يكون لتقوية لا للتخصيص ، وهذا هو الذى يتفق مع ما ذهب إليه من إفادة التقديم التخصيص في قوله تعالى (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بمعزٍ) (٤) أى المعزى علينا يا شعيب رهطك لا أنت ، ولهذا قال في جوابهم (قال يا قوم أرهطى أعزٌ عليكم من الله واتخذتموه ورامكم ظهيراً لئن ربي بما تعملون محيط) (٥) ولا شك أنه لا يمكن أن يقال في هذا التقديم إنه يجوز تأخيره على أنه فاعل في المعنى فقط .

(٢) نظنها

(١) سورة التوبة آية ١٠١

(٣) المفتاح ص ١١٩

(٤) سورة هود آية ٩١

(٥) سورة هود آية ٩٢

مميزات الاحتمالين :

هذا والذي يميز ما يكون من هذا التقديم للتخصيص وما يكون منه لتقوية الحكم إنما هو المقام وسياق الكلام ، ويغلب فيما يكون لتقوية الحكم أن يحىء فيما سبق فيه إنكار من منكره مثل قوله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (١) لأن الكاذب لا سيما في الدين لا يعترف بأنه كاذب ، فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب . وفي تكذيب مدّج كقوله تعالى (وإذا جاءكم قالوا آمنا وقلوا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون) (٢) وفيما يقتضى الدليل ألا يكون كقوله تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) (٣) فإن مقتضى الدليل ألا يكون ما يتخذ إلهاً مخلوقاً ، وفي المدح والافتخار كقول المعدّل بن عبد الله الليثي :

هم يفسر شئون اللبنة كل طمرة وأجرة سباج يبيد المغاليا (٤)
وكقول طرفة بن العبد :

نحبت في المشتاة لدعو الجفلى لا ترى الأدب فينا يستقر (٥)

إبطال الحاق نحو « زيد عارف » بنحو « هو عرف » .

وقد ذهب السكاكي إلى أن نحو « زيد عارف » قريب من « هو عرف » في إفادة تقوية الحكم ، والحق خلاف ما ذهب إليه في هذا لأنه لو كان نحو « زيد عارف » يفيد تقوية الحكم لما صح خطاب خالى الذهن به ، وهو خلاف ما سبق

(١) سورة آل عمران آية ٧٥ (٢) سورة المائدة آية ٩١

(٣) سورة النحل آية ٢٠

(٤) الطمرة : الفرس السكرية ، والأجرة : القصير للشعر ، والسباج : اللين الجرى ، والمغاليا : بضم الميم السهم ويجوز فتحها فيكون جمع مذلى أو مفلاة وهي السهم أيضا .

(٥) المشتاة : اسم مكان الشتاء ، والجفلى : الدعوة العامة ، والأدب : الداهى ، وينتقر : يدعو بعضا ويترك بعضا .

عن أبي العباس في جواب الكندي من الفرق بين عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم
وإن عبد الله لقائم . .

التقديم في « مثل ، و » غير ، :

وما يكون فيه التقديم لتقوية الحكم تقديم لفظ « مثل وغير » وما بينهما في نحو
« مثلك لا يبخل وغيرك لا يعطي » وما إلى هذا مما يراد فيه بلفظ مثل أو غير هين
ما أضيفا إليه على سبيل السكناية ، فإن معنى الأول : أنت تجرد ، ومعنى الثاني : أنت
تعطي ، لأنه إذا كان كل من هلي صفته لا يبخل كان من مقتضى القياس والعرف أنه
أيضا لا يبخل ، وإذا كان غيره هو الذي لا يعطي كان من مقتضى ذلك أيضا أنه
هو الذي يعطي ، وقد جرى استعمال البلغاء في هذا على تقديم لفظ مثل وغير ، وإن
كانت هذه السكناية ممكنة مع تأخيرهما ، لأن التقديم بما يفيد من تقوية الحكم يساعد
على الغرض المتصور منها وهو المبالغة فيه . ومن هذا قول المتنبي :

« مثلك يلني الملوّن عن صوره » ويستردّ الذم عن غربه (١)
ولم أقل « مثلك » أعني به صواك يا فرداً بلا مشبهه
وقوله أيضا :

« هدي بأكثر هذا الذرع » يبتدع
« إن قالوا سجدوا أو حذوا شجعوا »
وقول أبي تمام :

« غيري يأكل المروف » مسحتاً
« وتشحّب عنده يعض الأيادي »
وقول البارودي :

« موأى يستخفان الأغايد بطرب » وغيره بالذات يلهو ويلعب
« فإذا أريد بمثل وغير سوى ما أضيفا إليه لم يلزم تقديمهما لأن الكلام فيهما
يتكون على سبيل الحقيقة لا السكناية ، كما في قول الصابي :

(١) صوره : جملته ، وغربه : مجراه في المعنى .

تشابهه - دممى إذ جرى ومما تمى فن مثل ما فى الكأس عيني تسكب
وقول الآخر :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم فكاننى سبابة المستند

تقديم أداة العموم على النقي :

وما يكون التقديم فيه لتقوية الحكم أيضا تقديم أداة العموم ، مثل قولك
دكل إنسان لم يقم ، فهو أقوى دلالة على العموم من قولك دلم يقم لإنسان ، وللقوم
هنا كلام طويل فى دلالة كل على عموم النقي إذا تقدمت عليه كما فى المثال الاول ،
وفى دلالاتها على نقي العموم إذا تأخرت عنه ، كما فى قولك دلم يقم كل إنسان ،
وهو كلام على طوله لا صلة له بهذا العلم ، لأن هذه الدلالة ترجع إلى اللغة والوضع ،
فلا يصح أن يبحث فيها هنا .

التقديم فى الاستفهام :

وشأن التقديم فى الاستفهام من جهة لفادة التخصيص أو تقوية الحكم كشأن
التقديم فى غيره مما سبق ، ومن التقديم فيه للتخصيص قوله تعالى : ﴿ أفأنت تكفره
الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (١) فالمعنى على أنه لا يمكن أن يقدر على هذا الله لا أنت ،
ومن التقديم فيه لتقوية الحكم قوله تعالى ﴿ قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق
لجعلتم منه حراما وحلالا قل آله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (٢) فالمعنى على
إنكار أن يكون إذن من الله فى هذا ، لا على أن الإذن يشكر من الله دون غيره .

٥ - التقييد والإطلاق

تعريفهما :

التقييد : يكون بالمناعيل ونحوها من الفضائل ، وباللمت وغيره من التواضع ،
وبالشرط لأنه قيد فى الجواب ، فإذا قلت إن جميتى أكرمك ، كان معنى هذا

(١) يونس : ٩٩

(٢) يونس : ٥٩

أكرمك وقت بختك . أما الإطلاق فترك التقييد بذلك كله ، ولكل منهما مقامات أتمتضيه .

ارجاعهما الى اعتبار الذكر والحذف :

ولكن يجب أن نقبض هنا إلى أمر غفل علماء هذا الفن عنه، جاء كلامهم فيه أقرب إلى علم النحو منه إلى علم المعاني ، وهذا الأمر هو أن التقييد والإطلاق يرجعان في الحقيقة إلى اعتبار الذكر والحذف ، فإذا فهمناهما على هذا الوجه أمكننا أن نعرف من اعتباراتهما ما يرجع إلى هذا العلم ، وما يرجع منها إلى علم النحو ، وإذن لا يكون التقييد بذلك وترك التقييد به وجهين من وجوه البلاغة إلا عند قيام القرينة فيهما ، وشأنهما في هذا شأن الذكر والحذف سواء بسواء . ويمكننا بعد هذا أن نستغنى هنا عن الكلام في التقييد بالمفاعيل ونحوها وترك التقييد بها ، لأن هذا قد شمله الكلام على الذكر والحذف فيما سبق فلم يبق إلا أن نتكلم هنا على التقييد بالتوابع ، والتقييد بحروف الجر ، والتقييد بالشرط .

مقام النعت :

يؤتى بالنعت في النحو للتوضيح في المعارف والتخصيص في النكرات ، ومضى أريد به ذلك كان ذكره واجباً في الكلام ، فلا يصح أن نبحث عنه هنا من هذه الداحية ، وإنما نبحث عنه هنا إذا كان الكلام يتم بدونه ، فيكون ذكره لأغراض أخرى غير هذا الغرض النحوي ، ومن هذه الأغراض قصد التأكيد ، كما في قول الشاعر :

وأبي الذي ترك الملوك وجههم بصُهابٍ هامةٍ كأمس الدّابر^(١)
ومنها قصد المدح أو الذم كما في قوله تعالى : ﴿ تبارك الله أحسن الخالقين ﴾^(٢)
وقوله ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستمعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾^(٣) . وقول خنوف :
أضعت طرفه بن العبد :

(١) صهاب : قرية بالبحرين وقيل بفارس (٢) المؤمنون : ١٤ .

(٣) الفحل : ٩٨ .

لا يثبت عند قومي الذين هم اسم التثنية وآفة الجزم
 النازلون بكل معتبرك والطيبون معاقدين الأثر
 ومنها رفع توهم احتمال في الكلام ، مثل قوله تعالى ﴿ وقال الله لا تتخذوا
 إلهين اثنين إنما هو إله واحد فيأبى فارهبون ﴾ (١) فإن الاسم الحامل لمعنى الإفراد
 والتثنية يدل على شيئين (الجنسية والعدد المخصوص) فإذا أريدت الدلالة على أن
 المقصود من ذلك العدد لا الجنس شفع بما يؤكد ، ليدل على أن المقصد إليه
 والعناية به ، ولهذا لو قلت إنما هو إله ولم تؤكد بواحد لم يحسن ، ونحوه إلى السامع
 أنت تثبت الإلهية لا الوجدانية ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وما من دابة
 في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من
 شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (٢) وصف دابة بقوله « في الأرض » ووصف طائراً
 بقوله « يطير بجناحيه » ليبين أن المقصد بهما إلى الجنسين لا إلى الدلالة على الوحدة
 المنتشرة ، وهذا يفيد زيادة التعميم والإحاطة ، كأنه قيل : وما من دابة قط
 في جميع الأرضين السبع وما من طائر في جو السماء من جميع ما يظهر بجناحيه .

مقام التوكيد :

ويمكننا أن نعتبر أغراض التوكيد كلها من هذا العام ، وأن نحكم بأنه
 لا حظ للنحو فيه إلا في حكم الإعراب وما إليه من أحكامه ، فن أغراض التوكيد
 دفع توهم التجوز أو السهو أو عدم الشمول ، ولا شك أن هذا لا يكون إلا حيث
 يدعو إلى هذا داع في الكلام ، وإلا كلف التوكيد عبثاً لا فائدة فيه ، ومن
 ذلك قوله تعالى ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون
 مع الساجدين ﴾ (٣) ففي هذا التوكيد وتكراره ما فيه من الدلالة على عظم جرم
 إبليس إذ فعل من ذلك ما لم يفعله أحد غيره يفتن ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وألق
 أرياه آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾ (٤) وقول عبد الله بن مسلم الطائفة :
 لكتبته شاقه أن قيل ذا رجب يا ليت عدة تحول كله رجباً

(٢) الأنعام : ٣٨

(١) النحل : ٥١

(٤) طه : ٥٦

(٣) الحجر : ٣٠

كم شجرة قد كسفت آلتها تسد من دونها الأبواب والحجج
قد ساغ فيه لها معنى النهار كما ساغ الشراب لعطشان إذا شربا
وقول جميل :

لا لأبوح بحب بنينة لها أخذت على موافق وعهودا
وقول بعضهم :

فياك إياك المراء فإنه إلى الشر دماء وللشر جالب

مقام عطف البيان :

ومزلة عطف البيان في النجوم منزلة النعم ، فيؤق به فيه الإيضاح والتخصيص
والفرق بينهما فيه أن هذا جامد وذلك معتق ، أما هنا فيؤق بعطف البيان
لأغراض منها المدح أو الذم ، كالمدح في قوله تعالى (جعل الله السمكة البيت
الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لعلوا أن الله يعلم ما في
السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم) (١) فلا يراد من قوله البيت
الحرام ، التوضيح ، وإنما يراد به المدح .

وقد يقصد من عطف البيان أن يأتي الكلام فيه على سبيل الإجمال ثم التفصيل ،
ويكون هذا في مثل تقديم الصفة وجعل الموصوف عطف بيان لها ، كافي قول
الناطقة الذبياني :

والؤمن العائدات العاير يسبحها مركبان مكة بين الغيادر والسند
ما إن أتيت بأمر أنت تكبره إذن فلا رفعت سوطاً إلى يدي

مقام البدل :

والبدل شأنه هنا شأن التوكيد ، فليس للنجوم منه إلا حظ الإعراب ، لأنه يأتي
على نية تكرار العامل فيكون إسناده أقوى من غيره ، وفيه مع هذه مزية الإجمال
ثم التفصيل السابقة في عطف البيان ؛ ولولا هذا وذاك لا يمكن أن يقال في قولك

(١) سورة المائدة آية ٩٧

د جاء القوم أكثرهم ، : جاء أكثر القوم ، وهكذا . وإذا كان هذا شأن البديل فإنه لا يصادر إليه في الكلام إلا عند وجود ما يدعو إليه فيه كالتوكيد ، مثل قوله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) (١) فإنه يراد من هذا الاهتمام بشأن الحج بسبب تكرير الإسناد فيه مرتين ، وكذلك الإشارة إلى أن له تعلقاً بجميع الناس بحيث لا يسقط عنهم إلا إذا قام به بعضهم ، ومن ذلك قوله تعالى (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) (٢) وقول التابغة الجعدي :

بلغنا السماء سجدةً لنا وسناؤنا وإننا لنبغى فوق ذلك مظهرًا

الخلافاً في بدل الغلط :

وقد قيل إن بدل الغلط لا يدخل معناها لأنه لا يقع في فصيح الكلام ، والحق أنه قد يقع أيضاً في فصيح الكلام ، وهذا إذا كان بدل تداء وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البديل بعده فتوهم أنك غلطاً لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يرتقى فيه من الأدنى إلى الأعلى ، وحكم هذا البديل حكم العطف ببل كافي قول بعضهم :

المنعُ برقٍ تمرى أمضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

ومن هذا البديل قول ذي الرمة :

لميساء في شفيتها محوثة لعلس وفي اللثات وفي أنيابها برد

فاللعلس بدل غلط من المحوثة ، لأن المحوثة السواد ، واللعلس سواد يشوبه حمرة .

مقام عطف النسق :

وأما عطف النسق لحظ علم النحو فيه التشريك في الإعراب في سائر حروفه ، والتشريك في الحكم في بعضها ، وحظ علم المعاني منه إفادة هذا من قصد التفصيل

(١) سورة آل عمران آية ٩٧ (٢) سورة الفرقان آية ٦٩

في المسند اليه أو المسند والاختصار في اللفظ ، ولا يكون هذا إلا لدواع في الكلام
لا شأن للنحو بها .

مقام الواو :

أما إفادة التفصيل في المسند اليه فيكون بالواو كقولك : جاء زيد وعمرو
وخالد ، والاختصار في هذا أن العطف يغني عن تكبير الفعل : جاء زيد جاء
عمرو وجاء خالد .

والتفصيل في المسند اليه مقامه ؛ وللاختصار في ذلك مقامه أيضا ، وهذا كما
في قوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وسحونا ﴾ إن فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين (١) فقد انتضى المقام ذكر فرعون
وهامان دلي التفصيل ، فخطفا بالواو لأن تبعه ذلك تنفع عليهما ، وهما السبب في خطأ
جنودهما ، ثم عطف الجنود عليهما على سبيل الإجمال ، لأنه لا يتعلق فيهم غرض
بالتفصيل ، وفي الآية تفصيل بالواو أيضاً في خبر يكون ، لأنها قد تأتي أيضاً بالتفصيل
المسند وإن كان يمكن الاستغناء عنها في غير المسند إليه ، وسيأتي هذا في باب
الفصل والوصل .

مقام الفاء وثم وحتى :

أما تفصيل المسند مع الاختصار فيكون في العطف بالفاء وثم وحتى ،
كما في قولك : جاء زيد وعمرو وخالد ، فإن هذا يغني عن قولك : جاء زيد وجاء عمرو
بعده وجاء خالد بعدهما ، ولا شك أن في هذا تفصيلاً أيضاً في المسند إليه ، وإن كان
غير مقصود هنا كما يقصد في الواو .

وها هنا أمر لابد من التلبيه إليه في هذه الحروف ، وهو أن الواو بدلائلها دلي
مطلق الجمل يمكن أن تحل في كل موضع مكان غيرها من هذه الحروف ، فلا بد في
مراعاة ذلك من تدقيق في صوغ الكلام تتفاوت به درجاته في البلاغة ، وهذا كما
في قوله تعالى ﴿ والذي هو يطعني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي
يميتني ثم يحييني ﴾ (٢) فلو قال قائل في موضع هذه الآية : الذي يطعني ويسقين ويرضني

(١) سورة القصص آية ٨ (٢) سورة الشعراء آية ٨٠

ويشفيين ويميتني ويحيين . لسكان للكلام معنى تام ، ولسكنه لا يكون كمنى الآية ، لأن كل شيء فيها قد عطف بما يناسبه ، ووقع موقع السداد منه ، فالأول عطف بالواو التي هي لمطلق الجمع ، وقدم فيه الإطعام على الإسقاء ، لراحة حسن النظم ، والثاني عطف بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، والثالث عطف بثم لأن الإحياء للبعث يكون بعد الموت بزمان طويل . ومن هذا أيضاً قوله تعالى ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ﴾ (١) وقوله ﴿ واقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة خلقاً ثانياً الملقاة مضطربة فخلقنا مضطربة فخلقنا مكسوة من العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٢) .

مقام بل ولا ولكن :

ومقام بل ولا ولكن لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب مع الاختصار أيضاً ، وهي من أدوات القصر على ما سبق ، بل فائدة القصر فيها أظهر من فائدة العطف ، فلا معنى لإطالة الكلام عليها هنا .

مقام أو وإما :

وأر وامتاً موضوعات لإفادة الشك أو التخيير أو الإباحة ، ولكنهما قد يستعملان في مقام لا شك فيه . وهذا إذا كان التكلم يريد تشكيك السامع ليجعل هذا وسيلة إلى بلوغ اليقين ، ولإيصال الحق إلى المخالفين على وجه لا يثير غضبهم ، لينظروا فيه فيؤدبهم النظر إلى العلم به ، وهذا كما في قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ (٣) وقد يحمل هذا على إرادة الإيهام لا التشكيك ، وهما يتحدان في إفادة هذا الغرض ، وقد يكون للإيهام أفراس أخرى غيره ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وآخرون

(٢) المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤

(١) عبس : ١٩

(٣) سبأ : ٢٤

مرجون لامر الله إما يغنّبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم (١) . وقول
توبة ابن الحنّية :

وقد زعمت ليلى بأئسى فاجر لنفسي مفقاهاً أو عليها مجورها
وقيل إن د أو ، في هذا بمعنى الواو ، أى وعليها مجورها .

التقييد بحروف الجر

والتيقيد بحروف الجر لا يخلو أيضاً من أسرار ولطائف في إرشاد بعضها على
بعض ، وهذا عندما يبدو للنظر أنه يجوز معرفة منها في مكان الآخر ، وأكثر
الناس يصفون هذه الحروف في غير مواضعها ، فيجعلون ما ينبغي أن يجر على
مجروراً بـ في وهكذا ، ومنهم من وصل به الأمر إلى أن يزعم أن هذه الحروف
يتوب بعضها عن بعض ، ومن هذا أنهم يقولون إن د في ، لواء ودلى ، الاستعلاء
نحو زيد في الدار وصعد على الفرس ، ولكنهم إذا أرادوا استعمالها في غير
هذين الموضعين بما يشكل استعماله ههنا فليجربا من الآتي بهما . وبما يشكل في هذا
قوله تعالى (وإنا أو إياكم لدلى هدى أو في ضلال مبين) (٢) ألا ترى إلى بداحة
هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر هاهنا ، فإنه إنما خولفت بينهما في الدخول
على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركض به حيث
شاء ، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخض فيه لا يدري أين يتوجه ،
وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (إنما
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين
وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (٣) فقد عدل في الأربعة
الآخيرة عن اللام إلى د في ، للإيذان بأنهما أوسخ في استحقاق التصديق عليهما بمن
سبق ذكرهم باللام ؛ لأن د في ، لواء فتدل على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم
الصدقات كما يوضع الشيء في وعائه ، وتكرير د في ، بعد ذلك للإيذان بترجيح
سبيل الله ، على د الرقاب والغارمين ، لأنه أوكد في استحقاق النفقة فيه ، وهذه
الأمرار واللطائف لا تكاد توجد إلا في القرآن الكريم ، فاهربها وقس عليها .

(١) التوبة : ١٠٦ (٢) سبأ : ٢٤ (٣) التوبة : ٦٠

التقييد بالشروط

والتقييد بالشروط كالتقييد بحروف الجر له اعتبارات نحوية ظاهرة تعرف بمعرفة ما بين أدواته من الفروق في معانيها النحوية ، ولكن بعض هذه الأدوات لا يخلو اعتباره من أسرار واطرائف يزيغ فيها كثير من الخاصة عن الصواب ، لأن هذه الأدوات كثيراً ما يستعمل بعضها مكان بعض ، فيظن أنه لا فرق بينها في ذلك ، وأنها لا تجري فيه وراء اعتبارات دقيقة ، وهذه الأدوات هي :
إن وإذا ولو .

مقامات « أن » و « إذا » :

فأما « إن » ، فهي تدل على الشك في شرطها ، ولهذا يغلب استعمالها في الأحكام النادرة الوقوع ، ويغلب في شرطها أن يكون مضارعاً . وأما « إذا » ، فتدل على الجزم بشرطها ، ولهذا يغلب استعمالها في الأحكام الكثيرة الوقوع ، ويغلب في شرطها أن يكون ماضياً ، وإن كانت تنقلبه إلى الدلالة على الزمن المستقبل ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ (١) أتى في جانب الحسنة بلفظ إذا لأنها كثيرة الوقوع لهم ، ولهذا عرفت تعريف الجندس الدال على الإطلاق والشيوع ، وأتى في جانب السيئة بإبأن لأنها كانت نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ، ولهذا أتى بها على سبيل التنكير الدال على الوحدة ، وكذا قوله تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقبضون ﴾ (٢) وإنما نسكت الرحمة هنا للإشارة إلى أن قليلاً منها يفرحهم ذلك الفرج المذموم ، كما أن قليلاً من السيئة يحملهم على ذلك القنوط المذموم أيضاً .

وهذه الاعتبارات الدقيقة قلما تراعى في غير القرآن الكريم ، وكثيراً ما يخطئ فيها الشعراء والبلغاء ، كما أخطأ في ذلك عبد الرحمن بن حسان وقد سأل بعض الولاة حاجة فلم يقضها له ، ثم شفع له فيها فقضاهما فقال :

ذُهِبَتْ وَلَمْ تُخَفَّضْ وَأُذِرْكَتْ حَاجَتِي تَوَلَّى سَوَاكِمَ أَجْرَهَا وَاصْطَنَاعَهَا

(٢) الروم : ٣٦

(١) الأعراف : ١٣١

أتى لك كسب الجود رأى مقتصراً ونفس أخلاق الله بالخير باعدها
 إذا هي حشنة على الخير سمة عصاها ، وإن كتمت بشرط أطاعها
 فلو عكس لأصاب غرض المجاهد الذي يقصده ، وقد قيل إنه يقصد الجود بأن
 نفسه تحته على الخير ولكنه يدهنها ، وهذا أبانغ في الذم ، كما يقصد أنه يبادر إلى
 الشر بمجرد آوهم نفسه له ، وهو أبانغ في ذمه أيضاً .

استعمال ان في مقام اذا :

وقد تستعمل إن مع شرط مقطوع به لأغراض منها قصد التوبيخ ، لأن
 الشرط لا شمله على ما يقلعه عن أصله لا يصبح إلا لفرضه كما يفرض المحال ، ومن
 هذا قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صغياً إن كنتم قوماً مسرفين) (١) على
 قراءة الكسر ، فإن إمرأهم يحقق الوقوع ، ويراد التوبيخ والتجديد على
 ارتكابه وتحويل أن الإسراف من العاقل في مثل هذا لا يصح وقوعه ، ويشك
 في صلوه منه .

ومنها تغليب الشك على غيره ، كما في قوله تعالى (وإن كنتم في ريب مما
 نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم
 صادقين) (٢) فاب من يشك في ريبه من المنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف
 ما يبطنون على من يقطع بريته من غيرهم ، وقد جرى أسلوب القرآن على هذا
 وإن كان الشك لا يتصور في حق الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلامهم ،
 فيأتي في هذا على ما ينبغي أن يعتد فيه على فرض أنه مخلوق يجوز عليه الشك والجور ،
 ويجوز أن يكون الإيمان بأن في الآية للتوبيخ لا للتغليب .

ومنها مجازاة الخصم لإلزامه بما ينكره ، مثل قوله تعالى (قل إن كان للرحمن
 ولد فأنا أول العابدين) (٣) فالشرط هنا مقطوع بنفيه ، ولكن قصد فرضه
 مجازاة للخصم ليكون هذا سبباً في إلزامه .

استعمال اذا في مقام ان :

وقد تستعمل إذا مع شرط غير مقطوع به لأغراض منها : تنزيل غير الجازم

(٢) سورة البقرة آية ٢٣

(١) سورة الزخرف آية ٥

(٣) الزخرف : ٨١

منزلة الجازم ، ومنها تغليب الجازم على غير الجازم ، ومنها قصد التوبيخ على الشك في الشرط لأنه لا ينبغي أن يكون ، واستعمال « إذا » في هذه المقامات قليل ونادر الوقوع في كلام البلغاء .

استعمال الماضي شرطاً لـ أن :

ولا يستعمل الماضي شرطاً لـ « أن » ، إلا لأغراض منها الرغبة في وقوعه مثل قوله تعالى ﴿ ولا تكرر هو أفنيا تكلم على البقاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد لكرههن غفور رحيم ﴾ (١) ومعنى إظهار الرغبة منه تعالى إظهار كمال رضاه ، أو إظهار كون الشيء مرغوباً في ذاته .

ومنها قصد التقرير مثل قوله تعالى ﴿ ولئن اتبعت أهواهم من بعد ما جاءك من العلم لآلئ لمن الظالمين ﴾ (٢) ولا شك أن التقرير يثبت بهم في الآية يثبت مع الإتيان بالمضارع أيضاً ، ولما كان الماضي أدلة عليه لأن الإشراف لم يقع منه فيكونون هم المقصودين به قطراً ، بخلاف المضارع لأن التهديد بذلك على الإشراف في المستقبل قد يحمل عليه ، وإن كان محله عليه بعيداً كل البعد .

وقد تستعمل « أن » في الماضي لفظاً ومعنى استعمالاً لغوياً لا يحتاج إلى مراعاة غرض من هذه الأغراض ، ويطلق هذا مع « كان » ، ويقال في غيرها ، مثل قوله تعالى ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ (٣) ومثل قول أبي العلاء :

فيا واطني إن فاتني ربك سابقاً من الدهر فليتنبه سم لسا كنك البال
وقد تستعمل « إذا » في الماضي لفظاً ومعنى أيضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا ضاوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا ﴾ (٤)

مقامات لو :

ولو تستعمل في اللغة للدلالة على امتناع الجزاء لامتناع الشرط ، ويجب في شرطها وجوبها أن يكون كل منهما فعلاً ماضياً ، وهذا المعنى هو الشائع في استعمال البلغاء ، مثل قول أبي العلاء :

(٢) البقرة : ١٤٥

(١) النور : ٢٣

(٤) السكف : ٩٦

(٣) المائدة : ١١٦

ولو دامت الدُّوَلاتُ كانوا كغيرهم رعايا ولكن ما لهم دِوَالُمُ
وقد استعمل للدلالة على العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجواب ،
وهذا المعنى فيها هو الذى اعتمد عليه علماء المنطق ، وقد شاع في مقامات الاستدلال
العقلى ، كما في قوله تعالى ﴿ لو كان فيهم من آمن بالله ولما كان فيهم من كفر لعلنا
العرش عما يصفون ﴾ (١) .

استعمال المضارع شرطاً له : لو :

وقد تدخل دلو ، على المضارع لأغراض منها تنزيله منزلة الماضى لصهوره عن
لا خلاف في إخباره ، كما في قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم
يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا
مؤمنين ﴾ (٢) فإن المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به .

ومنها قصد الاستمرار في الماضى حينئذ ، كما في قوله تعالى ﴿ واعلموا أن فيكم
رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في
قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ (٣) فإنما قال
يطيعكم ولم يقل أطاعكم للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه
وأنه كلما عن لهم رأى يفعل به ، بدليل قوله دفي كثير من الأمر .

مقامات الإطلاق :

والإطلاق كما سبق ترك التقييد ، فهو ضرب من ضروب الحذف والإيجاز ،
ولكنه خاص بالصفة تحذف لوجود ما يدل في الكلام عليها ، وما إلى هذا من
ضروب القيود السابقة ، كما في قوله تعالى ﴿ أما السفينة فكأنها لمساكين يعملون
في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ (٤) فالمراد كل
سفينة صحيحة ، وإنما أطلقها ولم يقيدها بهذا لأن ما قبله يدل عليه . ومثل هذا قول
أبي ذؤيب الهذلي :

- | | |
|-------------------|----------------|
| (١) الأنبياء : ٢٢ | (٢) سبأ : ٣١ |
| (٣) الحجرات : ٧ | (٤) الكهف : ٧٩ |

سَجِّدُوا لَهُ سُوءِيَّ وَأَعِيقُوا لَهْوَائِهِمْ فَتَنَّا خَيْرًا مِمَّا وَالْكَلَّ جَنْبَ مَصْرِعُ

أى مصرع مقدر . ومثله أيضا من ترك التقييد بالعطف قوله تعالى ﴿ اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا لَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سُرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ ﴾ (١) فالمراد تقيكم الحر والبرد ، وقد اكننى بالاول عن الثانى لعلله منه .

الباب الثالث

أحوال الجمل

١ - الوصل والفصل

مسئل بعض البلغاء عن البلاغة فقال « هي معرفة الفصل من الوصل » ، فقصرها على معرفة ذلك للتنبيه على مزيد غموضه ، وأنه فن منها عظيم الخطر دقيق المأخذ لا يسكل أحد فيه إلا كمل في سائر فنون البلاغة .

تعريف الوصل والفصل :

والوصل هو العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، والفصل هو ترك العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، فلا يأتيان في المفردات ولا في الجمل التي لها محل من الإعراب ولا في العطف بغير الواو من حروف العطف ، وهو مذهب عبد القاهر وكثير من المتقدمين ، وذهب السكاكي وكثير من المتأخرين إلى أنهما يجريان في ذلك كله ، والحق مذهب عبد القاهر ومن تبعه .

إبطال اتیانهما في المفردات ونحوها :

فأما أنهما لا يأتیان في المفردات ولا في الجمل التي لها محل من الإعراب ، فلأن الأمر في عطفها يجري وراء قصد التشريك في الحكم ، فهو عطف نحوي طرف يجب عند هذا القصد ، ولا يتوقف على الجامع الآتي المعتبر هنا ، وقد أجاز الفارسي وابن عصفور حذف حرف العطف في ذلك ، كما في قول الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمست يمينا يزرعُ الودَّ في فؤادِ الكريم

ولكن حذف حرف العطف في هذا ليس من الفصل المقصود هنا ، لأنه مقدور

في الكلام ، والمقدر فيه كالثابت ، وهذا في غير الصفات المتتابعة ، أما فيها
 فالأكثر ألا يعطف بعضها على بعض كما في قوله تعالى ﴿ عسى أن يهلكن أن
 يبطله أزواجاً خيراً منه لمن مسميات مؤمنات قاتلات ثابتات عابدات سائحات نبيات
 وأبكارا ﴾ (١) ويجوز عطف بعضها على بعض خصوصاً إذا كانت متتالية ، ولهذا
 حسن العطف في قوله ﴿ نبيات وأبكارا ﴾ . ومن العطف في ذلك قول الشاعر :

إلى الملكِ النعمانِ وابنِ الهمامِ وليثِ الكنديّةِ في المزدحمِ

وقد تحسن مراعاة المناسبة في عطف المفردات إذا لم يجر الأمر فيها على الحقيقة
 بل جرى على الخيال الشعري ، ولكن هذا يرجع كما سيأتي إلى اعتبارات بدعية ،
 ولهذا عيب على أبي نواس قوله :

وقد حلفتُ يميناً مبرورةً لا تكذبُ

برغبةٍ زمزمٍ والنحو عن الصفتِ والمجسمِ

فإن ذكر الحروض مع زمزم والصفا والمجسم غير مناسب ، وإنما يذكر الحروض
 مع الصراط والميزان وما جرى مجراها . ومن ذلك أيضاً أنه اجتمع نصيب
 والكسيميّة وذو الرمة فأُنشد السكيت :

أم هل ظعنٌ بالعلياء رافعة وإن تكامل فيها الدلُّ والشئبُ

فعمد نصيب واحدة ، فقال له الكسيميّة : ماذا تحصى ؟ فقال : خطأك
 فإليك تباعدت في القول ، أين الدل من الشئب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لنياء في شفتيها حوّة لعسن وفي اللثام وفي أنيابها برد

قالل يذكر مع العسج وما أشبهه ، والشئب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولا
 يخفى أيضاً أن هذا كله لا يجرى على اعتبار الوصل والفصل بالإتيان بالواو وتركها ،
 بل يجرى على اعتبار الإتيان بالفاظ يناسب بعضها بعضاً بقطع النظر عن كونها
 موصولة أو مفصولة .

إبطال اثباتيهما في غير الواو

وأما أنهما لا يأتیان فی غیر الواو من حروف العطف فلأن تلك الحروف تأتي لمعانيها المعروفة في علم النحو ، ولا تفيد ما تفيد الواو هنا من معنى الوصل ، فتي تحققت معانيها النحوية عطف بها ولو لم يوجد معها الجامع المعتبر هنا ، ولذلك يصح لك أن تقول « خرجت من المنزل فأمرت السماء » ولا يصح لك أن تقول « خرجت من المنزل وأمرت السماء » ، لأنه لا جامع بين أمطار السماء والخروج من المنزل .

والحقيقة أن الواو تفيد هنا معنى غير ما تفيد في النحو ، فهي تفيد في النحو التشريك في الحكم كما في قولك (قام زيد وعمرو) ، ولا بد من ذكرها أو تقديرها فيه وإلا يحمل الكلام على الإضراب لا على العطف ، وأما هنا فلا حكم بين الجملتين اللتين تصل بينهما الواو حتى يمكن أن يقال إنها تفيد التشريك بينهما فيه ، فهي في هذا أداة وصل لا غير ، وهذا المعنى فيها لا يفيد غيرها من حروف العطف .

الاختلاف في الخبر والإنشاء اعتبار نحوي

وكذلك الفصل للاختلاف في الخبر والإنشاء حكم نحوي لا يصح أن يعد في اعتبارات الفصل والوصل ، فهو لا يرجع إلى مقام يقتضيه حتى يصح أن يذكر في هذا العلم ، وإنما يرجع إلى منع جمهور النحويين له ، وقد أجاز سيبويه عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر ، مثل أن تقول (هذا زيد ومن عمرو ؟) .

كمال الاتصال اعتبار نحوي أيضا

ومثل هذا الفصل لما يسمونه كمال الاتصال ، وهو أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى أو بدلاً منها أو عطف بيان لها ، فترك العطف في هذا لا يرجع إلى مقام يقتضيه ، وإنما يرجع إلى امتناع العطف في النحويين التأكيد والمؤكد والبدل والمبادل منه ، والبيان والمبين ، لأن العطف يقتضي التباين بين المعطوفين والتأكيد عين المؤكد ، وكذلك عطف البيان والبدل ، ولا فرق في هذا بين العطف في الجمل والمفردات ، وكما أنه لا يصح أن يقال إن هناك فصلاً في تأكيد تأكيد المفردات ونحوه ، لا يصح أن يقال إن هنا فصلاً في تأكيد الجمل ونحوه ، وأما ما يسمونه عطف تفسير بما ليس فيه مقارنة بين المعطوفين فليس من أسلوب البلغاء ،

ولأنما يأتي في أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف ،
ومن هذا قول عدى بن زيد :

وَقَدْ دَتِ الْإِدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَالنَّفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينَا

وقول الآخر :

أَلَا حَبِيذًا هَسْدُ وَأَرْضُ بِهَا هَسْدُ وَهَسْدَاتِي مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَسْدُ
وهذا بخلاف قوله تعالى (أُولَى لَكَ فَأُولَى ، ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى) (١) فقد ذهب
الزمخشري إلى أنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأنه جعل الجملة الثانية أبلغ في الإنذار من
الأولى ، فالنغائر بين الجملتين ظاهر كما ترى .

مقامات الوصل :

وللوصل مقامان : أولهما دفع الإيهام ، كما روى أن هارون الرشيد سأل
وزيره عن شيء ، فقال : لا وأيدك الله ، وقد قال صاحب بن عباد : هذه الواو
أحسن من الواوات في حدود الملاج ، ووجه حسنها أنه بدونها يكون ظاهر الكلام
أنه دعاء على المخاطب لا دعاء له ، ومن الممكن دفع هذا القوم بالسكوت بعد لا ،
ولكنه لا ينفي في هذا غناءها ، ولا يكون لها حسنها ، والجملة الأولى في هذا المثال
عبرية والثانية لإنشائية ، وقد تكون الجملتان في ذلك خبريتين ، كما تقول لمن سألك :
هل تصاحب زيداً ؟ (لا وتركت صحبته) ، وقيل إنه لا يصح الوصل بالواو في هذا
ويجب أن يقال (لا قد تركت صحبته) . وثانيهما أن يكون بين الجملتين جامع
خاص غير اتفاقهما في الغرض العام الذي يساق له الكلام ، بشرط ألا يمنع من
الوصل مانع مما سيأتي في مقامات الفصل ، وهذا الجامع يكون إما بوجود اتحاد بين
الجملتين في المسند إليه أو المسند أو قيد من قيودهما ، وإما بوجود تماثل بينهما في
ذلك بالاتفاق في وصف أخوة أو صداقة أو نحوهما ، وإما بوجود تضاد بينهما
في ذلك كالأبوة مع البنوة ، والمعلوم مع السفلى وهكذا . وإما بوجود شبه تماثل
بينهما في ذلك كلوني بياض وصفرة ونحوهما ، وإما بوجود تضاد بينهما في ذلك

(١) سورة القيامة : ٣٤ و ٣٥

أو شبه تضاد كالسواد والبياض والأرض والسماء ، وإما بوجود تقارن بينهما
في الخيال لسبب من الأسباب ، ومن الوصل لا تمعاد الجملتين في الإسناد قول
حافظ إبراهيم :

مقم يا ابن مضر فأت محر واستسجد
مسجدة الجلود ولا تسجد لمراح

وقول شوقي :

يا فتية التَّيْل السَّعِيدِ مَحْذُوا النَّهْشِ
واستأنفوا نفوس الجهاد مديدا

وقول الآخر :

أخطئ مع الدهر إذا ما خطئنا واجر مع الدهر كما يجنح
ومن الوصل للتماثل بالاتفاق في الاخوة قوله تعالى ﴿ ارجعوا الى أبيكم فقولوا
يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ﴾ (١)
وقول الشاعر :

بَسَّسُونَا أَبْنَانًا وَبَدَائِغًا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْإِبَاعِدِ

ومن الوصل للنضائيف قول الشاعر :

بادِرْ إلى الفرصة وانفض لما تريد فيها فسمي لا تسكببت
فإن المبادرة إلى الفرصة والنهوض إلى المراد متلازمان في التعقل ، وكذلك
قوله تعالى ﴿ إذ أنتم بالعدرة الدنيا وهم بالعدرة القصوى ﴾ (٢)

ومن الوصل لشبه التماثل قول الصاحب بن عباد :

رق الزُّجَّاجُ وراقِ الخمرُ فتشابه فتشاكل الأمر
فكأما خمر ولا قدح وكأما قدح ولا سمنون

ومن الوصل للمضاد قول الشاعر :

المردُ يأمل أن يعيد شـ ، وطولُ عيش قد يضطره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حُكْمِ العيش مُمره
ومن الوصل للجامع الخيالي قول الأرجاني :

فبيتٌ من وصلك في لذّة حتى حلا الصبحُ مُجبتاهُ
والنجمُ قد أطبق أجفانه والنومُ قد أطلق أسراه
والليلُ سيفُ الدهر في فترته يقتله والديك ينمعه

هذا وما يزيد به الوصل حسناً في هذا كله اتفاق الجملتين في الانحية والفعالية ، ولا يكون هذا إلا إذا كان المقصود من كل منهما الثبوت أو التجدد ، وإلا وجب اختلافهما في ذلك ، ومن اتفاقهما فيه قول الشاعر :

أسودته إذا ما أبدت الحروبُ نابها وفي سائر الدهر الفيوضُ المواطرها
وقول الآخر :

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجئدت حتى كأنّ النيث لم يعبد
ومثل هذا تناسبهما في الإطلاق والتقييد ، والتناسب في الإطلاق كثر ، ومن التناسب في التقييد قول الشاعر :

دنوت تواضعا وحلوت مجدا فشأنك المجدار وارتفاع
وقول الآخر :

تمام عني وعين الليل ساهرة وتستحيل وميض الليل لم يحل
مناسبات خفية :

وقد تحقّق المناسبة بين الجملتين الموصولتين كما في قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن
الآلهة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى وآتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (١)

(١) البقرة : ١٨٩

فأى ارتباط بين أحكام الإهلة وبين حكم إثبات البيوت من ظهورها ؟ والجواب على هذا من وجود :

أحدها : أنه لما ذكر أنها مواقيت للمعج وكان من عادتهم إذا أحرموا لم يدخلوا بيتا ولا خيمة ، بل إن كانوا من أهل المدر تقبوا من ظاهر بيوتهم ، وإن كانوا من أهل الوبر خرجوا من خلف الخيمة ، فلما ذكر أنها مواقيت للمعج ناسب أن ينههم إلى هذه البدعة في الإحرام به . وثانيها أنه عطف على محذوف كأنه قيل : فدهوا السؤال في أفعال الله التي لا تخلو من الحكمة والموعظة ، وانظروا في أمر تفعلونه ولا حكمة فيه . وثالثها أن يسكون وارداً على جملة التثليل لما هم عليه من قلب الاسئلة والتعمت فيها ، كأنه قيل : مثلكم في هذا السؤال كمثل من ترك باب الدار ودخل من ظهرها .

ومن هذا ما يسمونه عطف القصة على القصة ، أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام قبله ، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين وإن اختلفا في الخبرية والإنشائية ونحوهما ، كما في قوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأئوا به متشابهاً ولم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) (١) فقد قال الزمخشري في قوله « وبشر » : إن قلنا علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه ؟ قلت : المراد ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر بحق يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول « زيدٌ يماقُسبُ بالقييد والإرهاق وبَشَّرَ عمرُ أبا العفر والإطلاق » . ثم جَوَّزَ أن يكون معطوفاً على قوله « فاتقوا » ، كما تقول : ديا بُني تميم احذروا عقوبة ما جفيتهم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم ، وجَوَّزَ الخطيب أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره : فأنذرم بذلك وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...

(١) البقرة : ٢٤

ومن عطفت مضمون كلام على آخر قوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ
تصينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكننا أنشأنا قزونا فتناول عليهم
العمر وما كنت ثاوريا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين ﴾ (١)
فالمدطوف هنا بمجرع قوله : ﴿ وما كنت ثاوريا ، إلى قوله : ﴿ ولكننا كنا مرسلين ، وهو
مقطوف على قوله : ﴿ وما كنت بجانب الغربي ، إلى قوله : ﴿ العمر ، ولا يصح عطفت
قوله : ﴿ وما كنت ثاوريا ، على قوله : ﴿ فتناول عليهم العمر ، لأن هذا يقتضي دخوله
في معنى لكن ، فيضهر المعنى : ولكنك ما كنت ثاوريا ، وهو باطل ، وكذلك لا يصح
عطفه على قوله : ﴿ وما كنت من الشاهدين ، لأنه يجب حينئذ أن ينوى به التقديم
هل الاستدراك الأول ، ويكون نظم الآية كما تقول : ما جاني زيد وما خرج
بكر لكن عمر حاضر ولكن أخاك خارج ، وهو باطل أيضا ، لأن ذلك لا يصح
أن تزال عن موضعها ، وسبيلها في هذا سبيل : إلا ، .

مقامات الفصل

والفصل ثلاثة مقامات :

أولها ألا يكون بين الجملتين جامع مما سبق ، مثل قول أبي العتاهية :

الفقرُ فيما جاوز الكفايا من اتقى الله رجا وخافا

فالجملتان هنا متفقتان في الغرض العام الذي جمع بينهما في الكلام ، وهو بما يجب
مراعاته في الكلام حتى في مقام الفصل ، ولكنهما لم يوجد فيهما ارتباط بين المسند
إليه أو المسند أو قيد من قيودهما على ما سبق ، ففصل بينهما لهذا مع اتفاقهما
في أن كلا منهما حكمة من الحكم المبرورة في هذه المزدوجة ، ومنها في ذلك أيضا :

ينفك عن كل قبيح تركه يترتب على الرأي الأصيل شريكه

وقد يوجد الجامع بين الجملتين ولكن يفصل بينهما لاختلاف سياق الكلام ،
كقوله تعالى ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب
ويقومون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك وبالأخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ،

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون (١) فلم يمتطف قصة الكافرين على قصة المؤمنين مع وجود الجامع وهو التضاد، لأن هذا الكلام مسوق لبيان حال الكتاب قصداً، وذكر حال المؤمنين ليس مقصوداً على سبيل الإصالة ثانيها أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الأولى، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال، ولكنه لا يصار إلى تفصيل السؤال المفهوم من الكلام السابق إلا لاعتبارات لطيفة، وهما إغناء السامع عن أن يسأل، ومنها القصد إلى الإيجاز ونحو هذا، وتسمى الجملة الثانية في هذا الضرب من الفصل استثنافاً، وقد يسمى الفصل نفسه بهذا أيضاً، والسؤال الذي تتضمنه الجملة الأولى إما أن يكون عن سبب عام كما في قول الشاعر:

قال لي كيف أنت؟ قالت حليلٌ سميرٌ دائمٌ وحزنٌ طويل
كأنه قيل: ما بالك عليلاً أو ما سبب حالك؟ ومثله قول أبي العلاء:
وقد غرضت من الدنيا قبل زمني معطل جياتي إفر بهند ما غرضنا
مجرة بيت دهرى وأما به فما تركت لي الجارب في ود امرئ غرضاً (٢)
كأنه قيل: ما بالك غرضت؟ أو ما سبب ضجرك؟

وإما عن سبب خاص مثل قوله تعالى: ﴿وهذا أبرأه نفسي إن الأنف لآمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ (٣) كأنه قيل: هل النفس آمارة بالسوء؟ فقيل نعم إنها آمارة بالسوء، وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم كما سبق في الكلام على التأكيد.

وإما عن خيرها كما في قوله تعالى: ﴿واقعد جئت ربانا إبراهيم بالبرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ (٤) كأنه قيل فماذا قال إبراهيم في رد سلامهم؟ ومن هذا قول الشاعر:

زعم العواذل أني في غمرك صدقوا ولكن غرتي لا تنجلي

(١) سورة البقرة من الآية ١ إلى ٦.

(٢) غرضت: ضجرت، وكذلك غرض في آخر البيت الأول، وبعد: متعاق به مقدم عليه.

(٣) يوسف: ٥٣

(٤) هود: ٦٩

كأنه قيل : فهل صدقوا في هذا أم كذبوا ؟

وقد يحذف صدر الاستئناف كما في قوله تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه ، يستسجح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب
والأبصار ﴾ (١) على قراءة « يستسجح » بالبناء المفعول ، كأنه قيل : من
يسبحه ؟ فتيل : يسبحه رجال .

وقد يحذف الاستئناف كله ويقوم ما يدل عليه مقامه ، كما في قول مساور
ابن هند :

زعمت أن إخوتكم قرشي^٢ لم ألف وليس لكم ألف
كأنه قيل : فهل صدقوا في هذا أم كذبوا ؟ فتيل : كذبوا لأن لقرشي ألفا وليس
لهؤلاء الزاعمين ألف مثلهم .

ثالثها : دفع الإيهام كما في قول الشاعر :

وتظن سلمي أتني أبني بها بدلاً ، أراها في الغلال تهيم^٣
فلم يعطف قوله « أراها » على قوله « تظن » ، لئلا يتوهم أنه معطوف على قوله أبني
فيكون من مطلقونها مع أنه ليس منه ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنوا وإذا دخلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزئهم
وهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ (٢) فلم يعطف قوله « الله يستهزئهم » على جملة
الشرط وجوابه لئلا يتوهم عطفه على جملة « قالوا » أو جملة « إنا معكم » وكلاهما لا يصح .

٢ — فروق الحال

فروق الحال من علم المعاني :

الحال إذا كانت جملة فإنها تارة تكون مقترنة بواو الحال ، وتارة لا تكون
مقترنة بها ، واقتنائها بهذه الواو وعدم اقتنائها بها يجريان وراء اعتبارات دقيقة

(٢) البقرة : ١٤

(١) النور : ٣٨

لا أقل في أهميتها عن الاعتبار التي ذكرناها في اقتران الجملة بواو الوصل وعدم اقترانها بها ، ولكن القوم غفلوا منا عن هذه الاعتبارات ، وما كانوا في الكلام على فروق الحال مسا- كما نعويا يراد به بيان مواضع جواز الربط بهذه الواو وما منع امتناعه بها ، فظن بعض الناس أن الكلام في فوق الحال لا يصح أن يذكر في هذا العلم ، لأن مثل هذا ليس من مسائله وإنما هو من مسائل النحو .

مقامات الربط بالواو والضمير :

والأصل في الحال أن تكون بنير واو لأنها في الحقيقة وصف لصاحبها ، فلا تدخل عليها الواو كما لا تدخل على الـنعت ، ولكن هذا الأصل خالف فيها إذا كانت جملة ، فإنها تارة تربط بالضمير وحده ، وتارة تربط بالواو وحدها ، وتارة تربط بهما معاً ، وكل جملة وقعت حالاً ولم تجيء بالواو فهذا كما قال هـبـد القاهر لا يكون إلا إذا قصد إلى الفعل الواقع في صدرها فضم إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، نحو قولك د جاء زيد يسرع ، فهو بمنزلة قولك د جاء زيد مسرعاً .

وكل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو إنما لا تكون إلا متى يقصد بها استئناف خبر آخر لا يقصد ضمها إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وهذا إما أن يكون عند قصد الاهتمام بهذه الحال أو إزالة شك أو إنكار فيها ، أم نحو هذا مما يقتضي الاهتمام بها وعدم ضمها في إثبات واحد مع ما قبلها ، وهذا كما تقول : د جاء زيد وهو يسرع ، فإنه يفيد من الاهتمام بإثبات هذه الحال له ما لا يفيد د قولك د جاءني زيد يسرع أو مسرعاً ، فكل من هذا مقامه بما ذكرنا .

الجملة انصاحفة للربط بالضمير :

وليس كل جملة بحيث تصلح للربط بالواو ، بل بعضها يصلح للربط بها ، وبعضها يتعين ربطه بالضمير ، فلا يؤثر في مقام الربط بالواو ، والذي يصلح من الجمل للربط بالواو هو أولاً : الجملة الاسمية ، وهي لا ترى مـرـوطة إلا بالواو لظهور قصد الاستئناف فيها ، خصوصاً إذا كان المبتدأ فيها ضمير صاحب الحال ، نحو قولك د جاءني زيد وهو يسرع ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فلا تجهلوا لله أنبأدا وأنتم تعلمون ﴾ (١) وقول امرئ القيس :

أيقنتني والمشرق في من سماجعي . ومنسوبة من روق كأياب أغوال
 فإذا جاءت الجملة الاسمية بغير واو فإنما يكون هذا التأويل بالمفرد ، نحو قولهم
 وكلمته فوه إلى قومه أي مشافها ، وقولهم بشار :

إذا أنكرتني المديح أو تكبرتها خرجت مع البازي على سواد
 فإني على تقديم كائنات على سواد ، فيكون سواداً مرتفعاً بالظرف لا مبتدأ ، ولا
 يكون إذن من الجملة الاسمية ، وكذلك ما أشبهه من قول أبي العباس النخعي في
 مدح سيف بن ذي يزن :

قاسميه هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس محمدان دار أمانك محلا لا
 وقد يحسن في الجملة الاسمية بغير واو لدخول حرف على المبتدأ ، كما في
 قول الفرزدق :

فهاضت عسى أن تبصر بني كأنما - بني حوالى الأسود الحوارد
 وكذلك إذا وقعت حبيب معال مفردة كما في قول ابن الرومي :

والله يبقيك لنا - سالماً برذاك تعجيلاً وتعظيم

وثانياً : الجملة الفعلية إذا كان فعلها ماضياً ، ولا تدخل عليها الواو إلا إذا كانت
 مبهمة قد ظاهرياً أو متدرجاً كما في قوله تعالى (قال رب أن يكون لي غلام وقد بلغني
 السكبر) أو أي حاقراً قال كذلك الله ينزل ما يشاء (٢) وقول امرئ القيس :
 جئت وقد انقضت انومي ثيابها لدى السمر إلا لبسة المنة ههنا (٣)
 وقد تشبه بهذه الجملة بغير الواو كما في قول أبي سحر الهذلي :

وإني أنعموني إذا كراك هزلة . كما انتفض العصفور بالله القطر

وقول محمد بن سديد المري :

مضى أي المديح قد لا تخطيئه والليل قد مضت عنه السراويل
 ثالثاً : الجملة الفعلية إذا كان فعلها مضارعاً منقياً كما في قول مسكين الدارمي :

(١) محلاً : كشيء حلواً لسكركم حاجبها (٢) آل عمران : ٤٠

(٣) هو أنسى يبق في ثوب واحد لنوم ونومه .

أَكْسَبَتْهُ الْوَرَقُ الْبَيْضُ أَبَا وَقَدْ كَانَ وَلَا يَدْعَى لَابِ

وقول كعب بن زهير :

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَالِ

وقد تجيء هذه الجملة أيضا بفخر الواو كما في قول زهير بن أبي سلمى :

كَأَنَّ مَفْتَاتِ الْفَيْسِنْ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَوَلْنِي بِهِ سَبَّ الْمَقْنَسَا لَمْ يَمُحِطِمِ (١)

الجل الصالحة للربط بالضمير :

والجل التي تصلح للربط بالضمير هي اجل الفعلية إذا كان فعلها مضارعا مثبنا ، وهذه اجل لا يصح ربطها بالواو ، بل يجب ربطها بالضمير ، وشأنها في هذا شأن الحال المفردة ، ولهذا لا تقع إلا في مقامها كما سبق ، ومن ذلك قوله تعالى (وَسَيَجْزِيهَا الْآتِي ، الذي يؤتي ماله يتزكى) (٢) وقول أبي داود اليتامى :

وَلَقَدْ أَغْتَدَى مِدْرَافِعُ رَكْنِي أَحْوَذِي ذُو مَيْمَنَةٍ لِأَضْرِيحِ (٣)

فإذا جاءت بالواو كقول عبد الله بن كهمام السكوني :

فَلَمَّا تَحَشَّيْتُ أَظْفَرَهُمْ سَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكَ

فيجب تأويلها على حذف مبتدأ ، ويكون التقدير : وأنا أرهنهم ، فتكون جملة اسمية لا فاعلية ، وقيل إن الواو في البيت للعطف وليست للحال ، وتقدير الكلام على هذا : فجوت ورهننت ، وإنما قيل أرهنهم ، بالفظ المضارع لحكاية الحال الماضية.

٣ — المساواة والايجاز والاطناب

الخلاف في تفضيل الايجاز على الاطناب :

وهذا الباب أيضا من أهم أبواب هذا العلم ، حتى نقل عن بعضهم أنه قال :

(١) الممن : المصروف المعبوج ، وفتاته : ما تقطع منه ، والفنا : غيب الثعالب .

(٢) سورة الليل : ١٧ .

(٣) الاحوذى : السريع الخاذق ، والميعة : أول الجري وأنشطه ، والإضريح :

السريع العدو .

البلاغة هي الإيجاز والإطناب . وقد اختلف في الإيجاز والإطناب أيهما أفضل من الآخر ؟ فقال أصحاب الإيجاز : الإعجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة ، فهو فضل داخل في باب الهدر والخطل ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة . وفي تنزيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لسكتابه : « إن قدرتم أن تعملوا كتبكم توقيعات فافعلوا »

وقال أصحاب الإطناب : المفقى إنما هو البيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يكون إلا بالإقناع ، وأفضل للكلام أيده ، وأبينه أشده إحاطة بالمعنى ، ولا يحاط بالمعنى إحاطة تامة إلا بالإطناب .

والقول القصد في ذلك أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام ، ولكل منهما موضع فيه ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في موضعه ، وسيأتي بيان موضع كل منهما .

تعريف المساواة :

المساواة هي أن يكون اللفظ بقدر أصل المراد لا ناقصا عنه ولا زائدا عليه ، أو هي تأدية المقصود بما لا يزيد عن الكلام المراد ولا ينقص عنه ، وهو كلام أوساط الناس في مجرى عرفهم في تأدية المعاني عند معاملاتهم ومخاطباتهم في سائر شؤونهم ، وهؤلاء الأوساط هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم يدعوا إلى حالة الفهامة ، وهم يعبرون عن مقصودهم بكلام صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال في بلاغة الكلام .

تعريف الإيجاز :

والإيجاز هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل منه بحيث لا يقصر عن تأديته ، ولا يحل ببيانته ، وإلا كان إخلالا لا إيجازا كقول عمرو بن النور :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أهذرا

فإنه أراد إذ يقتلون نفوسهم في السلم ، ولكن لفظه يقصر عن تأديته لأنه لا دليل فيه عليه ، إلا أن يقال إن الدليل فيه قوله : عند الوغى ، وكقول الحرث بن حاتم :

عَيْشِي بِحَيَاتِي لَا يَخْسِرُ لَكَ الْفُؤَادُ مَا لَأَقَيْتَ سَجْدًا

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ لِي الْفُؤَادِ مَنْ عَاشَ كَدًا

فإنه أراد : والعيش الناعم في ظلال الحزن خير من عاش كدًا في ظلال العقل ،
وقد يقال أيضًا إن سياق الكلام يدل على هذا الخلف فلا يكون فيه تعقيد أيضًا .
وأمور السمعاني في الزبرقان بن بدر :

وأبوك بدر ثانٍ يمشي من (١) الحصى

وأبي الجواد ربيعة بن قبال

فقال له الزبرقان : لا بأس شينخان اشتراكا في صفة ، وكقول الآخر :

لا يرمنون إذا سجدت مشافروهم ولا يرى مثلهم في الطعن ميثالا
ويفشلون إذا نادى ربهم ألا اركبهم فقد آتت أبطالا (٢)

أراد : ولا يفشلون ، فتركه ، فصار المعنى كأنه ذم .

تعريف الانشائب :

والإنشائب النعمير عن المتحضر بلاط زائد عليه لئلا تفسد دمه ، فإذا زاد
عليه غير فائدة كان تلويزا أو عشيرا ، والتلويز هو الذي لا يتعين فيه الزائد في الكلام
كقول عدي بن زيد :

وفقدت الأديم إراشيشه وألقى قولها كذبا وميئنا

وقد روى كذبا مبينا فلا يكون فيه تطويل ، وكقول النخعي شمة :

ألا تحبذا هنت وأرض بها هنته وهنته أتى من دونها الفتى بالبند

وقد سبق أن مثل هذا يحمل على عطف النعمير ، ولكن عطف النعمير ليس
من أساليب البلاغ ، نعم مما أتى أن مثل هذا يغتفر لضرورة القافية .
والحشو هو الذي يتعين فيه الزائد في الكلام ، وقد يكون بسبب قصد المعنى
فيكون أمره أفتح ، كقول أبي الطيب :

(١) النفس : أخذ اللحم بمقدم الأيمن .

(٢) الرمد : شدة الحر ، والربو : اللغائم في حراممة القوم .

ولا فضيل للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شمس ثوب
 فإن لندى والندى، حشر يفسد المعنى، لأن المراد أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة
 والندى والصبر لولا الموت، وهذا صحيح في الشجاعة والصبر دون الندى، لأن
 الشجاعة والصبر إذا ذهبا أنهما يفتقدان لم يفتدما الملاك ودوام المسكوه، فلا يكون
 للشجاعة والصبر فيهما فضل، أما الباذل فإن تقدير الموت هو الذي يهون عليه
 البذل لا تقدير الخلود، فيسكون فضل الندى مع تقدير الخلود أظهر، وإنما كان
 تقدير الموت هو الذي يهون البذل، لأن الباذل يعلم أنه لا يبقى لماله، فيهون عليه
 بذله قبل أن يتركه ليعتمتع به غيره دونه، وعلى هذا قول طبرقبة :
 فإن كنت لا تستطيع كفتح منيتي فذكرني بأدريها بما ملكت يدي
 ومن المفسر الذي لا يفيد المعنى قول أبي النعمان التميمي :

ذكرت أخى فما ودني مصدع الرأس والوصب

فذكر الرأس عشو لأن الصداع لا يستعمل إلا فيه، وكذا قول زهير :
 وأعلم على اليوم والأيام قبله ولست أفتى عن علم ما في غيري
 فإن قوله قباه حشو أيضا .

وكذلك يجري الأمر في ألفاظ اشتداد الفاس وصل الكلام بها، وهذا نحو قولهم
 « لعمري، ولعمري، وأجمع، وأمسى، وظل، وأضحى، ووات، وبا صاحبي،
 وبا نابل، وبا يجرى، هذا المجري . وأكثر ما ترد هذه الألفاظ في الأشعار ليم
 بها الوزن كقول أبي تمام :

أقبر يا لعمري لحكم السيوف وكانت أحق بفصل القضاء

فهو حشو لا فائدة فيه إلا إحتياج الوزن، لأن القسم إنما يرد لتأكيد المعنى
 لشك فيه أو تنويه، وما هنا ليس بما يشك فيه، إذ لا شك في أن السيوف حادة،
 وأن نل واستاد يترسحهما، ويذهبن لطاعتها، وكذلك قول البحتري :

ما أسمعن إلا ألقها يا صاحبي إذ مضى لي ترجع

ولكن أس هذه الألفاظ يغتفر في الشعر، لا تالو عيناها على الشعر المعتبر

عليهم ، والوزن يحوج في بعض الأحوال إليها ، وقد ترد في الشعر لفائدة وهو
الاحسن ، كما في قول البيهقي :
قومٌ أهانوا الوفر حتى أصبحوا أولى الانامِ بِسِكِّيلٍ عرضٍ وافرٍ
لأن دأصبحوا ، فيه بمعنى صاروا ، لا بمعنى دخلوا في الصباغ .

مقام المساواة :

ومقام المساواة في البلاغة هو مقام الإتيان بالأمر حيث لا مقتضى للعدول
عنه ؛ ولا يخفى أن مثل هذا قد سبق أنه لا قيمة له في البلاغة ، وقد ذهب السكاكي
إلى أنها لا تحمد من البلغاء ولا تدم ، لأنها عنده هي الكلام العرفي الذي يجرى بين
أوساط الناس ، وكلامهم عنده لا يحمد منهم ولا يذم ، فما يصدر عن البليغ مساويا
له لا يكون بليغا مثله ، لعدم اشتغاله على تكتة يعتد بها ، ولا يقدح في هذا
وقوعها في القرآن الكريم ، لأنها إذا وقعت فيه فإنما تقع في بعض آية فقط ، ومع
هذا فإن وجوه البلاغة لا تنحصر في الإيجاز والإطناب ، فلا يلزم من فقد مزيتهما
في كلام ألا تكون فيه موايا أخرى غيرها .

مواضع المساواة :

وأغلب ما تكون المساواة في كلام أوساط الناس ومن إليهم من البلغاء الذين
يقرب أسلوبهم من أسلوبهم ، وهي نادرة الوقوع في كلام غيرهم من فنون البلغاء ،
لأسماء الشعر ، لبقاء أمره على الإيجاز ، ومن المساواة في الشعر قول بشار :

ربابةٌ ربةُ البيت تصبُّ الخلَّ في الزيتِ
لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ حسنٌ الصَّوتِ

وكذلك ما أنشده عبد الكريم في اعتدال الوزن :

إنما الذلُّ لقاءٌ ممسى فليلي من يلومُ
أحسن الناس جميعاً حين تمشي وتقوم
أمرُّ الحبلِ لترضى وهى للحبلِ صَروم

وبما جاء فيها في الشعر البليغ قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم ولا يقدح في عدله من المساواة حذف جواب الشرط فيه ، لأن اعتبار الحذف في هذا وفي الاستثناء المفرغ ونحوهما لحماية الإعراب ، ولا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد ، حتى أنه لو صرح به يكون حشواً في الكلام .

ومن المساواة في النثر البليغ قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (١) وقول النبي ﷺ « لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا » .

مواضع الإيجاز والإطناب ومقاماتهما :

وللإيجاز مواضع يطلب فيها على العموم ، ومقامات خاصة تفتضيه في تلك المواضع ، وكذلك الإطناب له مواضع ومقامات ، والكلام ينقسم بينهما إلى قسمين : قسم يطلب فيه الإيجاز كالأشعار والمسكّنات ، وقسم يطلب فيه الإطناب كالخطب والمناشورات وكتب الفقوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس ؛ فإن الكلام إذا طال في مثل هذا أثر فيهم وأفهمهم ، وعلى هذا جرى القرآن الكريم فيما يخاطب به العرب وغيرهم ، فإذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى ، وإذا خاطب بنى إسرائيل وغيرهم أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً ، فما خاطب به أهل مكة ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (*) وقوله تعالى ﴿إذا ذهب كل إليه بما خلق وأملا بعضهم على بعض﴾ (٢) وفي أشباه هذا كثرة ، وقلبا تجمد قصة ابنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروعة ومكررة في مواضع معادة ، لأنهم لم يكونوا في العربية بحيث يلحقون الخاص من أبنائها ، وإن كان بعضهم قد تعرب بيشرب وغيرها .

ويؤخذ من هذا أن الإيجاز للخواص ، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة (٣) وقد ذهب ابن الأثير إلى أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام ، والذي يجب توخيّه فيه عدده وأن يسلك المذهب القويم في تركيب الالفاظ على المعاني

(١) الكوثر : ١

(٥) الحج : ٧٣

(٢) المؤمنون : ٩١

(٣) المثل السائر ١٩٢

بحيث لا يزيد كل منهما عن الآخر مع الإيضاح والإبانة . وليس على من تعمل هذا أن ينهمر بكلامه ، فإنه نور الشمس إذا لم يره الأعمى لا يكون هذا نقمنا فيه ، إنما النقمة من قوه بصر الأعمى إذ لم يستطع النظر إليه .

والتي نقمت انترافي من مبادئها وما على إذا لم تنهمر البقرة .
وأيضا أراه في هذا أنه تمت ظاهر ، وأن أوساط الناس لا يصح إسقاطهم عن الاعتبار إلى هذا الحد في أمه رشيدة .

والإيجاز به هنا مقامات تقتضيه في مواضعه فتزيد أمره توكيدا عند وجودها فيها ، وهي مقامات الحذف السابقة في بابها . والإيجاز مقامات أيضا تقتضيه في مواضعه فتزيد أمره توكيدا ، وهي مقامات الذكر السابقة أيضا .

أنواع الإيجاز :

والإيجاز نوعان : إيجاز التقصر وإيجاز الحذف ، وإيجاز التقصر يكون بكثرة المعاني مع قصر اللفظ من غير حذف فيها ، وهذا يأتي من أن اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل يتدرج دلالاته إلى دلالة ملائمة ودلالة تضمن ودلالة الزام ودلالة تنبيه فتتبعها ما أكسب من المعاني الثانوية التي يبحث عنها في هذا العلم ، وهو يدل بالثبوت وما بعده على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

إيجاز التقصر :

وهو إيجاز التقصر قوله تعالى : خذ العشر وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلِينَ (١) فإنه ليس في القرآن ذكر أي أجمع لمكانهم أو سلف من هذه الآية . وقوله تعالى : ولَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢) فإن قوله (٢) في القصاص حياة إذا قيس إلى ما فات عنهم أو جازي بلام في معناه ، وهو قولهم القتل أنى الموتى ، موجبا فيه فتل كثير عليه ، لأن عدة من يوفه أقل ، وليس فيه تكرار لفظ ، وقد صرح فيه بالمطلوب وهو الحياة مع تشكيكه الدال على تعظيمه فيكون أزرع عن القتل بغير حق ، وكذلك تجمع فيه بين الحياة والقصاص

وهو ضد الحياة فيسكن فيه ملائكة بينهما ، وهي من الخرافات اليهودية : ومنه
أيضا قول الشريف الرضي :

قالوا إلى مستجير الرسل رأسيديا أيدي الغلمان إلى ثلثي تونيق^(١)
فإنه لما أراهم أن بعضهم بالاجتماع أضاء وصفهم بالفرام عبر عن سعدا بقوله
وأيدي اللعان^(٢) : يقول شوقي :

ولما أراهم الأخلاق ما بقيت^(٣) فإنهم ذهبوا أخلاقهم ذمهم^(٤)
وقول حافظ :

الأمم مدرسة إذا أهدتها أعدت منكما طيب الأعراف^(٥)
هذا وقد يدق الفرق بين إيجاز النضر والمساواة بحذف إيجاز الحذف ، لأن
الحذف فيه فرق ظاهر بينهما :

إيجاز الحذف :

ولما كان الذي قد يكون يمتدح عرف بقوله تعالى في قالوا لله تنعنا نذكر
يوسف حتى تمكن في بصرنا أن تكون من أسامة^(٦) (١) أن لا نأمنه نذكره .
وقوله أبي سعيد الخدري :
رأيت الخمر صالحة وفيها منافع تلك الرطل السلما

فلا رائحة أشهر بها عيبا^(٧) ولا أشتى بها أبا ندينا

يريد لا أشربها فلهذا ولاه منه أن يحولها عن الرطل الخفيف المفرد به ، بخلاف
حذفها في البيتين السابقين في الإيجازين بالحذف ، ومنه أيضا قوله تعالى في الاعتقاد
دوس^(٨) ومنه ما بين ربهما ما بينهما^(٩) أي دورهم ومنه قوله تعالى في قوله تعالى ومن
الظلم من ربهما العلم الرأس شيئا^(١٠) أي يارب يخاف بحرف الله .
ومنه ما يكون في الاعتقاد غير المذكور العلم به أو غيره بقوله تعالى في قتال إلى
الحجرات حب الخير عن ذكره^(١١) حتى توارث بالخجل^(١٢) أي الشمس ،

(١) الأعراف : ١٤٣

(١) يوسف : ٨٥

(٤) سورة ص : ٣٢

(٣) مريم : ٤

وقول حاشم :

أماوى ما مينيى الشراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

يعنى النفس ، ولم يحجر لها ذكر .

وقد يكون بحذف مفرد كما سبق في حذف أحد طرفي الجملة أو متعلقاتها ، مثل قوله تعالى (واسأل القرية التي كنا فيها والعهد التي أقبلنا فيها ولنا لصادقون)^(١) أى أهل القرية ، وقول البحتري في وصف إيوان كسرى :

فإذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس
والمبايا سمائل وأنوشتر وأن يوحى الصُفوف تحت الدرفس^(٢)
في اخضرار من اللباس على أصند فرم بمخال في صليفة ورس
أى فرس أصفر ، وكقوله أيضاً :
كل عذر من كل ذنب ولكن أعوذ العذر من بياض العذار
أى كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع ، أو ما جرى هذا المجرى ،
وكقول أبي تمام :

لو يعلم الكفر كم من أمصر كنت له العواقب بين السمر والقمص
فإن جواب دلو ، محذوف تقديره : لأخذ أهبة الحذار أو نحو هذا .
وقد يكون بحذف جملة كقوله تعالى : (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره
المجرمون)^(٣) أى فعل ما فعل ليحق الحق ، وقول أبي الطيب :
أق الزمان بدوه في شبيبته فتعمرهم وأتيناها على المستمر
أى فساءنا .

وقد يكون بأكثر من جملة ، وهو أبلغ الحذف وأحسنه ، كقوله تعالى (فقلنا
اذهبا إلى قوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً)^(٤) أى نأيتهم فأبلغناهم
الرسالة فكذبوها ، فدمرناهم تدميراً ، وقول الشافعي :

(٢) الدرفس : العلم الكبير .

(١) يوسف : ٨٢

(٤) الإسراء : ١٦

(٣) الانفال : ٨

لا تدفوني إن دفني محرّم عليكم ولكن عامري أم عامر
 أى واسكن دعوى الضبع التى يقال لها إذا أريد صيدها بعد سد جحرها عليها :
 عامري أم عامر ، أبشرى بجحراد عظامي ، وكبر رجال قتل (١) ، فتذل للصيد ،
 وتخضع لصائدتها .

قرينة الحذف :

ولابد في الحذف من قرينة تدل عليه كما سبق في باب الذكر والحذف ، وأدلة
 الحذف كثيرة منها دلالة العقل ، كقوله تعالى : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (٢)
 أى وجاء أمره ، ومنها دلالة العادة كقوله تعالى (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم
 تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) الآية (٣) أى
 لو نعلم مكان قتال ؛ لانهم كانوا انخب الناس بالحرب ، وإنما يريدون أنهم يقاتلون
 في مكان لا يصلح للقتال ، وكانوا قد أشاروا في هذه الغزوة بعدم الخروج
 من المدينة .

ومنها دلالة الحال كقولك لمن أعرض : د بالرفاء والبين ، أى أعرضت .

انواع الاطناب :

وللإطناب أنواع منها :

الإيضاح بعد الإيهام : ونسكتنه قصد تشويق السامع إلى الشيء لتسكينه في نفسه ،
 كقوله تعالى : (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) (٤) فإن قوله « اشرح
 لي ويسر لي » يفيد طلب شرح وتيسير لشيء ما ، و « صدري وأمرى » يفيد
 تفسيره ، والمقام يقتضى التأكيد للإرسال المؤذن بتأني المسكاره والشدائد .
 وكقول ابن المعتز :

(١) عامري : استترى ، وعظامي : يركب بعضها بعضاً . والسكر : واحدها ككرة وهي
 رأس الذكر . وهم يزعمون أن الضبع إذا وجدت قتيلاً ألقته على قفاه ثم ركبته .
 وهذا المثل د عامري أم عامر ، يضرب للذي يرتاع من كل شيء جهتها .

(٢) الفجر : ٢٢ . (٣) آل عمران : ١٦٧ . (٤) طه : ٢٥ .

تستغنى في ليل شديده بشعرها شديده مستند بها في غير رقيب
 ما زلت في ليلين شعر وظلة وشتم من غير رقيب حبيب

انا مدين بنى الاراك اشابهه اطفال قنجان به وقود
 في محاني حبي وروض فالتقى وشيان وشي كربي وشي يروي
 وسفرن فامتلأت عيون واقفا وردان وود جنى وود مخدود

وقد سمى بعضهم تغدير المثلج والجمع على نحو ما في شعر ابن المعتز والبحتري وغيرهما باسم التوشيم ، والادنى لإخالة في الإيضاح بصفة الاجسام قليلا فلهذا الانواع . وما يدخل في هذا النوع أيضا باب نعم وبئس على قوله من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ ملحق محذوف ، بخلاف قوله من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبرا ، وكذلك باب ضمير تشبؤن والجملة وكل ما يجوز هذا الجرى .

ذكر الشخص في القسم :

ومنها ذكر الخاضع من الادم : ونكتته التاجيد على نطق الخاضع والادغام بأمره لادغام تفضيه نكتة له تعالى في ذكر من تشاء الله ما فسكته ورسلك ويهبط يا وميكال فان ان شاء الله لم يبق (١) وقوله من ربي اغفر لي ولوالدي واني ذنبل يلقى مؤمنا وقوله مؤمنين والمؤمنات ولا تؤذوا المؤمن والمؤمنات الا بما راعاه (٢) .

وقول بعض شعراء الحماقة :

وان الذي بيني وبين أبي وبين بيني وبين عمي لختاف جدا
 اذا اكلوا لحمي وفرت بلومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم هذا
 وإن غلبهم انشيت منقذتهم وإن هم مووا غيبتهم وبنت لهم هذا (٣)

(١) الآية : ٩٨

(٢) نوح : ٢٨

(٣) هذا هو البيت المشاهير لأن كل لحم يؤكل للإنسان فهو لا يستطيع ان يهربه وليس كل انبياءه لغيره أكل لا سمح .

التكرير :

ومنها التكرير ، ونسكته التأكيد ، كقوله تعالى ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ (١) وقوله ﴿ و قال الذي آمن يا قوم الهدى سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الآية الدنية منافع وإن الآخرة هي ، أرقا وأرحم ﴾ (٢) ومعناه أيضا تكرير قوله تعالى ﴿ في فأبى آلهم ﴾ فكذلك ﴿ في سورة الرحمن ، وكذلك ما ورد من نحوه في سور أخرى من القرآن . وقد ورد مثل هذا كثيرا في الشعر كقول المفضل :

على أن ليس عدلا من كليب إذا ما ضم سبار الاستعج
على أن ليس عدلا من كليب إذا ضاقت رحيات الصدور
على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت محبسات الصدور

وعما يلحق بالتكرير أنه إذا طال الفصل من الكلام وكان أوله يقتضي إلى تمام لا يفهم إلا به ، فالأولى في باب البلاغة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل ، لا سيما إن وأخواتها إذا طال الفصل بين اسمها ونبرها ، كقوله قول بهمن شعراء النخاسة :

أههنا وقيا اشتياقا وغربة ونأى حبيب إن ذا الغمام
وإن أمره أدامت موافيق عهد على مثل هذا إنه لتكرير

التكرير المحجب :

فإذا لم يمكن التكرير مفيدا للسكتة كان قبيحا ، مثل قول أبي نواس :
أقما بها يوما ويوما وثالثا ويوما له يوم التمهيد خناس
ومراد به هنا أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، وهو من الذي الفاحش .
وكذلك قول أبي تمام :

قسم الزمان رُبُوعها بين الصبا وقبورها ودبورها أثلاثا

(١) النخاسة : ٣ و ٤ (٢) غافر : ٣٨ (٣) الرحمن : ٢٣

فإن الصيا هي القبول ، ولا معنى لمطابقها عليها ، وهذا من التكرير في المعنى دون اللفظ ، وهو يعاب في النثر مطلقا ، وأما في الشعر فقد قيل باعتقاره في أعجاز الأبيات دون صدورهما ، لأن الأعجاز مكان القافية والشاعر مضطر إليها ، فيجعل له ما حرم على غيره ، وكقول امرئ القيس :

وهل ينعمن إلا سبيدٌ مخلدٌ قائلُ الحمرم لا يبيع بأوجالٍ
وقولُ الخبيثة :

قالت أمانة لا تجرُجْ نقات لها إنَّ العزاء وإنَّ الصبر قد غلبا
هلا التستِ أنا إن كنتِ صادقةً مالا نعيش به في الناس أو نشبا
فاجبت الأول معيب لأنه كرر العزاء والصبر لذكر معناهما واحد ولم يردا قافية ،
وأما البيت الثاني فليس بمعيب لأن التكرير في المذهب وهو قافية .

الإيفال :

ومنها الإيفال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، كزيادة الخبث على اتباع الرسل في قوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) (١)
وكزيادة المبالغة في قول الخنساء :

وإنَّ صخرأً لنا ثمَّ المسداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
وكتحقيق التشبيه في قول امرئ القيس :

حملتُ مردنياً كأنَّ سنانهُ سنا لُبٍ لم يتصل بدُخان
فإن قوله لم يتصل بدخان هو الذي يحقق التشبيه الذي قبله .

التذييل :

ومنها التذييل وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها لتوكيدها ، والمراد بأشتمالها على معناها إفادتها بنحوها بما هو مقصود منها ، وبهذا يمتاز التذييل عن التكرير ، لأن دلالة الثانية على معنى الأولى في التكرير بالمطابقة لا بالفحوى . والتذييل ضربان : ضرب يجري مجرى المثل لاستقلاله عما قبله

وعدم توقفه عليه ، كقوله تعالى : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ (١) ، وقول النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخاً لا نلسه^١ على شمش^٢ أي الرجال المهذب^٣
وضرب لا يجرى مجرى المثل لتوقفه على ما قبله ، كقول ربيعة بن مقروم :
فدعوا أنزال فيكنت أول نازل^٤ وحلام أركبه إذا لم أنزل^٥
وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى ﴿وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد أفإن
مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا
ترجعون﴾ (٢) فقوله ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ من الضرب الثاني ، وقوله
﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ من الضرب الأول .

ولإذا وقع التذييل في آخر الكلام صح أن يقال له إيغال أيضاً ، وإذا لم يقع
في آخر الكلام قيل له تذييل لا إيغال ، فهو أحسن من الإيغال من هذه الناحية ، كما
أن الإيغال أحسن منه من جهة أنه قد يكون بغير الجملة ولنهي نكتة التوكيد ، كما سبق
في الكلام عليه .

التكميل

ومنها التكميل ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف
المقصود بما يدفعه ، كقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (٣) دفع بقوله
﴿أعزة على الكافرين﴾ ما قد يتوهم من أن ذلتهم عن ضعف لا عن تواضع
وإنما قال : ﴿أذلة على المؤمنين﴾ فعداها بعد دون اللام لأن المعنى أنهم مع شرفهم
وعلو طبقتهم على المؤمنين خافضون لهم أجهضهم ، ومنه قول طرفة :

فستى ديارك غير مفسدها صوب^١ الربيع ودية^٢ تمنى

وكقول كعب بن سعد الغنوي :

حليم إذا ما الحلم زين^١ أهله مع الحلم في عين العدو^٢ مريب^٣

(٣) المائدة : ٥٤

(٢) الأنبياء : ٣٥

(١) الإبراهيم : ٨١

التتميم

ومنها التتميم : وهو أن يرقى في كلام لا يرقى خلاف المقصود بفصلة من مدفول ونحوه لنسكتة كالمبالغة ونحوها ، فهو أعم من الإيغال من جهة أنه لا يتقيد بآخر الكلام ، والإيغال أعم منه من جهة أنه لا يتقيد بأن يكون فضلة ، ومن التتميم قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه ممكينا ويتايا وأسيرا) (١) إذا جعل للضمير في قوله د على حبه ، للطعام فيكون تتميا يقصد منه المبالغة في مدحهم ، فإذا جعل الضمير لله تعالى لم يكن تتميا ، لأن معناه على هذا يدخل في أصل المراد من الكلام ، إذ الإنفاق لا يمدح شرعا إلا إذا كان لله لا لرباء وسمعة ، ومنه أيضا قول زهير :
من يأتى يوماً على عملاته سمرأ يلقى السباحة منه والتهدى مخلفاً

الاعتراض

ومنها الاعتراض وهو أن يرقى في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معتمى بمجمله أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض من الأغراض ، واتصال الكلامين بأن يكون ثانيهما بيانا للأول أو تأكيدا أو بدلا أو منطوقا عليه ، والاعتراض على هذا التعريف يباين الإيغال والتتميم ، ويشمل بعض صور التكميل والتفصيل ؛ وله أغراض كثيرة كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) (٢) وكالدعاء في قول أبي الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقاراً رهيباً يرى كل ما فيها وحاشاك ظانيا
والراو في قوله وحاشاك تسمى ، واو الاعتراض ، وهي غير واو العطف وواو الحال . وكالتنبيه في قول الشاعر :

واعلم فسلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدرا
وهذه الفاء تسمى فاء الاعتراض أيضا .

وكمختصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر غلق بهما ، كقوله تعالى :

(٢) النحل : ٥٧

(١) الإنسان : ٨

(١) ووصينا الإنسان برأيه حملته أمه وهذا على وعن وفصالة في حامين أن اشكر لي
ولو الديك إلى المصير (١) وكالمطابقة مع الاستمطاف في قول أبي الطيب :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنسى رأيت فيه جهنمهما

وقد يأتي اعتراض في اعتراض كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه
لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقرآن كريم) (٢) فقوله « لو تعلمون ، اعتراض
في اعتراض ؛ لأنه اعترض به بين الصفة والموصوف ، واعتراض بالجنين بين
القسم والمقسم عليه .

الاعتراض العيبى

فلذا لم يكن الاعتراض لغرض وفائدة فهو على ضربين : أولهما ضرب يكون
دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به حسناً ولا قبحاً ، ومنه قول النابغة
الذبياني :

يقول رجاله يجهلون تخليقتى لعل زياداً لا أباك حائل

فقوله « لا أباك ، اعتراض لا فائدة فيه ، ولا يفيد في البيت حسناً ولا قبحاً ،
وقد وردت هذه اللفظة في موضع آخر فكان الاعتراض بها فائدة حسنة ،
كقول أبي تمام :

✽ عتابك حسنى - لا أباك - واقصدى ✽

فإنه لما كره عتابها اعترض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق
الدم . وثانيهما ضرب يؤثر نقصاً في الكلام ، وهو الذى يحدث تعقيداً فيه
كقول بعضهم :

فقد والشك بينى لى عناء بوشك فراقهم مصرود يصيح

يريد : فقد بينى لى مصرود يصيح بوشك فراقهم ، والشك عناء ، ففصل بين وقد
والفعل الداخلة عليه بقوله « والشك » ، وهو اعتراض ردى لقوة اتصال قد بما تدخل
عليه من الأفعال ، وإنما يفصل بينهما بالقسم ، كما تقول « قد والله كان كذا » ثم

فصل بين المبتدأ وخبره بقوله « بين لي » ، كما فصل بين الفعل وفاعله بخبر المبتدأ وهو قوله « عناه » ، وبهذا كله جاء معنى البيت كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض ، وقد عدت بعض ما في هذا البيت من الاعتراض على مذهب من لا يشترط في الاعتراض أن يكون جملة أو أكثر من جملة .

الإيجاز والإطناب النسبيين :

وقد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه أو قلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى الذي يشتركان في الدلالة عليه ، فيقال للأكثر حروفاً إنه مطنّب وإن كان في نفسه من المساواة أو الإيجاز بمعناها السابق في أول الباب ، ويقال للأقل حروفاً : إنه موجز وإن كان في نفسه من المساواة أو الإطناب بمعناها السابق أيضاً . ومن هذا قول أبي تمام :

يصدّ عن الدنيا إذا حنّ مسوددٌ ولو برزت في رزيّ هذراء ناهدٍ

مع قول أبي سعيد الخزومي :

ولست بنظّارٍ إلى جانب الغنى إذا كانت العاياه في جانب الفقر
فإن أبا تمام قد جمع في العطر الأول من بيته ما جمعه الخزومي في بيته كله .
ومنه أيضاً قول الشماخ :

إذا ما رايةٌ مرفعتٌ لمجدٍ تلتقيها عرابةٌ باليمن

مع قول بشر بن أبي خازم :

إذا ما المكرماتُ مرفعنَ يوماً وقصيرُ مبتغوها عن مداهما

وضاقتُ أذرعُ المثّينَ عندها سبأ أوُسُ إليها فاستواها

ويقرب منه قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)^(١) مع قول السموءل :

ونذكر إن شئنا هل الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ولأنما كان هذا قريباً منه ولم يكن منه ؛ لأن الآية والبيت لم يتساويا تماماً في

(١) الأنبياء : ٢٣

أصل المعنى ، لأن ما في الآية يشمل كل فعل ، فيدخل فيه القول لأنه فعل أيضا ، أما البيت فخاص بالقول وحده .

الاطناب في الحروف :

وقد يكون الإطناب بزيادة حرف على أصل المعنى لغرض من الأغراض ؛ ومن هذا زيادة أن بعد ما ، كما في قوله تعالى ﴿ فلما أن جاء البشير الفأه على وجهه فارثد بصيرا ، قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (١) فزيادة أن فيه للدلالة على أن الفعل بعدها لم يكن على الفور بل كان فيه تراخ وبطء ، وكذلك قوله ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالآمن إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ (٢) زيد فيه د أن ، بعد د لما ، للدلالة على أنه لم يسارع إلى قتل الثاني كما سارع إلى قتل الأول .

ومنه أيضا زيادة د ما ، بعد د إذا ، كما في قوله تعالى ﴿ والذين يمتننون كباثر الإثم والفرحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ (٣) . وقول بشار :
إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكننا حجاب الشمس أو قطرت دما

فزيادة ما فيهما للدلالة على قلة حدوث الفعل الذي بعدها ، فهي تشير في الآية إلى أن المؤمنين لا يغضبون إلا قليلا ، وتشير في البيت إلى أن قومه لا يغضبون إلا حين يوجب الحرم أن يغضبوا .

وهكذا الشأن في كل الأحرف التي يسميها النحويون أحرف زيادة ، ويغفلون عن دلالتها في الكلام على هذه الدقائق والرموز ، لأنها ليست من شأنهم ، وإنما هي من شأن الباحثين في علم المعاني ، لأنه هو الذي يعنى بأماثلها ، وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذا العلم .

— تم بحمد الله —

(١) يوسف : ٦ (٢) القصص : ١٩ (٣) الشورى : ٣٧

ترجمة المؤلف بقلم ابنه

- مولد رحمه الله عام ١٣١٣ هـ ، ١٨٩٤ م بقرية دكفر الدجباء ، مركز أجا محافظة الدقهلية . توفي والده وهو في صاه الأول ، ولما لم يكن له أشقاء أو أعمام أشرفت والدته على تربيته ، فأرسلته إلى الكتّاب ، المدرسة الإلزامية بالقرية حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ثم رحل إلى مدينة طنطا الالتحاق بالمرحلة الابتدائية في المدارس الأزهرية . وقد ظهر نبوغه مبكراً فقطع المرحلة الابتدائية في سنتين بدلاً من أربع سنوات ، فكان ينجح في العام الدراسي في الدور الأول ويدخل امتحان العام الدراسي التالي في الدور الثاني ، وكان في كل ذلك الأول على أقرانه دائماً .
- تخرج بالجامع الاحمدى عام ١٣٣٦ هـ وحصل على العالمية وكان أول دفعته .
- ظهرت عليه ملكة التأليف مبكراً ، فكان يقوم بوضع شرويح لبعض كتب التراث المفردة ، أو يبسطها في لغة هصرية .
- بدأ بالتدريس بالجامع الاحمدى بطنطا في ١٣٦٨ هـ ثم انتقل استاذاً بكلية اللغة العربية إحدى كليات الجامع الأزهر .
- شارك بكتابة مئات المقالات في كبرى الجرائد والمجلات الثقافية والعلمية مثل مجلة الرسالة والأزهر والسياسة الأسبوعية وغيرها ، وكانت له معارك أدبية وعلمية مع معاصريه من الأدباء والمفكرين والمنايخ رحمهم الله .
- ألف رحمه الله أكثر من ستين مؤلفاً حازت قبولاً وانتشاراً في العالم العربي والإسلامي أغلبها إسلامي أو أدبي ومن أشهرها :

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| — لماذا أنا مسلم ؟ | — النظم الفنى فى القرآن |
| — توجيهات نبوية | — فى ميدان الاجتهاد |
| — القرآن والحكم الاستعماري | — بغية الإيضاح (٤ أجزاء) |

- القضايا الكبرى في الإسلام
- المجددون في الإسلام
- قضية مجاهد في الإصلاح
- تاريخ الإصلاح في الأزهر
- السكيت بن زيد
- النحر الجديد
- الميراث في الشريعة الإسلامية
- تجديد علم المنطق
- وغيرها وغيرها ...

- لما اشتد عليه المرض أهدى مكتبته الضخمة لجامعة الأزهر ، وكذلك بعض المؤلفات التي لم يسعفه الوقت لنشرها .
- توفي رحمه الله في الثالث عشر من مايو ١٩٦٦ م عن عمر يناهز السبعين عاماً .
- اعترافاً من الدولة بجهوده في خدمة العلم والإسلام أطلقت اسمه على أحد شوارع مدينة نصر بالقاهرة ، ومنح وسام الدولة للعلوم والفنون .

لواء / وهب عبد المتعال الصعيدي

جمادى الثاني ١٤١١ هـ ديسمبر ١٩٩٠ م

فهارس الكتاب

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٦٠٥	الفاتحة	٧٠	٣٥	آل عمران	٢٨
٥	د	٨١	٣٦	د	٤٧
١	د	٨٤	٣٦	د	٦١
٩٦	البقرة	٤٠	٦٢	د	٥٣
٢٠١	د	٤٥	١٤٤	د	٥٣
١٤	د	٤٦	٤٠	د	١١٥
١١	د	٥٤	٨٦	النساء	٥٨
١٢	د	٥٤	٧٩	د	٧٥
١٤	د	٥٨	٦١	المائدة	٨٩
٧	د	٧٧	٩٤	د	٩٧
٩٦	د	٧٨	٣٧	د	٥٩
١٧٩	د	٧٨	٧	د	٧١
٢٢٣	د	٧٩	١١٦	د	١٠١
٢٣	د	١٠٠	٩٠	د	٥٠
١٤٥	د	١٠١	٥٤	د	١٢٩
٢٤	د	١١٥	١٥١	الأنعام	٨٤
١٨٩	د	١٠٩	٢٨	د	٩٢
١١٢	د	١١٢	٣٦	د	٥٦
١٧٩	د	١٢٢	٣٨	د	٩٢
٩٨	د	١٢٦	٢١	د	٤٦
١٣٧	د	١٢	١٣١	الأعراف	٩٩
٥	د	٦٢	١٤٣	د	١٢٣
١٤	د	١١٣	٩٩	د	١٢٢
٢٢	د	١١٤	٢٧	الأنفال	٦١
٧٥	آل عمران	٨٩	٧	د	٦٣
٩٧	د	٩٥	٤٢	د	١٠٨
١٦٧	د	١٢٥	٨	د	١٢٤

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٣٠	التوبة	٦٥	٢٠	النحل	٨٩
٧٢	د	٧٩	٩٨	د	٩٢
١٠٦	د	٩٨	٥١	د	٩٢
٦٠	د	٩٨	٥٧	د	١٣٠
١٠١	د	٨٨	٣١	الإسراء	٨٤
٢٥	يونس	٦٩	٣٥	د	١٢٩
٦١	د	٨٢	٩٣	د	٥١
٩٩	د	٩١	١٠٥	د	٦٢
٥٩	د	٩١	٨١	د	١٢٩
٦٩	هود	٥٨	١٦	د	١٢٤
٦٩	د	١١٢	٢	الكهف	٦٥
١٠٨	د	٨٢	٩٦	د	١٠١
٩٢	د	٨٨	٧٩	د	١٠٢
٩١	د	٨٨	٤٥	مريم	٧٩
٨١	يوسف	١٠٨	٤	د	١٢٣
٥٣	د	١١٢	٤٦	د	٨٥
٩٦	د	١٢٣	٥	طه	١٣
٨٥	د	١٢٣	٦٣	د	٢١
٨٢	د	١٢٤	١٨	د	٦٠
٩٦	د	٤٣	١٧	د	٦٢
٣٥	د	٤٣	٦٧	د	٨٦
٩٠	د	٤٦	٥٦	د	٩٢
٢٥	الزمر	٧٤	٢٥	د	١٢٥
١١٤	إبراهيم	٥٣	٥٥	الأنبياء	٥٨
٦	الحجر	٧٣	٣	د	٦٣
٣٠	د	٩٢	٣٦	د	٧٣
٨١	النحل	١٠٣	٢٢	د	١٠٢

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٢٣	الأنبياء	١٣٢	٤	الأحزاب	٢٨
٤٦	الحج	٧١	٢٤	سبأ	٩٧
٧٣	د	١٢١	٣١	د	١٠٢
١٦	المؤمنون	٤٥	٣	د	٨٣
٢٧	د	٤٣	٢٣	فاطر	٥٣
٣٣	د	٨٠	٤	د	٧٩
١٤، ١٣، ١٢	د	٩٧	٢٣	د	٨١
٢٤	د	٨١	١٤، ١٣	يس	٤٥
٣٣	د	٨٥	٧٨	د	٦٣
١٤	د	٩٢	٣٠	د	٨٤
٩١	د	١٢١	٢١	د	١٢٨
٤٥	النور	٨٢	٣٢	ص	١٢٣
٥٥	د	١٢	٩	الزبر	٥٥
٣٣	د	١٠١	٩	د	٦٧
٣٨	د	١١٣	٣١	فاطر	٢٢
٦٩	الفرقان	٩٥	٢٨	د	٨٥
٦٥	د	١٦	٣٨	د	١٢٧
٨٥	الشعراء	٩٦	٦	فصلت	٥٢
٦٣	د	٤٧	٢٣	د	٧٤
٢٥	القصص	٦٩	٣٧	الشورى	١٣٣
٤٤	د	١١١	٤٠	د	٢٣
١٩	د	١٣٣	٥	الزخرف	١٠٠
٢٠	د	٨٤	٨١	د	١٠٠
٨	د	٩٦	٩	د	٦٢
٣٩	الروم		١٠	الفتح	١٣
١٤	لقمان	١١	١٨	د	٧٥
١٢	السجدة	٧١	٧	الحجرات	١٠٢

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٤٣	النجم	٦٧	٥١	المدثر	١٦
٥٤	د	٧١	٣٥، ٣٤	القيامة	١٠٧
٧	الرحمن	٤	٨	الإنسان	١٣٠
٧٢	د	٤٨	١٩	عبس	٩٧
٢٣	د	١٢٧	٢٢	الفجر	١٢٥
٧٥	الواقعة	١٣١	١٧	الليل	١١٦
٢٢	أوح	١٦	١	والضحى	٦٧
٢٨	أوح	١٢٦	٣، ٢، ١	العلق	٨٤
•	التحریم	١٢	٤، ٣	التكوير	١٢٧
•	د	١٠٥	٢	الماعون	٧٣
١	المالك	٤٩	١	الكوثر	١٢١
٢٢	د	١٦	٢، ١	المسد	٧١
١٦	المزمل	٧٥			

الأحاديث الشريفة والآثار

- ص ٤ قول على رضى الله عنه « السفر ميزان القوم » .
- ص ٧ حديث « إن من البيان لسحراً » .
- ص ١٥ حديث « اللهم بارك لهم في بعضها ... » .
- ص ٢٣ حديث : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم » .
- ص ٢٦ حديث عائشة رضى الله عنها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد فما رأيت منه ولا رأى منى » .

الأمثال

ص ٤ : ولذك من دمتى هتعبيك .

من يسمع يخل .

إذا نزل الخول امتسككشفت النعش .

الحاكم ميزان الله في الأرض .

قول أوشروان : لا يكن عندك عمل البر غاية في السكرة، ولا لعمل

الإثم غاية في القلة .

لا يشحذ امرؤ منكم سيفه حتى يشحذ عقله .

ص ٤٦ : إن البلاء مؤكل بالمنطق — إن خدأ لناظره قريب — إنما هو الفجر

أو البحر — إن المناكح خيرها الأبكار .

ص ٦٧ : من طابت سريرة حمد الناس سيرته .

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
(الحمرة)			
٢١	امرؤ القيس	الصحرَاء	ما إن رأيت
٥٤ ، ٣٩	ابن قيس الرقيات	الظلماء	إنما مصعب
٤٠	القاسم بن حنبل المري	أضاءوا	من البيض
٤٠	د	شاءوا	هم حلوا
٤٧	—	الحداء	فمنها
٧١	—	الظلماء	أبت الوصال
١١٩	أبو تمام	القضاء	أقروا
(الباء)			
٦	معن بن زائدة	بالحجاب	إذا كان الجواد
١٩	المتنبى	النسب	مبارك الاسم
٢٦	أبو العتاهية	وهب	مات
٢٦	د	قلبي	يا أبا
٢٨	ابن هرمة	بالباب	يا لله ربك
٣٣	النايفه الذبياني	السكواكب	كليني لهم
٣٣	د	بآيب	تطاول
٣٣	بشار	الحبائب	أعيدوا
٣٣	د	غياهب	فإن نهاري
٣٨	الأخطل	جذب	وقد جعل
٣٨	كثير	ضبابي	وما زلت
٣٨	د	التراب	ويرقيني
٣٩	ابن قيس الرقيات	الذهب	يعتدل
٤٣	—	ويوهب	ولقد نصحنك
٥٥ ، ٥٠	—	والآدب	ليس اليتيم
٥١	النايفه الذبياني	السكتائب	ولا هيب
٥٦ ، ٥٢	—	تذهب	إلى الله
١٢٢ ، ٥٤	شوقي	ذهبوا	وإنما الاسم

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٥٥	—	الأسماء	ما أنت بالسبب
٥٥	—	الأوصاف	فاليوم حاجتنا
٦٠	—	الأجرب	ذهب
٦٥	ضاعى البرجمي	لغريب	ومن يك
٦٥	—	الكتاب	لسن
٦٦	النايفة الذبياني	وأقرب	ملوك
٧٠	—	أبي	إن الفقى
٧٦	المتنبى	محبوب	أنت الحبيب
٧٨	—	الأقارب	إذا كوكب
٧٨	القتال السكلاي	ساحب	إذا جاع
٧٩	مروان بن أبي حفصة	حاجب	له حاجب
٨٦	—	سليب	وكانت يدي
٩٠	البارودي	ويلعب	سواي
٩١	الصابي	تسكب	تشابه
٩٠	المتنبى	غربه	مثلك يلقى
٩٠	المتنبى	مشبه	ولم أقل
٩٣	عبد الله بن مسلم الهذلي	رجعا	لكنه شافه
٩٤	"	شربا	كم حرة
٩٤	—	جاء	فأياك
١٠٥	أبو نواس	لا تكذب	وقد حلفت
١٠٥	"	والحصب	برب
١٠٥	الكهيت	والشعب	أم هل طمأن
١١٦	مسكين الدارمي	لا ب	أحسبته
١١٩	المتنبى	شعوب	ولا فضل
١١٩	الهذلي	والوصب	ذكرت
١٢٤	أبو تمام	والقضب	لو يعلم
١٢٦	ابن المعتز	رقيب	سقتي
١٢٦	"	حبيل	فأزلت

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
قالت أمانة	قد غلبا	الحطيئة	١٢٨
هلا	نشبا	د	١٢٨
ولست بمسبق	المهذب	الذبياني	١٢٩
حليم	مهيب	كعب بن سعد الغنوي	١٢٩
وما مثله	يقاربه	الفرزدق	٨٠ ، ٢٤
(النساء)			
رهابة	الزيت	بشار	١٢٠ ، ٢٦
لها عطر	الصوت	د	١٢٠ ، ٢٦
فلو أن قومي	اجرت	عمرو بن مقد يكرب	٦٧
وحرب	الدبرات	امرأة من بني عار	٧٨
سيتركها	مصطبرات	د	٧٨
(النساء)			
بادر	لا تلبث	—	١٠٨
قسم الزمان	أثلاثا	أبو تمام	١٢٧
(الجميل)			
وفاجها	مسرجا	العجاج	١٦
واقده اغتدى	اضربج	أبو داود الأيادي	١١٦
(الحمام)			
أخذنا بأطراف	الاباطح	كثير عزة	٩
ولما قضينا	ماسح	كثير عزة	٨
وشهدت	رايح	د	٩
كأنه في اجتماع	روح	أبو تمام	٢٢
وظلمت	ملاح	ابن المعتز	٢٢
جاء شقيق	رماح	سجل بن فضلة	٤٥
هل أحدث	سلاج	د	٤٥

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	المصدر
٩٥، ٤٥	—	الضاحي	المع
١٠٨	خافظ إبراهيم	لمراح	قم يا ابن مضر
١٣١	—	يحيى	فتد والملك
(الذال)			
٤	الأميرة الأميرة	والخير تزداد منه زاد	
٦	الحارث بن حلثة	عيشي بجدة	
٦	د د	كدا	والعيش
١٦	—	بالبرد	فأطورت
١٩	النايفة الذبياني	بقرد	أو دمية
٢٣	—	مجدد	وصاحب
٢٣	—	الأبد	ما إن
٢٣	أبو تمام	وحدى	كريم
٢٥	العباس بن الأحنف	لنجدد	سأطلب
١٩	زهير	بجدة	تقى
٢١	النايفة الذبياني	باليد	سقط الذئيف
٢١	د د	يمقد	بمنصب
٢٠	طرفة بن العبد	مخلد	ألا أيها
٢٥	—	ليبد	ظاهروا
٢٥	—	وقود	أجير
٢٠	العباس بن الأحنف	لنجدد	سأطلب
٢٦	أبو عطاء	بعود	ألا إن عينا
٣٤	رجل من كلب	ولود	وهذا العزيز
٤٨	دريد بن الصمة	أرشد	وما أنا
٤٩	—	مستردة	لأنما الدنيا

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعنى	المصدر
٤٩	—	شده	شده
٥٢	—	فيخلد	وما لأمري
٥٤	المتنبي	الأولاد	إنما أنت
٦٣	البارودي	النوادي	أنا مصدر
٦٣	البارودي	ونادي	أنا فارس
٧١	المتنبي	تمردا	إذا أنت
٧٢	أبو العلاء	لهده	إن الذي الوحشة
٧٢	أبو العلاء	جساد	والذي حارت
٧٥	الحطيمية	وبني الجد	مطاعين
٩٠	أبو تمام	الأيادي	وقيري
٩٤	جميل	وعهدا	لا لا أبوح
٩٤	الذياني	والسند	والمؤمن
٩٤	الذياني	يدى	ما إن
١٠٥، ٩٥	ذو الرمة	برد	لمياه
١١٨، ١٠٧	الحطيمية	والجمود	ألا حبذا
١٠٨	شوقي	مديدا	يا فتية النيل
١٠٨	—	الأيام	بنونا
١٠٩	—	لم يجده	اعطيت
١١٥	بشاش	سواد	إذا أنكرتني
١١٥	الفوزدق	الجواد	فقلت
١١٩	طرفة	يدى	فإن كنت
١٢٦	البحراني	وقدود	لما مشين
١٢٦	البحراني	برود	في حلقى
١٢٦	البحراني	خدود	وسفرون
٢٢٦، ١١٨	—	جدا	وان الذي يبنى
١١٨	—	كددا	والعيش
١٣٢	أبو تمام	ناهد	يصند
١٣٢	أبو تمام	واقصه	حتاك بك

(تابع) الآيات الشعرية

الصدر	المعنى	الشاعر	الصفحة
(الراء)			
ولم يأت لارجو	وزير	أبو تمام	٩
تكون عن	وأمر	"	٩
فلو إذ نبأ	نعمير	أبراهيم بن عباس	٩
وأطلقت	عقرا	بشر	١٥
ففر مضرجاً	مشهخرا	"	١٥
وملحة بالزل	الشطار	أبو نواس	١٩
وقبر حرب	قر	أنشده الجاحظ	٣٢
إلى ملك	تصامره	الفرزدق	٢٤
فانظر إليه	عنبر	ابن المعتز	٣٢
له دم	الدهر	أبو بكر بن الطماح	٨٥٣٩
له راحة	البحر	"	٨٥٣٩
بسكر	النبيكير	بشار	٤٧٤٤٤
توقع	وإدبار	الخنساء	٥٠
وما أنا أمقت	نارا	المتنبي	٨٧٤٥٢
ميد كرفى	البدو	أبو فراس	٥٥
بالله يا ظبيات	البقر	المرجى أو جهمون ليلى	٦٣
دآنى	صحر	ابن هنياء الفزاري	٦٦
هلام	البصر	"	٦٨
فلم يبق	تفكروا	المجوهري	٦٨
نعم امهرا	وزرا	—	٧١
هو الواهب	هشاد	الاعشى	٧٥
أبوك	شمرا	جميل	٧٧
أسود	المواطر	—	١٠٩٧٦
يترقن	الجارى	البحترى	٨٢
كالنسي	اللاتار	البحترى	٨٢

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٨٣	محمد بن وهيب	والقمر	ثلاثة تشرق
٨٩	طرفة بن العبد	ينتقر	نحن في المشتاة
٩٣	الخرنق	الجزر	لا يبتدن
٩٥	الجلدي	مظهورا	بلغنا
١٠٨	—	يجرى	أخط مع الدهر
١٠٨	الصاحب بن عباد	الامر	رق الزجاج
١٠٩	—	يضره	المراء يأمل
١٠٩	—	مره	قفى
١١٥	أبو صخر المذلي	القطر	واني لنعروني
١١٧	عروة بن الورد	اعذرا	عجبت
١٢٠	البحثري	وافر	قوم
١٢٢	—	البقر	على نعت
١٢٤	حاتم الطائي	المصدر	أماوى
١٢٤	البحثري	العدار	كل عذر
١٢٥	الشنفرى	حاصر	لا تدفوني
١٢٧	المهلهل	المستجير	هل أن ليس
١٢٧	د	المصدر	على أن ليس
١٢٨	الخنساء	نار	ولن صخرا
١٣٠	—	قدرا	واعلم قدرا
١٣٢	أبو سعيد الخزومي	الفقر	ولست بنظار

(س)

٢٢	المتنبي	شرس	دان
٤٣	أبو نواس	الياس	عليك بالياس
٥٠	—	الذاس	ان الحديد ين
٥٦	الحريرى	أفسه	لعمرك

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	المصدر
١٢٤	البحترى	وفرس	قأذا ما رأيت
١٢٤	د	الدرفس	والمنايا
١٢٤	د	ورس	في اخضرار
١٢٧	أبو نواس	خامس	أقناها

(الغناد)

١٧	أبو الشيص	المقراض	وجناح
٣٢	ابن الرومي	الأرض	وقسد نشرت
٣٣	أبو العلاء	أبيض	يطروها
٣٣	أبو العلاء	من بعض	كما ذيال
٥٧	—	لا تنقض	فروح
١١٢	أبو العلاء	ما غرضا	وقد غرضه
١١٢	د	غرضا	جربع

(العين)

٢٢	ابن بابك	ومسمع	حمامه
٢٥	أوس بن حجر	جدعا	وذات هدم
٢٧	الصمة بن عبد الله	أخذعا	تلفت
٤٨	ليبيد	ساطع	وما المرء
٥٤	—	وعى	وانما المرء
٥٦	—	الوقائع	وما شاب رأسى
٦٦	الاقنسر الاسدى	يسريع	سريع
٦٦	الاقنسر الاسدى	بمطيع	حريص
٦٧	البحترى	واعى	شجو
٦٧	اسحاق الخزيمى	أوسع	ولو شئ
٦٨	الفوزدى	المجامع	أولئك آ باثى
٧٣			

(تابع) الآيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعنى	المصدر
٩٠	المتنبي	شجعوا	غبرى
٧٢	هبة بن الطيب	تضرعوا	ان الذين
٨٦	الاقشير الاعدى	يسرع	سريع
١٠٣	أبو ذؤيب الهذلي	مصرع	سبحوا
١٠٩	—	وارتفاع	دنوت
١١٩	البحرى	لا ترجع	ما أحسن الايام

(ف)

١٧	—	الصيارف	تفنى يداها
٧٠	عمر الخورجى	مختلف	نحن بما عندنا
١١١	أبو العتاهية	وعافا	الفقر
١١٣	مساور بن هند	إلاف	زعمتم

(ق)

٤٧	العباس بن الاحنف	ما رزقا	أنا لم ارزق
٥٨	النضر بن جؤية	منطلق	لا يالف
٧٤	الراوندى	مرزوقا	كم غافل
٧٤	الراوندى	زنديقا	هذا الذى
٧٧	جعفر بن عتبة الحارثى	موتق	هوى
١٢٣	الشريف الرضى	تحقق	مالوا
١٢٣	حافظ ابراهيم	الأعراق	الأم
١٣٠	زهيد	خلقا	من يلق

(الكاف)

١٣	تأبط شر	المسالكة	يظل بموماه
١٣	المتنبي	ابتشاك	وما أرضى
٢٨	أبو تمام	خرقك	يا دهر

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجم	المصدر
٦٠	—	حصاكا	الحى هيدك
١١٦	السلول	مالكا	فلما خشيت
(اللام)			
٦	—	البنخيل	لماذا كان الجراد
١٢	امرو القيس	المتشكيل	وفرع يزين الماتن
١٢	د	ومرسل	غداؤه
١٧	النجاشي	فضل	فلست بآتيه
١٨	أبو النجم	المجول	الحمد لله
١٩	زهير	والقمل	وأقسمت
٢٠	—	مسلول	ليس إلاك
٢٠	امرو القيس	مرسل	غداؤه
٢١	امرو القيس	واغل	قال يوم
٢٢	المتنبى	صل	أقل
٢٢	ديك الجن	للعماني	أحل
٢٣	الحريرى	مبيل	وما فاكح
٢٥	عنترة	فاجهل	وإذا بليت
٢٥	—	لييد	ظعنوا
٢٥	امرو القيس	معول	وان شفاني
٢٥	د د	فجومل	قفانبك
٢٧	د د	الفاك	إن لم تنيلوه
٣١	د د	المائل	يطلب
٣١	د د	القائل	يا من رأى
٣١	د د	السائل	حيث على
٣١	د د		

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
ولا تلوموا	شاغل	امرؤ القيس	٣١
أو كنتم	قابل	د	٣١
يا أخوتي	حاجل	أبو العتاهية	٣١
لن محلا	مهلا	الأعشى	٦٦، ٤٧
هل الجود	صقيل	—	٥٠
نقل فؤادك	الأول	أبو تمام	٥٠
لك القلم	المفاصل	—	٥٢
قال لي	طويل	—	١١٢، ٦٥
قد طلبنا	مثلا	البيهقي	٦٩
ولم أمدح	مالا	ذو الرمة	٦٩
لن الذي	وأطول	الفرزدق	٧٢
إذا قبيح	الجميل	الخنساء	٧٦
بنو مطر	أشعل	مروان بن أبي حفصة	٧٧
إذا ستمت	شمالا	—	٨٠
أعندى	مائل	أبو العلاء	٨٥
فيا وطني	البال	أبو العلاء	١٠١
تمام عيني	لم يحل	—	١٠٩
زعم العواذل	لا تنجلي	—	١١٢
أيقنني	أغوال	امرؤ القيس	١١٥
فاشرب	محلا	أبو الصلت الثعفي	١١٥
لجشت	المتفضل	امرؤ القيس	١١٥
متى أرى	السرابيل	حفدج بن حفدج الماري	١١٥
لا تأخذني	الاقاويل	كعب بن زهير	١١٦

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
١١٨	المخبل	قبال	وأبوك بدر
١١٨	—	مبالا	لا ير مضمون
١١٨	—	أبطلا	ويقتلون
١٢٨	امرؤ القيس	بأوجال	وهل ينغم
١٢٩	ربيعة بن مغروم	أنزل	فدعوا
١٣١	الغابنة الذبياني	عاقل	يقول رجال
١٣٢	السمؤل	نقول	ونفسكر
(الميم)			
٨	أبو تمام	استسلم	استسلم
١١	ابن جحدر	شيطم	جلقت
١١	د	ذيقينم	وما شجرة
١٣	أبو تمام	مظلم	ولمت
١٧	البحترى	وأقيم	يشق
١٨	المتنبى	بالصرم	أذاق الغواني
١٨	الهدلى	بالصرم	قد كان صرم
٢٠	حسان بن ثابت	مطعما	ولو أن سجدا
٢٤	—	قلما	فأصبحت
٢٥	زهير	يظلم	ومن لم يند
١٣٣، ٢٦	بشار	دما	إذا ما غصبتنا
٢٦	د	ملبا	إذا ما أغرنا
٢٨	همر بن أبي ربيعة	كالدى	ومن مائى
٣٠	أبو القاسم بن هانىء	مخدم	أصاحت
٣١	د	مخدم	وما ذعرت
٣٣	أبو نواس	شيميا	أيها الرائعان
٣٥	حسان	دما	لنا الجففات
٣٥	د	ملبا	إذا ما

(تابع) الايات الشعرية

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
وانت الذى	يلوم	أمامة الخشعية	٦٠ ، ٤٠
فالى	مستقيم	أبو نواس	٣٤
هذا ابن	العلم	الفوزذق	٦٣ ، ٤٣
أيها الرامحان	شيماء	أبو نواس	٤٣
أوكلنا	يتوسم	طاريف بن تميم	٥٧
هنا	تبسما	—	٦٠
وكم ذدت	العظم	البهترى	٦٨
ولقد غزت	اساموا	أبو نواس	٧٢
وبلغت	انام	أبو نواس	٧٢
هذا أبو الصقر	والسلم	ابن الرومى	٧٣
ولله صغولك	مقدما	حاتم الطائى	٧٣
فى طلبات	مغنا	د د	٧٤
إذا مارأى	صمما	د د	٧٤
ترى رجه	مخذما	د د	٧٤
وأحناء	مسموما	د د	٧٤
فذلك	مذمما	د د	٧٤
قومى	سهمى	الحارث بن ودة	٧٧
سعدت	الايام	—	٨٣
سلام	السلام	—	٨٤
خيرى جنى	المتخندم	—	٩١
ولو دامت	دوام	أبو العلاء	١٠٢
كيف أصبحت	الكريم	—	١٠٤

تابع الابيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المنجز	المصادر
١٠٥	—	المردحم	الى الملك
١١٣	—	تيم	وتظن
١١٥	ابن الرومي	وتعظيم	والله يبيحك
١١٦	زهير	لم يعلم	كان فئات العهن
١١٩	زهير	هي	وأعلم
١٢٠	عبد الكريم	يلوم	انما الذلفاء
١٢٠	د	تقوم	أحسن الناس
١٢٠	د	صروم	أصل
١٢١	زهير	تلم	ومهما يكن
١٢٣	أبو محمد الثقفي	الحلما	رايت الخمر
١٢٣	د	نديما	فلا والله
١٢٤	المتنبي	الهرم	أق الزمان
١٢٧	—	لعظيم	أسجنا وقيداً
١٢٧	—	لكريم	ولن امرأ
١٢٩	طرفة	تهمى	فسقى مبارك
١٣١	المتنبي	جمنما	وخفوق
(ن)			
٤	المتنبي	الثاني	الرأى
١٧	يزيد بن المفرغ	السكتان	وبرود
٢٨	المتنبي	الدوران	لو الفلك
٣٣	بشار	أحياناً	يا قوم
٣٣	د	ما كانا	قالوا
٤٠	د	والداني	أنا المرعث
٤٧	—	بالإحسان	لن دهرنا
٤٨	عمر بن كلثوم	قادرنا	لنا الدنيا
٥٠	—	ما اقنى	وللقى
٥٩	تأبط شراً	بطان	ألا من مبلغ

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٥٩	تأبط شرا	صحيحه	بأني قد أقيت
٥٩	د د	لى مكاني	فقلت لها
٥٩	د د	يمان	فشدت
٧٠	ابن زيدون	مآقينا	بدم
٥٩	د د	وللجران	فأضربها
٨٣	أبو العلاء	دخان	وكالغار
٨٨	هروء بن أذينة	أينا	سليمى
١١٨١٠٧	عدي بن زيد	ومينا	وفدوت
١٢٨	امرؤ القيس	بدخان	حملت ردينيا
١٣٢	الشاخ	باليين	إذا ما راية

(الماء)

٨	ابراهيم بن عباس	سبيها	قريبة عهد
٨	د د	هبوبها	تمر الصبا
١٢	المتنبى	سويداواتها	إن الكريم
٢٤	الحطاب	علاها	ومن يطالب
٥٦	—	ذكرناها	أساميا
٦٣	ليل الاخيلية	فشفاها	إذا نزل
٦٣	د د	سقاها	شفاها
٦٥	د د	تراها	أحجاج
٩٨٠٦٥	كوبة بن الحخير	لجورها	وقد زعمت
٩٩٠٤٥	عبد الرحمن بن حسان	واصفناها	ذمت
١٠٠	د د	بامها	أبي لك
١٠٠	د د	أطاعها	إذا هي
١٠٠	الارجاني	عبيد	فبيت

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
والليل	ينعماء	الأرجاني	١٠٩
والنجم	أسراء	د	١٠٩
يفنيك	شكة	—	١١١
إذا ما المسكرات	مداها	بشر بن أبي خازم	١٣٢
والليل وضائق	فاحتواها	د	١٣٢
(الواو)			
واخذت	أهوى	—	٧٣
(الياء)			
إذا ما تقاضى	للتقاضيا	أبو حية	٢٨
كأن آذريونها	كاليه	ابن المعتز	٣٢
مداهن	غاليه	د	٣٢
هم يفرشون	المغاليا	المعذل الليثي	٨٩
ألا فليمت	حذاريا	—	٥٦
وتحتمز الدنيا	فانيا	المتنبي	١٣٠

كتب للثؤاف صدرت عن مكتبة الآداب

- لماذا أنا مسلم ؟
- النظم الفنئ فى القرآن
- توجيهاً نبوية
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاءة (٤ أجزاء)
- المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجرى
- القضايا الكبرى فى الإسلام
- البلاءة العالمة
- الميراث فى الشريعة الإسلامية
- للقرآن والحكم الاستعمارى
- شرح أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك .
- تجديد علم المنطق فى شرح الخبىصى على التهذيب
- البكيت بن زید

كتب تراث وكتب إسلامية صدرت عن مكتبة الآداب

- الإعراب الكامل لأيات القرآن الكريم د . عبد الجواد الطيب
- نهج البردة لأمر الشعراء أحمد شوقى شرح شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى
- قاموس المصطلحات الإسلامية عبد الرحيم الجبل ود . عبد الحميد شبيحة
- مستند الإمام أبى حنيفة
- وصية الإمام أبى حنيفة
- مختصر صحيح البخارى لابن أبى جرة الأزدى ، شرح العلامة الشرنوبى
- للصدقة والصدىق لأبى حيان التوحيدى
- المصباح فى المعانى والبيان والبدیع لابن الداظم تحقيق د . حسنى عبد الجليل
- نهاية الإيجاز فى مسطرة ساكن المجاز لرفاعة الطهطاوى

- مختصر الشبائل المحمدية للإمام الترمذى
- أعلام النبوة للإمام أبى الحسن البصرى الماوردى
- تفسير المعوذات الثلاث للدكتور عبد الجواد الطليب
- تفسير الفاتحة للإمام محمد عبده
- خصائص على بن أبى طالب للإمام السامى
- المسيح عيسى ابن مريم للحافظ ابن كثير
- ألفية ابن مالك فى النحو والصرف
- كيلة ودمنة لابن المقفع
- فضل السكاب على كثير عن لبس الشياطين لابن المرزبان
- ديوان ممدون ليلي لأبى بكر الوالى
- الإكسير فى علم التفسير للإمام الطوفى
- شرح التبريزى لقصيدة بانة سماد تحقيق عبد الرحيم الجلى
- الأدب المفرد للإمام البخارى
- لامية العرب للشنفرى
- مع القرآن للشيخ الباقورى
- الأملودج فى النحو للعلامة الزعزعى
- موسوعة عصر سلاطين المماليك وتناجه العلمى والأدبى
- 8 أجزاء تأليف د . محمود رزق سليم
- رحمة الله للعالمين تأليف محمد حسن عبد الله
- مائة حديث وحديث من أحاديث غاتم المرسلين تأليف محمود خاطر
- عذراء البصرة رابعة العدوية . ابراهيم الإيبارى
- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ومضايرهم د . محمد الساداقى
- الشيخ محمد إلباس حياته ومنهجه فى الدعوة . عبد الحامق بهزادة
- تراث الإسلام زكى محمد حسن وآخرون
- عقيدة المسلم
- روح الإسلام تأليف السيد أمير على
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس تحقيق د . محمد محمد حسين
- البردة للإمام البوصيرى شرح شيخ الأزهر الشيخ الباجورى

فهرست الكتاب

١٩	الكرامة في السمع	١	تقديم للدكتور عبد القادر حسين (ج)
٢٠	الفصاحة في الكلام	١	مقدمة المؤلف
٢٠	ضد التأليف	٣	البلاغة والفصاحة
٢٠	ضد التأليف لا يغفل بالفصاحة	٣	وجودهما في سائر اللغات
٢١	لا فصح إلا فيما لا يميزه النحو أصلاً	٤	أقوال الندماء في معنائها
٢١	إلحاق عيوب القافية بذلك	٦	ذم البلاغة الساحرة
٢١	تنافر الكلمات	٧	تعريفهما
٢٣	التعقيد	٧	تعريف أبي هلال العسكري
٢٣	الخلاف في الألفاظ	٩	تعريف عبد القاهر
٢٤	التعقيد اللفظي	١٠	تعريف الخفاجي
٢٤	التعقيد المعنوي	١١	تعريف السكاكي
٢٦	ابتذال الكلام	١١	تعريف الخطيب
٢٦	الابتذال لا يغفل بالفصاحة	١١	الفصاحة في الكلمة
٢٧	البلاغة في الكلام	١١	تنافر الحروف
٢٧	تنافر مقامات الكلام	١٣	الغرابية
٢٨	منزلة المحسنات البديعية في البلاغة	١٣	الغرابية لعدم الإلف
	تكلف الاستعارات ونحوها	١٤	الغريب القبيح والحسن
٢٩	تكلف المحسنات	١٥	لا فصح في الغرابية لعدم الإلف
٢٩	مرايب البلاغة	١٦	الغرابية لعدم التخريج
		١٧	غواية التخريج من مخالفة القياس
٣٠	اللفظ والمعنى	١٧	مخالفة القياس
		١٧	ابتذال الكلمة
٣٠	رجوع البلاغة إلى اللفظ والمعنى	١٩	لا فصح في ابتذال الكلمة

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٣٠	من يثر اللفظ على المعنى
٣١	من يثر المعنى على اللفظ
٣٢	المعاني المحدثه
٣٢	الاستشهاد بمعاني المولدين
٣٣	موازنة بين القدماء والمحدثين
٣٤	علوم البلاغة
	إدراك الجاهلين بعض مسائل
٣٤	البلاغة
٣٤	تدوين الجاهل فيها
٣٥	تدوين ابن المعتز
٣٥	تدوين قدامة
٣٦	تدوين عبد القاهر
٣٦	تدوين السكاكي
	بجوانته تطبيع أساليب العرب
٣٧	على أساليب اليونان
٣٧	إنكار ابن الأثير هذه المحاولة
٣٧	تدوين المتأخرين
٣٨	(علم المعاني)
٣٨	تعريف الخطيب
٣٨	الفرق بين موضوعات العلوم الثلاثة
٣٩	تعريف ثان لعلم المعاني
٣٩	الفرق بين علم النحو وعلم المعاني
٤٠	غفلة السكاكي عن الفرق بينهما
٤١	المعنى الاصل والرائد
٤١	أبواب علم المعاني
	(الباب الأول)
٤٢	أحوال الاسناد
٤٢	(١) التأكيد
٤٢	مقام التأكيد
٤٢	مقامات خالي الذهن
٤٢	تنزيل غير الخالي منزلة الخالي
٤٣	مقام المتردد
٤٣	تنزيل غير المتردد منزلة المتردد
٤٤	مقام المنكر
٤٤	أدوات التأكيد
٤٥	تنزيل غير المنكر منزلة المنكر
٤٥	تنزيل المنكر والمتردد منزلة غيرهما
٤٦	مقامات أخرى للتأكيد
٤٧	(٢) القصر
٤٧	مزايا القصر
٤٨	تعريف القصر
٤٨	طرق القصر
٤٩	القصر الحقيقي والإضافي
٤٩	نقد العناية بأقسام القصر
٤٩	القصر الحقيقي والادعائي
٤٩	القصر بالعطف

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٦٢	٥٠ المقصر بالاستثناء من النفي
٦٤	٥١ المقصر بإيما
٦٤	٥٢ المقصر بالنقدم
٦٤	٥٢ مقامات المقصر
٦٧	٥٣ مقام الاستثناء من النفي
٦٧	٥٤ مقام إيما
٦٩	٥٥ مقام العطف والتقديم
٦٩	٥٦ اجتماع أداتي قصر
٧٠	٥٧ الاسناد الاسمي والفعل
٧١	٥٧ الفرق بينهما عند عبء القاهر
٧١	مقامات الاستمرار التجديدي
٧٣	٥٧ في الفعل
٧٤	مقامات الاستمرار المتصل في
٧٤	الاسم
٧٥	٥٨ استعمال المضارع في مقام الماضي
٧٦	٥٩ استعمال الماضي في مقام المضارع
٧٧	٦٠ (٤) أغراض الاسناد الخبري
٧٧	٦٠ الأغراض الأصلية
٨٠	٦٠ الأغراض غير الأصلية
٨٠	(الباب الثاني)
٨٠	٦٢ أحوال الطرفين والمتعلقات
٨١	٦٣ (١) الذكر
٨١	٦٢ الذكر ضرب من الاطباب

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٩٢	٨١ تقديم الاعجب فالاعجب
٩٣	٨٢ التقديم للترقى
٩٤	٨٢ تقديم الاليق بالسياق
٩٤	٨٣ مقامات التقديم المعنوى
٩٥	٨٣ التقديم للتشويق
٩٥	٨٣ التقديم للتعميل بالمقصود
٩٦	٨٤ التقديم للاهتمام
٩٦	٨٥ التقديم لدفع ثوم خطأ
٩٧	٨٦ التقديم للضرورة
٩٧	٨٦ التقديم للضرورة ليس من البلاغة
٩٨	٨٦ التقديم للتخصيص
٩٩	٨٦ التقديم للمعين للتخصيص
٩٩	٨٧ اتفاق الشيعين فيه
١٠٠	٨٧ التقديم لمحقول للتخصيص والتقوية
١٠٠	٨٩ مميزات الاحتمالين
١٠١	إبطال إلحاق نحو زيد عارف
١٠١	٨٩ بفحو هو عرف
١٠٢	٩٠ التقديم في مثل وغير
١٠٢	٩١ تقديم أداة العموم على الفق
	٩١ فقد ذكره في هذا العلم
	٩١ التقديم في الاستفهام
	(٥) التقييد والاطلاق
	إرجاعهما إلى اعتبار الثكن
	٩٢ وإلخاف
	١٦٦

﴿الباب الثالث﴾

أحوال الجمل ١٠٤

(١) الوصل والفصل ١٠٤

تعريف الوصل والفصل ١٠٤

إبطال إتيانها في المفردات ونحوها ١٠٤

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
مواضع الایجاز والاطناب	إبطال لمیانهما فی غیر الواو ١٠٦
١٢١ ومقامتهما	الاختلاف فی الخبر والانشاء
١٢٢ أنواع الایجاز	اعتبار نحوی ١٠٦
١٢٢ إیجاز القصر	کمال الاتصال اعتبار نحوی أيضا ١٠٦
١٢٣ إیجاز الحذف	مقامات الوصل ١٠٨
١٢٥ قرينة الحذف	مقاسبات خفية ١٠٩
أنواع الاطناب : الايضاح	مقامات الفصل ١١١
١٢٥ بعد الاجام	(٢) فروق الحال ١١٣
١٢٦ ذکر الخاص مع العام	فروق الحال من علم المعانی ١١٣
١٢٧ التکریر	مقامات الربط بالواو والضمیر ١١٤
١٢٧ التکریر المعیب	الجل الصالحة للربط بالواو ١١٤
١٢٨ الإیغال	الجل الصالحة للربط بالضمیر ١١٤
١٢٨ التندیل	(٣) المساواة والایجاز
١٩٢ التکیل	والاطناب ١١٦
١٣٥ التتیم	الخلاف فی تفضیل الایجاز علی
١٣٠ الاعتراض	الاطناب ١١٦
١٣١ الاعتراض المعیب	تعریف المساواة ١١٧
١٣٢ الایجاز والاطناب النسبیان	تعریف الایجاز ١١٧
١٣٣ الاطناب فی الحروف	تعریف الاطناب ١١٨
١٣٤ ترجمة المؤلف بقلم ابنه	مقام المساواة ١٢٠
١٣٩ فهرس الآیات القرآنية	مواضع المساواة ١٢٠
» الأحادیث النبویة والحکم ١٤٣	
» الآیات الشعرية ١٤٥	

رقم الإيداع ١٩٩١/١٥٥١

التوزيع الدولي 477-241-022-2 I.S.B.N.

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الآداب (علي حسن)

٣٠٠

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م